تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أثر الأضداد في اللغة والنحو واللغة

٣٧٠ كما في ص٥٠

"رسالة ماجستير"

كلية الآداب — جامعة الكويت

إشراف

الدكتور عبد العال سالم مكرم

إعداد

الطالب عبد الفتاح احمد الحموز

سنة ـ ١٩٧٥

القسم الأول

======

====

==

ابـــــن خالويـــــه
واثـــــره فى النحـــــو واللغـــــة

مـــــــدخل البحـــــــث

عصـــــــــــره وحياتـــــــــــه

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

التقديـــــــم

لقد آثرت ان يكون موضوع رسالتي شخصية ابن خالويه النحوية واللغويـــــة حبا في احيائها وبعثها ، لانها شخصية تناساها الدارسون والباحثون ظنا منهـم ان اسهام ابن خالويه في ميدان اللغة والنحو ليس بذى بال ، فأستاذنا الدكتـــور شوقي ضيف يحجم عن الحديث عنه من قريب او بعيد في كتابه (المدارس النحويـــة) ، ولعل لموقف بعض القدامى منه أثرا في هذا الاغفال ، اذ رماه بعضهم بالضعـــف في النحو ، ولكن هذه الظاهرة لم تستول على استاذنا الدكتور عبد العال سالـــم الذى كان له الفضل في احياء هذه الشخصية بتحقيق احد مؤلفاتها النفيســـة (الحجة في القراءات السبع) ، ويتطلع الاستاذ الفاضل في تقديمه له الى اليـــوم الذى تدرس فيه شخصية ابن خالويه وتحقق مؤلفاته . ولعل هذه الدعـــــوة قد ولدت في حب إحياء هذه الشخصية للاسهام في إثراء المكتبة العربية ، النحويـــة واللغويـــــة .

ولعل إحجام الدارسين عن هذه الشخصية يكمن في أن أخباره لا تعرف علـى استقصاء ، وآراءه النحوية واللغوية في مؤلفات اللاحقين نادرة جدا . ولعل هـــذه المعوقات لم تثبط من إقبالي على دراسته ، فأخذت أتجول في مظان اللغة والنحـــو وغيرها ، ولكن هذه الجولات الاستقصائية لم تزودني بما أستطيع به أن أقيم بحثـــا ، فرحت أستقصي فهارس المخطوطات العربية وأماكنها ، ولقد استطعت الحصول علـــى مخطوطات بعض مؤلفاته ، ومنها ما هو نادر (كالعشرات في اللغات) و (البديـــع في القراءات السبع مضافا اليها قراءة ثامنة) .

وهذه المؤلفات زودتني بثروة هائلة من تآليفه لم تشر إليها كتب التراجـــم والطبقات بالإضافة إلى بعض الآراء النحوية واللغوية ، التي استطعت بواسطتهـــا أن أزيح ما علق بهذه الشخصية من غبار التجاهل والتناسي .

ورأيت أن يكون هذا البحث في ثلاثة أبواب ومدخل ، أتحدث فيه بإيجـــاز عن العصر الذى نشأت فيه هذه الشخصية وترعرعت ، والروافد العلمية التـــــي التقت لتكونها ، وتحدثت فيه أيضا عن مذهبه الديني ، وآراء القدامى فيه وغيـــر ذلك من المسائل التي لا انفصام لها عن هذه الشخصية .

ورأيت أن يكون الباب الأول في آثاره العلمية ، وهو يقع في ثلاثة فصول ، الأول في آثاره في ميدان الدراسات القرآنية ، والثاني في آثاره في ميدان الدراسات النحوية ، والثالث في آثاره في ميدان الدراسات اللغوية ، ولقد سلكت فيه منهجا تحدثت فيه عن تآليفه مطبوعها ومخطوطها ، ومنهجه ومصادره في كل منها بالإضافة إلى دراسة مقارنة مع بعض تآليف معاصريه .

أما الباب الثاني فرأيت أن يكون في إسهامه في ميدان الدراسات النحوية وما يتصل بها ، وهو يقع في فصلين ، الأول في اسهامه في بعض المسائل النحوية ، وموقفه من المذاهب النحوية آنذاك . والثاني في موقفه من أصول النحو وأدلته من سماع وقياس وعلة وإجماع .

وأما الباب الثالث ففي إسهامه في ميدان الدراسات اللغوية ، وهو ميدان رحب يطل علينا أثره فيه بوضوح ، وهو يقع في أربعة فصول ، الأول في موقفه من مدرستي البصرة والكوفة من حيث المسائل اللغوية ، وموقفه من أصول اللغة وأدلتها ، والثاني في مشاركته في أبنية الأسماء وأوزانها ، والمقصور والممدود ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث وغير ذلك من المسائل اللغوية . والثالث في إسهامه في ميدان الدراسات الصوتيه . والرابع في إسهامه في ميدان الدلالة اللغوية كالترادف والمشترك اللفظي وغيرهما .

ورأيت أن أصنفه في مدرسة نحوية في نهاية المطاف لكي يستطيع القارئ الوقوف على أهم سماته في النحو واللغة ، وموقفه من أصول النحو وأدلته ، وأثر شيوخه فيه وأثره في تلاميذه في هذه المسألة ، لأن تصنيفه في مدرسة يقوم على مثل هذه المسائل وغيرها .

ولعلي رأيت أن أختتم هذا البحث بتدوين أهم ما استطعت الوصول إليه ليتمكن القارئ من الوقوف على أهم ما استجد فيه .

وبعد :

فيسرني أن اقدم جزيل شكري وعرفاني الصادقين لأستاذي المشرف الذي كان خير عون لي في هذا البحث ، اذ لم يضن بوقته الثمين علي ، لأن بساط البحث والمناقشة كثيرا ما كان يمتد ساعات وساعات .

٢٩ جمادى الاخرة سنة ١٣٩٥ هـ
٨ تموز ١٩٧٥ م .

المؤلف : عبد الفتاح احمد الحموز

عصـــــــــره

لعلّ من الضروري لكل دارس لاحدى الشخصيات أن يعرج على العصـــــــر الذى نشأت فيه وترعرعت ، لأنها بنت عصرها ، تنعكس عليها سمات العصر وملامحـــــه ، وتطالعنا في دراستنا لعصر ابن خالويه أوضاع ثلاثة : وضع سياسي ، ووضع اجتماعـي ، ووضع ثقافي . ويتسم هذا العصر بتردٍ في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصاديـة، وبثورة علمية عارمة في النحو واللغة . وسأتناول هذه الأوضاع الثلاثة محاولا الإيجـــاز المفهم ، لأنها قد عولجت في بحوث علمية متعددة (١).

الوضـع السياســـــــي :

ابن خالويه ابن القرن الرابع الهجرى ، وهو قرن اتسم بمتناقضات سياسيـــــــة وعصبيات مذهبية وجنسية ، وكسوف شديد في خلافة بني العباس ، فالدولة آنذاك استولى عليها التمزق والخلاف ، فمن دويلات وامارات متعددة الى عناصر متطاحنة على السلطـــة لتصل الى مراكز القوى لتتمكن من إرواء ظمئها الشديد ، وتعطشها الى سرقة الأمـــوال حيث ونهبها . وتقاسمتها آنذاك الدويلات التالية :

١. فارس والرى وأصبهان والجبل في أيدى بني بويه .
٢. مصر والشام في يد محمد بن طغج الأخشيد .
٣. الموصل وديار ربيعة، وديار بكر ، وديار مضر في ايدى بني حمدان
٤. كرمان في يد محمد بن الياس .
٥. المغرب وافريقية في أيدى الفاطميين
٦. الأندلس في يد عبد الرحمن الناصر الأموى .
٧. خراسان في يد نصر بن أحمد الساماني .
٨. الأهواز وواسط في أيدى البريديين .
٩. اليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي .
١٠. طبرستان وجرجان في أيدى الديلم . (٢).

---

(١) انظر «أبو علي الفارسي»، وابن جني النحوى ، وأبو حيان التوحيدى ، ومقدمة الخصائص، ومقدمة حجة كل من ابن خالويه وأبي علي الفارسي .

(٢) انظر في ذلك الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ١٩ والفخـــرى في الآداب السلطانية : ٢٤٧ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وتبين لنا مما مر أن الخليفة انحصرت سلطاته في بغداد وما يحف بهـــا، ثم انتزعت منه فيما بعد [١]. وسوف أحصر حديثي في بغداد وما يحف بها، وحلب وما يحف بها، لأن ابن خالويه سلخ القسم الأكبر من عمره متنقلا بين هذه وتلك.

ويطل علينا في هذا القرن من بين أنقاض التمزق السياسي وضياع سلطات الخليفة دعاة الملل والنحل، الذين وجدوا تربة خصبة سقوها بماء فياض كان محبوسا بســـد منيع، اذ كان الخلفاء سنيين، والقول نفسه مع الأتراك في الغالب، والعرب بيـــن سني وشيعي، وكان كل من الفرس والفاطميين والحمدانيين شيعيين [٢]، لذلك قامـــت فتنة بين الشيعة والسنة، جرح فيها خلق كثير [٣]، ولم تنحصر هذه الفتنة في طبقـــات الشعب بل تسربت إلى ذوي الجاه والسلطان في بغداد وغيرها، فأخذت تؤتـــي أكلها، فطالعنا البويهيون بتشجيع الشيعة، الذين أخمدت أنفاسهم، وكبتت مشاعرهـــم في عهد المتوكّل، الذي هدم قبر الامام الحسين، فحرثه ثم زرعه، ومنع الناس مـــن زيارته [٤]، ويأمر عضد الدولة فيما بعد بإعادة بناء مشهد الحسين [٥]، ويزداد المـــد الشيعي في هذه الفترة، فيكتب الشيعة عام (٣٥١ هـ) بأمر من معز الدولة البويهـــي على المساجد كلاما يلعنون فيه معاوية بن أبي سفيان، ومن أغضب فاطمة رضي الله عنها، ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى، فلما كان الليل حكه بعض الناس، فأراد معز الدولـــة كتابته، ولكن وزيره أبا محمد المهلبي أشار عليه أن يكتب كلاما يلعن فيه الظالميـــن لآل رسول الله عليه السلام [٦]. ويأمر معز الدولة أيضا في السنة التالية (٣٥٢ هـ) أن يخلق الناس محالهم، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا ملابس عملوها بالمسوح [٧]، وأن تخرج النساء منشرات الشعور، مسوّدات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلـــد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنه، ففعل الناس ذلـــك، ولم يكن للسنة أي تدخل [٨]. ويواصل المد الشيعي فيضانه ليشمل شرق الدولة الاسلامية

---

(١) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ١٩ .

(٢) انظر ظهر الإسلام ١ : ٧٤

(٣) انظر الكامل في التاريخ ٧ : ١٢

(٤) انظر الفخري في الآداب السلطانية : ٢٠٩

(٥) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ١٤٠

(٦) انظر الكامل في التاريخ ٧ : ٤

(٧) المسح : الكساء من الشعر .

(٨) انظر الكامل في التاريخ ٧ : ٧

وغربها ، إذ كانت بلاد الشام مظهرا واضحا لانتشار التشيع [١] ، فيضرب سيف الدولة الحمداني عندما يصاهر أخاه ناصر الدولة دنانير احتفاء بهذه المناسبة كتب عليها : (لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فاطمة الزهراء ، الحسن ، الحسين ، جبريل عليه السلام ...) [٢]. ويطالعنا أبو فراس الحمداني يتوسل الى الله تعالى بآل الرسول عليه السلام [٣]:

لست أرجو النجاة من كل ما أخـ ... شاه إلا بأحمدَ وعلي
وبنت الرسول فاطمة الطهـ ... ر وسبطيه والإمام علي
والتقي النقي باقر علم الـ ... له فينا محمد بن علي
وابنه جعفر وموسى ومولا ... نا علي أكرم به من علي
وأبي جعفر سمي رسول الـ ... له ثم ابنه الزكي علي
وابنه العسكري والقائم المُظـ ... ـهر حقي محمد بن علي
فبهم أرتجي بلوغ الأماني ... يوم عرضي على مليك علي

وينعكس ذلك على رجال العلم ، فمنهم من أخذ يصانع الشيعة ليسلم من أذاهم كما هو الحال مع ابن جني [٤] ، وتأخذ هذه المصانعة والمداهنة طابع الصلاة على علي وآله ، ومنهم من جرفه تيار التشيع كابن خالويه [٥] ، وأبي علي الفارسي [٦] . وتمشيا مع هذا المد الشيعي الفياض تطالعنا مؤلفات في هذا العصر تجمع الأفكار الشيعية ككتاب (من لا يحضره الفقيه) [٧] لابن بابويه المتوفي سنة (٣٨١ هـ) .

وطالعنا هذا القرن بموجة من الكتاب حاولت ان تنقد هذا الوضع ، فأبو حيان التوحيدي يوجه رسالة على لسان أبي بكر وعمر الى علي حين امتنع عن مبايعة أبي بكر [٨] . ويناظر ابن خالويه رغم كونه شيعيا أحد الرافضة المغالين : ((وناظرني بعض الرافضة في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر رضي الله عنه) [٩] . فقال : ما الثانيه . جحد مثل الاولى : أي : لم ينفعني مال ابي بكر

---

(١) انظر أبو حيان التوحيدي : ١٣

(٢) نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : ٢٦٣

(٣) انظر المصدر نفسه : ٣٣٣ - ٣٣٥

(٤) انظر في ذلك مقدمة الخصائص ١ : ٣٧

(٥) سيرد التفصيل فيما بعد .

(٦) انظر ابو علي الفارسي ،

(٧) نشره الشيخ علي الاخوندي .

(٨) انظر أبو حيان التوحيدي : ١٤

(٩) سنن ابن ماجه ١ : ٣٦

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

رضي الله عنه ، فقلت له : إنّ قلة معرفتك بالعربية قد أدّتك إلى الكفر ، وإنما ما الثانية بمعنى الذى ، وتلخيصه : لم ينفعني مال كما نفعني مال أبي بكر رضي الله عنه ، وهذا واضح جدا)) (١).

وينشط الروم في اعتداءاتهم على الثغور الإسلامية في هذا القرن ، اذ يقتلون ويدمرون وينهبون ، ويأسرون في وقت بدأ فيه نجم خلافة بني العباس بالأفول (٢) ويتصدى الحمدانيون لهؤلاء الروم ، فيغزوهم سيف الدولة في بلادهم أربعين غزوة (٣) ، كلل معظمها بالفوز رغم تمكنهم من دخول حلب عام (٣٥٢ هـ) ، فيعم القتل والسبي والحريق ، ويقال إن عدد الأسرى بلغ بضعة عشر ألف صبي وصبية (٤). ولم يكتف بنو حمدان بذلك بل حاولوا طرد البويهيين من بغداد ، فهاجمها ناصر الدولة في أيام معز الدولة وعضد الدولة ولكنه باء بالفشل (٥).

وكان للقرامطة في هذا القرن نصيب في تميع الوحدة السياسية والاجتماعية، إذ كانوا يسرقون وينهبون ، ويقتلون ويستبيحون ، من ذلك ما فعله أبو طاهر القرمطي بمكه عندما وافاها في التروية (٦) ، فلم يرع حرمة البيت بل نهب أموال الحجاج ، وقتلهم داخل المسجد ، وقلع الحجر الأسود وباب البيت ، وطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الباقين في المسجد الحرام . ولكنه أعاد الحجر الأسود بعد أن كاتبه عبيد الله العلوى (٧) .

ولتبدو الصورة أكثر وضوحا أود أن أتحدث بايجاز عن وضع كل من الخليفة والوزير ، فالخليفة كان في وضع سيء للغاية ، لا سلطة له ، إنّما السلطة بأيدى قادة الجيش وأنصارهم ، وهم الذين يعينون الخلفاء الجدد بعد أن يكونوا قد نكلوا بمن تقدمهم ،

---

(١) القراءات ، لوحه : ٢٩١

(٢) انظر في ذلك محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) : ٣٥٤ ـ ٣٥٥

(٣) انظر في ذلك ظهر الإسلام ١ : ٦٠

(٤) انظر في ذلك نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الامير سيف الدولة الحمداني : ١٤٨ ـ ١٥٠ .

(٥) انظر ظهر الاسلام ١ : ٥٨

(٦) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة ، سمي به لأن الحجاج يتروّون فيه من الماء وينهضون إلى منى ؛ ـ انظر لسان العرب (روى) .

(٧) انظر في ذلك محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) : ٣٥٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

فالخليفة المستكفي تسمل عيناه ، ويؤتى بالمطيع ليجلس على منصة الخلافة المنهـــارة ، فيعين له معز الدولة ألف درهم في اليوم ، ثم يقطع هذا الراتب النقدى فيما بعد ليعين له اقطاعات يسيرة يتولّى إدارتها كاتب مختص [١] . وتبلغ إهانة الخلفاء أقصاها عندما يلجأ بعضهم إلى الاستجداء لسد العوز ، فالقاهر بعد أن تسمل عيناه فتسيلا علـــى خديه يسجن ، ثم يخلى سبيله ، ويبقى على هذه الحالة إلى سنة (٣٣٣ هـ) ، فجـــار عليه الزمان ، فتدعوه الحاجة إلى الجلوس أمام جامع المنصور مستجديا [٢] . وتبلـــغ اهانتهم أيضا درجة لا تحتمل ، إذ يطلب عضد الدولة البويهي من الخليفة الطائـــع لله اثر عودته من همذان أن يخرج لاستقباله ، وهو ما لم يسمح به من قبل ، فيخرج الخليفة مغلوبا على أمره ، ويؤمر الناس آنذاك بعدم الدعاء له ، فلم ينطق أحد بكلمة [٣] .

وأمّـا الخلفاء فيما بينهم فكانوا ينكلون ببعضهم ، فالقاهر يشغل بالبحث عمـــن استتر من أولاد المقتدر وحرمه وخدمه ، ويضرب أمه ضربا مبرحا ، وذلك بتعليقها مـــن رجليها ، وضرب المواضع الغامضة من جسمها لتدله على ما تخفيه من مال وحلي .

وأما الوزراء فلم يكن وضعهم بأحسن من وضع الخلفاء ، فهمهم الوحيد جمـــع المال قبل أن يعزل الواحد منهم ، فابن الفرات يزر للمقتدر ثلاث مرات ، ثم يزر له الخاقاني وابنه ، وعلي بن عيسى الذى وزر له مرارا ، وحامد بن العباس ، وأبو العباس أحمـــد بن الخصيب ، وأبو علي محمد بن مقلة ، وابن مخلد ، والكلوذاني ، والحسين بن وهـــب [٤] فما رأيك بدولة يزر فيها هذا العدد من الوزراء في خمس وعشرين سنة تقريبا ؟! .. ومما يدل على سقوط هيبتهم آنذاك تحكم الأمراء والقادة والجند بهم ، ومن ذلك أن معـــز الدولة ضرب أبا محمد المهلبي مائة وخمسين مقرعة [٥] . وأمّـا الوزير ابن مقله فتقطـــع يده بعد أن سعى به أعداؤه إلى الراضي ، ثم يسجن ، وكان ينوح على يده قائـــلا : ((يد كتبت بها كذا وكذا مصحفا ، وكذا وكذا حديثا من أحاديث الرسول صلى الله عليـــه وآله وسلم ، ووقّعت إلى شرق الأرض وغربها تقطع كما تقطع أيدى اللصوص)) [٦] .

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ٨ : ١٦٢

(٢) انظر عيون التواريخ ، ورقة : ١٤٣

(٣) انظر شذرات الذهب ٣ : ٧٠

(٤) انظر في ذلك الفخرى في الآداب السلطانية : ٢٣٤ ـ ٢٤٣

(٥) انظر في ذلك الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ١٧٧

(٦) الفخرى في الآداب السلطانية : ٢٤٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وكانوا ينكلون ببعضهم ، فأبن مقله يرسل من يقطع رأس الحسين بن القاسم بن وهب ، ويحمل رأسه إلى دار الخلافة في سفط [١] ، ويجعل السفط في خزانة ، ولما وقعت الفتنة أيام المتقي يخرج من الخزانة سفط فيه يد مقطوعة ورأس مقطوع ، وعلى اليد رقعة ملصقة مكتوب عليها : ((هذه اليد يد أبي علي بن مقله ، وهذا الرأس رأس الحسين بن القاسم ، وهذه اليد هي التي وقعت بقطع هذا الرأس)) [٢] .

الوضع الاجتماعي :

لعلّ ما ساد المجتمع العباسي في بغداد ، أو مجتمع مدينة حلب آنذاك ، كان نتيجة للتمزق السياسي ، وتسلط القادة والأمراء والجنود ، والوزراء والخلفاء على عامة الناس وممتلكاتهم ، فالخلفاء هدفهم جمع أكبر قدر من المال بوسائل يرونها ملائمة ، وذلك ليغطوا نفقات قصورهم ، أو لينفذوا أوامر قادة الجيش المتسلطين ، فالمقتدر كان في بيته أحد عشر ألف خادم ، وقد كانوا أول عهده ألفا ومائة [٣] . ويأخذ بختيار بن معز الدولة من المطيع أربعمائة ألف درهم [٤] . وأما الوزراء فكانوا يتقلبون متناوبين على سدة الوزارة ، فعلى كل منهم أن يجمع القدر الأعظم من المال لأن شبح العزل أو القتل يتراءى له أينما حل ، وحيثما رحل ، ومن أغرب ما يسمع عن الوزير الخاقاني ، الذي كان سيء السيرة والتدبير ، أنه ولّي في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة بعد أن أخذ من كل منهم رشوة ، فاجتمع الجميع في الطريق ، وقرروا أن يذهب آخوهم عهدا بالوزير إلى الكوفة ، ورجع الباقون إلى الوزير الذي فرقهم في عدة أعمال [٥] وقال فيه أحد الشعراء [٦] :

للدواوين مذ وليت عويل ... ولمال الخراج سقم طويل

يتلقّى الخطوب حين ألمّت ... منك رأي غث وعقل ضئيل

إن سمنتم من الخيانة والجو ... ر فللارتفاع جسم نحيل

---

(١) السفط : إناء يصان فيه الطيب وما أشبهه . انظر لسان العرب (سفط) .

(٢) الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٣

(٣) انظر الفخري في الآداب السلطانية : ٢٢٨ ، وظهر الإسلام ١ : ٦٦

(٤) انظر ظهر الإسلام : ١ : ٥١

(٥) انظر في ذلك الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٥

(٦) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وقيل فيه أيضا :

وزير لا يمَلّ من الرقاعـــــــة ... يولّي ثم يعـزل بعدَ ساعـــــة
ويُدنـي من تعجّلَ منه مـــــال ... ويبعد من توسّـل بالشفاعـــة
اذا أهل الرشا صاروا إليـــــه ... فاحظى القوم اوفرهم بضاعَـــة

وهناك وزراء اتسموا بسوء التدبير ، مما جلب للرعية الفقر المدقع والضنك الشديد ، فالوزير حامد بن العباس يوقع لمن طلب منه من خواص الخليفة شعيرا لدوابه بمائـــة كرّ [1] ، وما زال يطلب منه واحد تلو الآخر الى أن وقع بألف كر في ساعة واحدة [2].

ويتبع القادة والأمراء وسائل متعددة لجمع المال ، من ذلك فرض رسم على بيع الدواب وغيرها ، ولم تقف عند هذا الحد بل فرضت على الضروريات كالملح مثلا [3] ، واتخذ التعذيب وسيلة لجمع المال ، ومن الأمثلة على ذلك أن بجكم لمّا دخل العـــراق اعتقل الناس ، واشتد في تعذيبهم ، إذ كان يضع على بطونهم أطسات [4] الجمر [5].

ولعلّ سبب تشددهم في ذلك يكمن في متطلباتهم المتزايدة ، إذ تكلف الـــدار المعروفة بالدار المعزية معز الدولة مليون دينار ، وقيل إنهم لما أرادوا هدمها انفقوا في حك الذهب من سقفها ثمانية آلاف دينار [6].

وأمّا حلب فلم تكن بأحسن من غيرها آنذاك ، اذ كان سيف الدولة الحمدانـــي قاسيا على رعيته ، محسنا لجلسائه ، مبذرا على نفسه وقصره ، ويقال إنه عندما زوج ابنته ست الناس (٣٥٤ هـ) وزوّج ابنيه من بنتي ناصر الدولة أنفق مبلغ سبعمائة ألف دينار [7]. ويروى انه عندما دخل قائد الروم دار سيف الدولة بظاهر حلب (٣٥١ هـ) ، والتـــي ذرعها ستة آلاف ذراع ، أخذ منها مالا يُحصى من الأموال [8]. ويبدو أنـــه

---

(١) الكرّ : مكيال لأهل العراق ، وهو عندهم ستون قفيزا ، والقفيز ثماني مكاكيك والمكوك صاع ونصـــف . انظر في ذلك لسان العرب (كرر) .
(٢) انظر الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .
(٣) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٢٣٧ .
(٤) الطست : إناء من النحاس .
(٥) انظر في ذلك الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٢٥٢
(٦) انظر تاريخ التمدن الإسلامي ٥ : ١١٠ . وانظر أمثلة على الأموال التي يتركها هؤلاء بعد موتهم في ظهر الإسلام ١ : ١٠٦ .
(٧) انظر في ذلك نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : ٢٦٣
(٨) المصدر نفسه : ١٥٤ .

كان متهورا في عطاءاته لمادحيه وجلسائه ، إذ يدخل عليه الشاعر الناشي فيمتدحه بقصيدة ، ولكن سيف الدولة يعتذر لضيق يده ، فيخرج الشاعر ويرى على باب سيف الدولة كلابا تذبح لها السخال ، وحدث أن ضاع لسيف الدولة بغل من مجموعة بغال محملة بالأموال ، فوجده الشاعر على باب داره ، فظنه مُرْسَلا إليه من سيف الدولة ، فأدخله البيت ، وكان ما عليه عشرة آلاف دينار ، فذهب إلى سيف الدولة يشكره ، وقال له بعد أن علم بالقصة : ((بحياتي وصل إليك المال الذي كان على البغل . فقال نعم . فقال : خذه بجائزتك مباركا لك فيه)) (١) . ويروى ابن خالويه أنه كان في خزائنه نيف وعشرون طوقا من الذهب (٢) . ولم يقف بذخ سيف الدولة وترفه عند هذا الحد بل بولغ في تكفينه وإعداد جنازته بعد موته (٣) .

ونتج عمّا مر أن سرت موجة من الفقر المدقع والضنك الشديد في مجتمعي بغداد وحلب آنذاك ، راح ضحيتها عامة الناس ، وتغلغلت هذه الموجة لتشمل علماء العصر ومثقفيه ، فالمعافي بن زكريا النهرواني كان في وضع سيء ، إذ يراه أبو حيان التوحيدي في جامع الرصافة وقد نام مستدبرا الشمس في يوم شات ، وله أثر من الفقر والبؤس والضر أمر عظيم ، مع غزارة علمه ، واتساع أدبه وفضله المشهور ، ومعرفته بصنوف العلوم (٤) . وما لي أذهب بعيدا وابن خالويه يشكو الفقر رغم تعلقه بسيف الدولة وبلاطه (٥) :

الجود طبعي ولكنْ ليس لي مالُ ... فكيف يبذل مَنْ بالقرْض يحتالُ
فهاك حظّي فخذه اليوم تذكرةً ... إلى اتساعي فلي في الغيب آمالُ

والشاعر الفقيه الأبيوردي لا يستطيع أن يشترى جبة يلبسها ، اذ تمكث عليه سنتين (٦) ، وأما أبو علي القالي فيبيع بعض كتبه ليوفر ما يحتاجه لسفره إلى الأندلس (٧) .

---

(١) انظر في ذلك نخب تاريخية وأدبية جامعة لاخبار الامير سيف الدولة الحمداني : ٣٥٥
(٢) انظر شرح ديوان أبي فراس الحمداني ، ورقه : ٧٩
(٣) انظر تفصيل هذه المسألة في نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : ٢٧٦ ـ ٢٧٩ .
(٤) انظر في ذلك معجم الأدباء ٩ : ١٥٢
(٥) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٣٠
(٦) انظر ظهر الإسلام ١ : ١١٩
(٧) انظر المصدر نفسه ١ : ١١٧

وبالرغم مما روى عن جشع الخلفاء والوزراء الا أن بعض النوادر تروى عن كرمهم ؛ فالراضي يعطي الصناع الذين جلسوا على الآجر أمامه كل واحد وزن آجرته مالا (١). والوزير ابن الفرات كان يعطي أهل الفقه والفقراء وأهل البيوتات أكثر من مائة دينار في الشهر ، وأقلهم خمسة دراهم (٢).

ولم يخلُ بعض العمال من الأمانة أحيانا ، إذ يعجب المؤرخون حين يجدون أحد كبار العمال من أهل الأمانة ، وقد كان صاحب بيت مال العامة ، فلما توفي أراد الوزير أن يقبض أمواله ، ولكنه لم يجد شيئا لأنه كان أمينا (٣).

وسرت في هذا القرن موجة من اللصوصية وقطاع الطرق ، فالقرامطة يمثلون قطاعا كبيرا من هؤلاء ، إذ يتصدون للحجاج لينهبوا ما يمتلكون (٤).

ويضم المجتمع آنذاك عناصر من جنسيات مختلفة ، فمنهم التركي والعربي ، والفارسي ، والرومي ، والزنجي ، لذلك شاعت فيه متناقضات خلقية جعلت العلماء يؤلفون في مكارم الأخلاق والحث عليها ، إذ يؤلف أبو منصور الثعالبي كتابا في مكارم الأخلاق يصوّر فيه المجتمع من جميع جوانبه ، فيذكر فيه أن آفة الرعية مفارقة الطاعة ، وآفة الزعماء ضعف السياسة ، وآفة العلماء حب الرئاسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة العدول قلة الورع ، وآفة العدل ميل الولاة ، وآفة المذنب سوء الظن (٥).

وكثرت موجة الجواري في هذا القرن مما ساعد على نشر الفساد ، وانتشار بيوت الدعارة والفساد هنا وهناك ، إذ يُحصى أبو حيان التوحيدي في الكرخ أربعمائة وستين جارية ، ومائة وعشرين حرة ، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور ، يجمعون بين الحذق والحسن والظرف والعشرة بالإضافة إلى ما لم يظفر به (٦). فالنساء يغتصبن وهن بريئات أحيانا ، إذ يجبر أحد الأتراك امرأة على الدخول في بيته رغم تدخل أحد الاشخاص ، ويصعد ذلك الشخص ويؤذن لصلاة الصبح في وقت غير وقتها آملا أن يصحو ذلك التركي فيخلي سراحها ، ولما أن وصل الخبر إلى المعتضد استدعى ذلك التركي الذي كان عنده كذا وكذا جارية ، فأمر بقتله (٧).

---

(١) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٣٧

(٢) انظر تاريخ التمدن الاسلامي ٥ : ٨٤

(٣) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ١٦٣ ـ ١٦٤

(٤) انظر في ذلك تهذيب اللغة ١ : ٧

(٥) انظر في ذلك مجلة المشرق ، السنة الثالثة ١ : ٢٨ (كتاب مكارم الأخلاق لأبي منصور الثعالبي) .

(٦) انظر الإمتاع والمؤانسة ٢ : ١٨٣

(٧) انظر في ذلك ظهر الإسلام ١ : ٣٣

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وانتشرت في بغداد وغيرها الحانات والخمّارات ، ولم يكتف الناس بذلك بل كانت منازلهم أشبه بالحانات التي تعج بالخمور ، فابن دريد كان يشرب الخمر إلى أن جاوز التسعين من عمره ، وكان بيته أشبه بالحانة (١).

وسرت في هذا القرن موجة التغزل بالذكور ، فكان لمعز الدولة غلام تركي يدعى (الجاميدار) ، وكان أمرد رومي الوجه ، منهمكا في الشرب ، لا يفارق اللهو واللعب ، ولفرط ميل معز الدولة إليه ، وشدة إعجابه به جعله رئيس سرية جرّدها لحرب بني حمدان (٢). وكان لسيف الدولة الحمداني مملوك تركي آخر ، يدعى (يماك) ، مات بحلب (٣٤٠ هـ) فحزن عليه حزنا شديدا ، وقال المتنبي شعرا يعزيه بوفاته (٣).

ولكن هذا القرن لم يخل من الزهّاد والوعّاظ ورجال الدين كالحسين ابن منصور الحلاج الزاهد المشهور ، وأبي الحسن النسّاج الصوفي ، وأبي بكر دلف بن جحدر . وأما عامة الناس فكانوا متعصبين للدين متشددين على الخارجين عليه (٤).

وأُلّفت في هذا القرن مؤلفات حول الصداقة والأصدقاء مما يدل على فساد روابط الصداقة المتينة ، وشيوع صداقة النفعيين ، فعلي بن المرزبان (متوفي ٣٦٩ هـ) يؤلف كتابا في فضائل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (٥) ، يتحدث فيه عن انعدام الصفات الحسنة ، وشيوع العادات السيئة ككثرة المواعيد ، وشدة الاعتذارات ، ويفضل فيه صداقة الكلاب على صداقة الأشخاص . ويؤلف الفارابي رسالة في السياسة (٦) ، يتحدث فيها عن الأصدقاء والأعداء ، وسياسة المرء لنفسه .

ويعتبر أبو حيان التوحيدي مرآة عاكسة لكل ما كان يجري آنذاك ، لنستمع إليه في آلامه : ((كيف أتكلم والفؤاد سقيم ؟ أم كيف أترنم والخاطر عقيم ؟ أم كيف أصبر والبلاء شامل ، أم كيف أجزع والعناء حاصل ؟ أم كيف آنس بالصديق والصديق مداج ، أم كيف أسلو الإلف والالف مناج ؟ أم كيف أسكن إلى الانتباه وقد أقلقه المنام ؟ أم كيف أستريح إلى المنام وقد لعبت بي الأحلام ؟ .... يا هذا الضلوع مشوبة بالأسى

---

(١) انظر في ذلك عيون التواريخ ، ورقة : ١٣٥ ، والفلاكة والمفلوكين : ٧٣

(٢) انظر في ذلك ظهر الاسلام ١ : ٣٦

(٣) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٤) انظر أبو علي الفارسي : ٤٣

(٥) نشر هذا الكتاب لويس شيخو في مجلة المشرق سنة ١٩٠٩ ، ٧ : ٥١٥ - ٥١٧

(٦) نشرها لويس شيخو في مجلة المشرق ، سنة ١٩٠١ ، ١٣ : ٦٨٩ - ٧٠٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

والحزن، والأكباد مهترئة بأنواع الآفات والسقم ، والأرواح ذائبة بضروب الحسرة ... فمثل لي الآن ، بمن أتعلّق ولمن أتملّق ؟ وماذا أقول وأى شيء أسمع ؟ وفي أى شيء أفكر وبأى ركن ألوذ ؟ وفي أى واد أهيم ؟ ...)) (١).

الوضع الثقافي :

لقد كان للتمزق السياسي الذى ألمّ بالدولة الاسلامية آنذاك أثر فعال في دفع المد العلمي إلى الأمام ، فيتعدد الدويلات والإمارات تعددت مراكز العلم والثقافة ، إذ تطالعنا في هذا القرن البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، وحلب ، وسمرقند ، وجرجان ، ودينور ، وخراسان ، والقاهرة ، وبخارى ، وهمذان ، وشيراز ، وغيرها من مراكز إشعاع الحضارة الإسلامية. ولعلّ من الطبيعي أن نجد علماء ينسبون إلى هذه المراكز الثقافية وغيرها ، ومن هؤلاء الآمدى ، والأبيوردى ، والاسترابادى ، والأنطاكي ، والبساسيرى ، والبسطامي ، والشهرستاني ، والعسكرى ، والفارابي ، والكرماني ، والهروى ، والفسوى ، وغيرهم (٢).

وأصبحت تلك الدويلات محط أنظار العلماء والأدباء والشعراء ، فأمّوها تخلصا مما هم فيه من فقر ألمّ بهم نتيجة للأوضاع السياسية التي سبق الحديث عنها ، وشجعهم على ذلك أمراء تلك الدويلات ، الذين رأوا أن شهرة الواحد منهم لا تتحقق ، الا باستقدام عدد وافر من هؤلاء ، فبجكم التركي رغم قلة معرفته يدني اليه أبا محمد بن يحي الصولي في واسط ، وقال له : ((أنا انسان ، وان كنت لا أحسن العلم والآداب أحب ألّا يكون في الأرض أديب ولا عالم ، ولا رأس في صناعة إلا كان في خدمتي ، وتحت اصطناعي ، وبين يدى لا يفارقني (٣)).

وقد كان عضد الدولة البويهي بالإضافة إلى استقدامه عددا من الشعراء وعلماء اللغة والنحو نحويا محبا للعلم : ((أحد العلماء بالعربية والأدب . وكان فاضلا نحويا شيعيا ، له مشاركة في عدة فنون ، وله في العربية أبحاث حسنة وأقوال نقل عنه ابن هشام الخضراوى في الإفصاح أشياء ، وكان كامل العقل ، غزير الفضل ..)) (٤).

---

(١) الإشارات : ٣٠٥ ـ ٣٠٧ نقلا عن أبو حيان التوحيدى : ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) انظر أبو علي الفارسي : ٣٥

(٣) ظهر الإسلام : ١ : ٩٥

(٤) بغية الوعاة ٢ : ٢٤٧

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وقد صنف العلماء له مؤلفات في النحو وغيره ، فصنف له أبوعلي الفارسي (التكملة والإيضاح)[١] والحجة في القراءات السبع[٢]، وصنف ابن خالويه كتابا مجد ولا في القراءات [٣]. ولقد جعل في داره مجلسا خاصا بالفلاسفة والحكماء [٤].

وأسس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بني بويه دارا للعلم في الكرخ غربي بغداد (٣٨٣ هـ) ونقل إليها كتبا كثيرة ، وكان فيها مائة نسخة من القرآن الكريم بأيدي أحسن النساخ ، بالإضافة إلى عشرة آلاف وأربعمائة مجلد بخطوط أصحابها ، أو من الكتب التي امتلكها أشخاص مشهورون [٥].

ولم يكن بعض الخلفاء بمعزل عن هذه الحركة العلمية الناشطة ، فالمقتدر يجري على ابن دريد عندما قدم بغداد فقيرا خمسين دينارا في كل شهر تشجيعا له [٦]. وكان الخليفة الراضي شاعرا فصيحا [٧]، فكان ابن الأنباري شيخ ابن خالويه أحد هؤلاء العلماء المقربين اليه [٨].

ولو حاولنا أن نقف على الحركة العلمية في حلب لوجدناها تفوق مثيلاتها من مراكز الاشعاع ، وذهب الاستاذ أحمد أمين إلى أنها قد تفوق الحركة العلمية الناشطة في بغداد في الشعر واللغة والنحو : ((ولكن لعل أكبر حركة في الشام وأعظمها في الادب واللغة وعلومها كانت في ذلك العصر في بلاط الأمراء الحمدانيين في حلب ، وخاصة أيام سيف الدولة ، فقد فاقت حركة الشعر واللغة والنحو ، وما اليه نظيرتيها في مصر وربما في العراق)) [٩]. وتبعه في ذلك الدكتور إحسان عباس : ((أما القوة الحقيقية الجاذبة للأدباء والعلماء فهي في الجناحين ، في شرق الدولة ، وفي حلب عاصمة الحمدانيين ...)) [١٠].

---

(١) بغية الوعاة ٢ : ٣٤٨

(٢) انظر أبوعلي الفارسي : ١٧٦

(٣) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٣٧

(٤) انظر أبو حيان التوحيدي : ٣١

(٥) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٣٢٩

(٦) انظر المصدر السابق ١ : ٣٤٧ .

(٧) انظر الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٦

(٨) انظر انباه الرواه ٣ : ٢٠٣

(٩) ظهر الإسلام ١ : ١٧٧

(١٠) أبو حيان التوحيدي : ٣٢ - ٣٣

ولعل الأستاذين الفاضلين كانا على جانب كبير من الصواب ، وذلك لأنّ بلاط سيف الدولة كان غاصا بالعلماء الذين تهافتوا عليه طمعا في نيل حظوة عنده ، لينالهم نصيب من عطاءاته ، لأنه كان سخيا ، وقد مرّ أنه أعطى الشاعر الناشي عشرة آلاف دينار ، وكافأ ابا فراس الحمداني ضيعة منبج التي تغل ألفي دينار (١). وأعطى أبا الفرج الأصفهاني ألف دينار مكافأة له على كتابه (الأغاني) (٢) . وأعطى القاضي أبا نصر محمد بن محمد النيسابوري الف دينار لانشاده قصيدة أولها (٣):

حباؤك معتادٌ وأمرُك نافذ وعبدُك محتاجٌ إلى ألف درهم

ومالي أتناسى ابن خالويه الذي أخذ منه ألف درهم لاجابته على سؤال جرى في حضرته : ((سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هلا تعرفون اسما ممدودا ، وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قلت : أنا أعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قلت : لا أقول لك إلا بألف درهم ، لئلا تؤخذ بلا شكر ، وهما صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى ....)) (٤). ولعطائه أطلق عليه أبو الفيض (٥).

ولا نستبعد لما مر تهافت العلماء والشعراء على بلاطه ، إذ اجتمع فيه مالم يجتمع لغيره من الملوك (٦)، فكان ابن نباته الفارقي خطيبه ، وابن خالويه معلمه ومؤدب أولاده ، وكشاجم طباخه ، واجتمع فيه أيضا الفارابي ، والصنوبري ، والمتنبي ، والسلامي ، والوأواء الدمشقي ، والرفاء ، والنامي ، وأبو فراس الحمداني ، وأبو علي الفارسي ، وغيرهم . ولقد أجاد أبو منصور الثعالبي في وصفهم بقوله ((كان بنو حمدان ملوكا ، أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، ورواسطة قلادتهم ، وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء . ويقال : إنه لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر))(٧)

---

(١) انظر نخب تاريخية وأدبية جامعة لاخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : ٣٤٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٠

(٣) المصدر نفسه : ٣٥١

(٤) بغية الوعاة ١ : ٥٣٠

(٥) شرح ديوان ابي فراس الحمداني ، ورقة : ١٠٠

(٦) انظر نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : ٢٨٣

(٧) يتيمة الدهر : ١ : ١٥

ولم يكن اتصال سيف الدولة بالعلماء في بلاطه فحسب ، بل كان يتصل بهم في بيوتهم يستشيرهم في مسائل لغوية ، فقد كان يتصل بأبي الطيب اللغوي وابن خالويه ، بتوجيه أسئلة إليهما مع رسله . : (وحدثني أبو علي الصقلي بدمشق ، قال : كنت في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزانته ، وأخرج كتب اللغة ، وفرقها على أصحابه يفتشونها ليجيب عنها . وتركته وذهبت إلى أبي الطيب اللغوي ، وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، وبيده قلم الحمرة ، فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب))[1].

وربما تم اتصاله بالعلماء خارج حلب بالمراسلة كما جرى مع أبي علي الفارسي في الحلبيات : ((.. أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة ، عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا ، فوجد كثيرا منها ..... ولم تجر عادة عبده به لا سيما مع مثل صاحب الرقعة الا أنه يذكر من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل فيما يقوله ....)) [2].

وقد كان سيف الدولة نفسه شاعرا ، ومن شعره ما قاله في جاريته الحسناء عندما نقلها إلى بعض الحصون حفاظا على روحها [3] :

راقبتني العيون فيكِ فأشفقتُ ... ولم أخلُ قطّ من إشفاقِ
فتمنيت أن تكوني بعيدا ... والذي بيننا من الودّ باقي
ربّ هجر يكون من خوف هجر ... وفراق يكون خوف فراقِ

ويتبين لنا مما مر مدى التشجيع للعلماء وغيرهم مما دفع الحركة العلمية آنذاك إلى الأمام ، فلم تكن دور الخلفاء والأمراء والوزراء حلقات للمناظرات والدراسة فحسب ، بل كانت هنالك مجالس وحلقات تشهد بهذا المد العلمي الفياض ، اذ كانت تلك المجالس أشبه بجامعات ، أو تفوق الجامعات بكثرة روادها ، فمجلس أبي عبدالله القاضي المحاملي يضم زهاء الف مريد : ((قال ابن خالويه : حضرت مجلس ابي عبدالله محمد ابن اسماعيل القاضي المحاملي ، وفيه زهاء ألف ، فأمل عليهم أن الأنصار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : والله ما نقول لك ما قال قوم موسى لموسى .....)) [4].
وأما مجلس أبي بكر بن مجاهد فكان يضم ثلاثمائة دارس ، وكان له أربعة وثمانون خليفة [5].

---

(١) رسالة الغفران ، ومعها رسالة ابن القارح : ٦٣
(٢) المسائل الحلبية ، ورقة : ١١٣
(٣) انظر نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني : ٣٥٩
(٤) لسان العرب (غمد) .
(٥) انظر غاية النهايه في طبقات القراء ١ : ١٤٢ .

ومن الأدلة الواضحة على هذه الحركة العلمية الناشطه خزائن الكتب آنذاك ، كخزانة عضد الدولة البويهي [١] ، وكتب الصاحب بن عباد التي كانت تحمل على أربعمائة جمل ، وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات [٢] . وخزانة جامع حلب التي كانت تضم عشرة آلاف مجلد من وقف سيف الدولة وغيره [٣] .

ونشطت العلوم في هذا القرن على اختلاف أنواعها فعلم التفسير أخذ يخطو خطوات موفقة ، إذ يؤلف أبو بكر الأدفوى (متوفي ٣٨٨ هـ) تفسيرا يقع في مائة وعشرين مجلدا [٤] ، ويحفظ ابن الأنبارى شيخ ابن خالويه مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها [٥] ويؤلف أبو الحسن الرمّاني تفسيرا أشاد به الصاحب بن عباد [٦] .

ويؤلف ابن الأنبارى شيخ ابن خالويه في غريب الحديث كتابا من خمسة وأربعين الف ورقة [٧] .

ويخطو التأليف في القراءات وجمعها خطوات واسعة ، إذ تطالعنا في هذا القرن مدرسة ابن مجاهد ، وهي مدرسة تخرج منها كبار علماء القراءات كأبي علي الفارسي ، وابن خالويه ، وابن جني وتلاميذهم الذين كان لهم شأن كبير في هذا الميدان فيما بعد .

وأما اللغة والنحو فيتراءى لي أن التربة كانت خصبة فيهما آنذاك ، إذ يعتبر هذا القرن من ألمع العصور الإسلامية على الإطلاق في هذه الدراسات ، فمشاهير النحاة واللغويين هم أبناء هذه الفترة ، ومن هؤلاء : الزجاج ، والسيرافي ، وأبو علي الفارسي ، وابو الحسن الرماني ، وابن الخياط ، وابن درستويه ، وابن خالويه ، وابن جني ، وابن السراج وغيرهم وغيرهم . وإذا احتجت إلى معاجم اللغة عدت إلى هذا القرن الذى يطالعك بها ، كالجمهرة ، والصحاح ، وتهذيب اللغة ، وعشرات ابن خالويه ، وعشرات أبي عمر الزاهد ، وتكفي النظرة الفاحصة في فهرست ابن النديم لتعكس صدق ما أقول .

---

(١) انظر مجلة أقلام ، السنة الثانية ، شعبان ١٣٨٥ هـ . ٤ : ٧

(٢) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ١٩٧ ، وبغية الوعاة ١ : ٤٥١ .

(٣) انظر أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١ : ٢٧٩

(٤) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ٣٦٥

(٥) انظر عيون التواريخ ، ورقة : ٢٠٩

(٦) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ٣٦٥

(٧) انظر عيون التواريخ ، ورقة : ٢٠٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ونبـــغ من الكتاب في هذا القرن عدد كثير ، كالصاحب بن عباد ، وابن العميـــد ، وأبي اسحق الصابي ، وأبي حيان التوحيد ى وغيرهم .

ونبغ في الفلسفة الفارابي وغيره كأبي علي بن زرعة النصراني ، ويحي بن عـدى [١] .

ونبغ في التاريخ مسكويه وغيره .

واتسم العلماء في هذه الفترة بعدم التخصص في موضوع معين ، فهم موسوعـــات ذلك العصر ، لذلك كان المعافي بن زكريا النهرواني ملما بعلوم كثيرة ، وفي نهايـــة الذكاء ، وحسن الحفظ وسرعة الخاطر في الجوابات [٢] . وذكر الخطيب البغـــدادى أن المعافي حضر في مجلس أحد الرؤساء ، فأراد بعض العلماء أن يناقشوه في بعـــض المسائل ، فطلب من الرئيس أن يبعث غلامه فيأتي بأى كتاب [٣] . واتسموا ايضـــا بقوة الذاكرة ورجاحة العقل ، وسرعة الحفظ ، فابن الحميد كان يحفظ ألف بيت فـــي اليوم [٤] وابن الأنبارى كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهدا في القرآن [٥] ، بالإضافـــة إلى مائة وعشرين تفسيرا كما مر . لذلك كان قاسيا على نفسه لأنه كرسها لخدمـــة العلم . واتهم أبوعمر الزاهد اسعة حفظه بالكذب ، إذ يرون أنه أملى من حفظـــه ثلاثين ألف ورقة لغة [٦] .

وبعد : ففي هذا الوسط السياسي الممزق ، الذى ضاعت فيه سلطات الخليفـــة ، وانحطت هيبته ، وتعددت الدويلات ، وكثر الوزراء المتكالبون على السلطة ، وازداد عدد القادة والأمراء الذين يتحينون الفرص للوصول إلى مراكز القوى . وفي هذا الوسط الاجتماعي المليء بالمتناقضات المختلفة من فقر مدقع ، وضنك شديد ، وانحطاط خلقي ، وتفكك اجتماعي ، وانعدام روابط الصداقة ، وشيوع صداقة النفعيين . وفي هذا الوسط الثقافي الفياض ، وهو وسط اتسم بثورة علمية عارمة في مختلف أنواع المعرفة ، اذ استوت علوم القرآن ، ونضجـــت العلوم اللغوية والنحوية وآتت أكلها ، عاش ابن خالويه وترعرع .

---

(١) انظر ظهر الاسلام ١ : ٢٣١

(٢) انظر في ذلك الفهرست : ٢٣٦

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٠

(٤) انظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ١ : ٢٠٤

(٥) انظر إنباه الرواه ٣ : ١٠١ ـ ١٠٧

(٦) انظر المصدر نفسه ٣ : ١٧٢

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ابن خالويه في عيشـــــــــــــه

لقـد أغفـل أصحاب التراجم الحديث عن ابن خالويه تفصيلا كما فعلوا مع غيـــره ، وخير شاهد على هذا الأغفال تصنيف ابن النديم له تحت ما أسماه ((أسماء قـــوم من جماعة بلدان لا تعرف اسماء وهم وأخبارهم على استقصاء)) (١) ، وقد ضن أصحـــاب التراجم فيما بعد على الدارسين ، إذ أغفلوا الحديث عن أسرته وصفاته وبعض كتبـــه وتنقلاته وسنة ولادته . واقتفى أثرهم في ذلك بعض الدارسين المحدثين (٢) الذيـــن جمعوا من أخباره نتفا من هنا وهناك مغفلين معايشة مؤلفاته التي تزود القارئ بقـدر وافر من المعلومات تساعد على تحديد معالم شخصيته الهامة ، واستطعت بجولات فاحصة في مؤلفاته ، مخطوطها ومطبوعها أن أنتهي إلى معالم شخصيته العامة وما يرتبـــط بهـــا .

مولـــــــــــده :

لـم يطالعني أحد من أصحاب التراجم والطبقات أو غيرهم من الدارسين المحدثين أشار إلى السنة التي ولد فيها للأسباب التي أشرت اليها فيما مضى ، ولقد استطعـــت من خلال معايشتي لمؤلفاته وغيرها أن أجد قبسا ينير الدرب المظلم في هذه المسألـة المحفوفة بالغموض الشامل :

جاء في كتاب (ليس) ما يلي : ((قال ابن خالويه : قلت لسيف الدولـــــة : أنا أدرس اللغة منذ سبعين (٣) سنة ، فما اطلعت طلع الطرطور ، لم سمي طرطـــورا ، ومن أي شيء اشتقاقه إلا فرط يوم أو يومين ، وذلك أن الطرطور الرجل الطويل الدقيـــق رجل طرطور طويل دقيق ....)) (٤) . وجاء في تاج العروس ما يلـي : ((ومثلـــه في كتاب (ليس) لابن خالويه ، إلا أنه قال : أَسْهَب فهو مُسْهَب ، بالغ . هذا قـــول ابن دريد . وقال ثعلب : أسهب فهو مسهب في الكلام . قال : ووجـــــدت بعد سبعين سنة حرفا رابعا وهو : أَجْرَشت الإبل : سمنت فهي مُجرشة)) (٥) .

---

(١) الفهرست : ٨٤

(٢) انظر في ذلك : دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٨ ، وأعيان الشيعة ٢٥ : ٤٨ وروضات الجنات : ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، ومعجم المؤلفين ٣ : ٢٣٨ ، وتنقيح المقـــال ١ : ٣٢٧ ، ومنهج المقال : ١٩

(٣) في المخطوط (سبعون) .

(٤) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ١٣٥

(٥) تاج العروس (سهب) . انظر ليس في كلام العرب : ٥ ، لكنه لم يشر فيه إلى ذلك .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

١٤٦١٣

ولعلّ ما يعنيه بقوله (بعد سبعين سنة) في هذين النصين يشير إلى أنه بعد أن سلخ من عمره/ هذا القدر من السنين طالعنا بما مر، لأنّ أصحاب التراجم مجمعون على أن وفاته كانت عام (٣٧٠ هـ)، وأنه دخل بغداد عام (٣١٤ هـ) (١). ويتبين لنا مما مرّ استحالة أن يكون أراد سبعين سنة من بدء تلقيه العلم في بغداد.

أما المسألة التي تواجهنا فهي: متى صدر عنه هذا القول في مجلس سيف الدولة؟، فسيف الدولة استطاع أن ينتزع حلب من أحمد بن سعيد الكلابي عام (٣٣٣ هـ)(٢). ولعلنا لا ندري هل كان رحيل ابن خالويه اليه في السنة نفسها أو فيما بعد؟، وكل ما لدينا من إشارات تشير إلى أنه كان في حلب قبل عام (٣٣٧هـ)، جاء في شرحه لديوان أبي فراس صديقه وولي نعمته: ((قال ابن خالويه: العرب تدعو سيف الدولة (أبو الفيض) لفيضه عليهم بالاحسان. وسرنا معه إلى ديار بكر سنة (٣٣٨ هـ) فأقام يمير الناس على طبقاتهم مدة مقامه)) (٣) وجاء في كتاب (ليس) ما يلي: ((ليس في كلام العرب كلمة على (فِعَوَّلْ) الا أحرف. سألت نفطويه عن الجَنّوت فلم يعرفه، فسألت أبا عمر فقال: الخسيس، ولم يجيء في كلام العرب اسم على هذه الا جَنّوتْ ..... فلزمت أبا عمر الى أنْ خرجت من بغداد، وقد ذكرته أبين من هذا .....)) (٤)

ولعلّ وصول ابن خالويه الى حلب كان قبل وصول أبي الطيب المتنبي اليها، لأن ابن خالويه كان على عداء شديد معه، ومن مظاهر هذه العداوة ضربه له بالمفتاح، فلم يثأر سيف الدولة للمتنبي، ولم يسترد له كرامته، لذلك غادر حلب متوجها الى مصر حيث يوجد كافور الاخشيدي. ولعلنا نجد في ذلك دليلا على ما مرّ اذ استطاع ابن خالويه أن يوطّد علاقاته مع سيف الدوله، ليصبح معلمه ومؤدب أسرته، قبل أن يصلها أبو الطيب المتنبي عام (٣٣٧هـ) (٥).

---

(١) سيأتي الحديث عن تنقلاته فيما بعد.

(٢) انظر عيون التواريخ، ورقة: ٤٩١

(٣) شرح ديوان ابي فراس الحمداني، ورقة: ١٠٠،

(٤) ليس في كلام العرب: ٤٣

(٥) انظر نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني: ٣٣٨.

ونستطيع أن نؤكد معتمدين على ما أشرنا إليه سابقا أنّ ابن خالويه بلغ سبعين عاما من عمره في حياة سيف الدولة الذى توفي عام (٣٥٦ هـ) ، فتكون سنة ميلاده قبل عام (٢٨٦ هـ) . ولعل ما يؤكد ذلك أن ابن ولاد المتوفي (٣٣٢ هـ) نقل عنه تعريفا للمقصور : ((قال أبوعبدالله خالويه : وإنّما سمي المقصور مقصورا لأنه قصرعن المد والإعراب وحبس وأخذ من قوله تعالى : (حور مقصورات في الخيام) [1]، ويقال : امرأة قصيرة وقصورة .....)) [1].

ولعل ما يؤكد ما ذهبت اليه أيضا أنّ ابن خالويه دخل بغداد عام (٣١٤ هـ) ، ثم انضم لينهل من حلقات شيوخ كابن مجاهد ، وابن دريد ، والسيرافي ، ونفطويه ، والصولي ، وغيرهم ، وهم من هم في تلك الفترة ، لا يلتحق بحلقاتهم إلا من كان متمكنا من العربية لا سيما إذا عرفنا أنه فارسي ، إذْ كان عليه أن يمضي وقتا في تعلم العربية وأساليبها ، ولا أستبعد أن يكون ابن خالويه قد تلقى دروسا وعلوما في العربية في هذه المدة التي قضاها بعيدا عن بغداد ، مما جعله يقصد بغداد حيث الثراء عند ذوى الجاه والسلطان ، الذين كان بعضهم يشجع العلماء ويعطف عليهم كما مر .

اسمه وكنيته ولقبه :

لقد أجمع أصحاب التراجم والطبقات على أنه الحسين الا أبا منصور الثعالبي [2] الذى ذكر أنه الحسن . وأما اسم ابيه فتباينت فيه أقوال العلماء وآراؤهم ، فذهب النجاشي [4] إلى أنه الحسين بن خالويه ، واقتفى أثره فيما بعد صاحب (منهج المقال) [5] وغيره [6]. ولعلّ ما يدعم ما ذهب اليه النجاشي وغيره أن ذلك طالعنا في ثنايا مؤلفاته [7].

طالعنا

ومنهم من ذكر أنه الحسين بن محمد ، وذهب إلى ذلك كل من ابن طاوس

---

(١) الرحمن : ٧٢

(٢) المقصور والممدود : ٥

(٣) انظر يتيمة الدهر ١ : ٨٨

(٤) انظر الرجال : ٥٠

(٥) انظر : ١١٢

(٦) انظر مثلا تنقيح المقال : ١ : ٣٢٧

(٧) انظر الريح ، ورقة : ١ ، والقراءات ، لوحة : ٧٩ ، وشرح ديوان أبي فراس ، ورقة المقدمة .

وشيرويه في علماء همذان [١] وينسب الاستاذ العلمي [٢] ذلك إلى سبق القلم :

وذكره حاجي خليفة باسم (الحسين بن عبدالله) [٣] . أما جمهرة مترجميه [٤] فذهبوا إلى أنه الحسين بن أحمد ، وأما اسم جده فاختلف أصحاب التراجم فيه أيضا ، فمنهم من ذكر أنه (الحسين بن أحمد بن خالويه) [٥]، ومنهم من اكتفى بقوله : (الحسين بن احمد الهمذاني) [٦]، ومنهم ذكر أنه (الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه) [٧]، ومنهم من ذهب إلى أنه (الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان) [٨].

وقبل أن أناقش ما مرّ أود أن أعرض رأى صاحب تنقيح المقال في هذه المسألة: ((بقي هنا شيء ، وهو أن النجاشي وجماعة عنونوه بالحسين بن خالويه ، وعنونه آخرون منهم ابن خلكان بالحسين بن أحمد بن خالويه ، فجعلوا خالويه جده ، وأن والد الحسين اسمه احمد ، ولقبه خالويه . والظاهر أنه اشتباه وأنه ابن أحمد ، وأحمد بن خالويه ، وأن المعبر بالحسين بن خالويه نسبة الى جده والله العالم)) [٩].

أما ما انفرد الثعالبي في ذكره فلا يعدو أن يكون وهما من الناسخ في اسم ابن خالويه ، لأن اجماع المصادر بما في ذلك ابن النديم يكاد يكون حجة في رأيي ويدعم ذلك ما طالعنا به ابن خالويه من توثيق مؤلفاته بذكر اسمه في ثناياها بين الحين والآخر .

---

(١) انظر انباه الرواه ١ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥

(٢) اعيان الشيعة : ٢٥ : ٤٨

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ١٣٩٩، ١٤٤٩

(٤) انظر مثلا : معجم الأدباء : ٢٠٠ ، والفهرست : ٨٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٣٣، ولسان الميزان ٢ : ١٦٧ ، وشذرات الذهب ٣ : ٧١ ، وبغية الوعاة ١ : ٥٢٩ ، ومرآة الجنان ٣ : ٣٩٤ ، وفهرست ما رواه ابن خير عن شيوخه : ٣٤٢ ، وانباه الرواه ١ : ٣٢٤ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٣٧ وطبقات الشافعية ١ : ٢١٢ .

(٥) انظر مثلا : نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ٢٣٠ ، ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٠، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٣٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٣٣ .

(٦) انظر مرآة الجنان ٢ : ٣٩٤ ، وشذرات الذهب ٣ : ٧١

(٧) انظر طبقات الشافعية ٢ : ٢١٢ ، والفلاكة والمفلوكين : ١٠١

(٨) انظر طبقات النحاة واللغويين : ٣١٧ ، ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٠ وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٣٧ ، الذى جاء فيه (حمدون) .

(٩) تنقيح المقال ١ : ٣١٧ .

وأما خلافهم في اسم أبيه فلعله مثل سابقه ، وغالب ظني أن حاجي خليفة اعتمد في ذلك على ما جاء في الورقة الأولى من العشرات [١] ، إذ تقارب نون ابن في كتابتها ياء أبي ولعلّ ما يؤكد ما ذهبت إليه أن حاجي خليفة ذكر ابن خالويه في مواضع متعددة في مؤلفه باسم (حسين بن احمد المعروف بابن خالويه [٢] ، ولم يذكره باسم (الحسين بن عبدالله) إلا في موضعين ، أحدهما عند ذكره لمؤلفه العشرات [٣] ، والآخر عند ذكره لأحد كتب القراءات [٤] . والقول نفسه مع ما طالعنا به غلاف [٥] الحجة في القراءات السبع ، إذ ذكر أنه (الحسين بن خالد ابن خالويه) .

وما ذكره ابن طاوس وغيره من أنّ الحسين بن محمد مرفوض لأنه طالعنا في مؤلفاته بتدوين اسمه في ثناياها (الحسين بن خالويه) بالإضافة إلى إجماع جمهرة مترجميه على أنه (الحسين بن أحمد) .

بقي القولان ، (الحسين بن أحمد بن خالويه) و (الحسين بن خالويه بن أحمد) ، ولعلّ أنصار القول الثاني انساقوا وراء ما وجدوه في ثنايا مؤلفاته . صحيح أن ابن خالويه كان يوقع (الحسين بن خالويه) فيطول نون الحسين ونون ابن ، ولذلك سمي بذي النونين [٦] . وقد يتساءل المرء لم لم نقل إنه كان يوقع (الحسين بن أحمد) فيطول النونين كلتيهما ؟ ولعلّ أحد الأسباب يكمن في أن هناك همذانيا آخر بهذا الاسم ، وهو معاصر له ، واسمه (الحسين بن أحمد بن يعقوب أبو محمد الهمذاني) المعروف بابن الحائك النحوي [٧] . ولعلّ لفظة خالويه تكاد تكون اللفظة الفارسية الوحيدة في اسمه ، وأن ما تبقى من ألفاظ عربية لها صلة بالتشيع ، وتكاد كتب التراجم تجمع على أنه دخل بغداد عام (٣١٤ هـ) ، ولعلي

---

(١) انظر العشرات في اللغات ، الورقة الأولى .

(٢) انظر كشف الظنون : ١٢٣ ، ٦٠٢ ، ٢ : ١٢٧٢ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٧ ، ١٤٦١ .

(٣) انظر ٢ : ١٤٣٩

(٤) انظر ٢ : ١٤٤٩

(٥) انظر الحجة في القراءات السبع : ٣٣

(٦) انظر لسان الميزان ٢ : ٢٦٧ ، وإشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ، ورقة : ١٧ .

(٧) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٣١

أرى أن لفظة حمدان قبل خالويه أو بعدها ليست اسما لأحد أجداده، وذلك لأن ابن النديم وغيره لم يذكروا حمدان، ولأن هذه اللفظة لم تطالعني في ثنايا مؤلفاته جميعها. ولعل لهذه اللفظة صلة ببني حمدان حكام حلب أولياء نعمته، إذ أحب ابن خالويه أن يتقرب إليهم بالانتساب، ولعل ما يؤكد ذلك ما طالعنا به في مؤلفيه شرحه لمقصورة شيخه ابن دريد و (ليس في كلام العرب)، جاء في الشرح ما يلي: ((لم نجد في كلام العرب لندمان نظيرا إلا أربعة أحرف: يقال: نديم ونادم وندمان، وسليم وسالم وسلمان، ورحيم وراحم ورحمان، وحامد وحميد وحمدان وهذا نادر)) [1]، وجاء في (ليس) ما يلي: ((قلت لسيف الدولة بن حمدان: قد استخرجت فضيلة لحمدان جد سيدنا لم أسبق إليها، وذلك أن النحويين زعموا أنه ليس في الكلام مثل رحيم وراحم ورحمان إلا نديم ونادم وندمان، وسليم وسالم وسلمان، فقلت: فكذلك حميد وحامد وحمدان)) [2]. وننتهي من هذه المسألة إلى أنه الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني، ويدعم ما نذهب إليه ما طالعتنا به أغلفة مخطوطات [3] مؤلفاته.

ولعل المرء يتساءل عما تعنيه لفظة خالويه كغيرها من الأسماء التي انتهت باللاحقة (ويه) مثل: سيبويه، نفطويه، درستويه، زنجويه وغيرها، وقبل أن أوضح مضمونها أود أن أبصر القارئ الكريم بالمضمون الذي طالعنا به ابن خالويه للفظة سيبويه في نقل ياقوت الحموي: ((وسيبويه لقب، ومعناه رائحة التفاح، يقال كانت أمه ترقص بذلك في صغره. ورأيت ابن خالويه قد اشتق له غير ذلك فقال: كان سيبويه لا يزال من يلقاه يشم منه رائحة الطيب، تسمي سيبويه، ومعنى سي ثلاثون، وبوى الرائحة، فكأنه رأى ثلاثين رائحة طيب، ولم أر أحدا قال ذلك، غير ابن خالويه)) [4].

وأما مضمونها في لغتنا العربية فهي تشير إلى أن ويه اسم شيطان في رأي السيوطي ((قلت: هذا اصطلاح لأهل الحديث في كل اسم بهذه الصيغة، وإنما عدلوا إلى ذلك لحديث ورد أن (ويه) اسم شيطان فعدلوا عنه كراهة له)) [5]. ولفظة الخال في العربية تحمل عشر معان ذكرها ابن خالويه نفسه [6]، وهي في الفارسية الوشم كما هي في العربية أيضا.

---

(١) المزهر في علوم اللغة ١: ٩٠

(٢) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٣) انظر شرح مقصورة ابن دريد، والقراءات، والبديع في القراءات السبع.

(٤) ارشاد الأديب ٦: ٨٠ ـ ٨١

(٥) بغية الوعاه ١: ٤٢٨

(٦) انظر العشرات في اللغات، ورقة: ١٠ ـ ١٢

وراجعت بعض المختصين [1] في اللغة الفارسية مستفسرا عن هذه اللفظة وأصل اشتقاقها ، فذهب الدكتور مرتضى مشربي إلى أن كلمة ويه علامة للنسبة والتصغير ، وأن كلمة خال عربية ، وويه بهلويه . وشاركه في ذلك الدكتور سادات ناصرى الذى ذهب إلى أن لفظة ويه فارسية مأخوذة من اللغة البهلوية وتعني النسبة . وأما الدكتور باذركاني فكتب مقالة مفصلة عن اللاحقة (ويه) في ثلاثين صفحة ، أكد فيها أن لفظة (وي) تعني ضمير الغائب المنفصل في اللغة العربية (هو) ، فلفظة سيبويه مركبة من (سيب وى) ، ويرى أن هذا الضمير في مثل هذه الألفاظ المركبة يعود بالدرجة الأولى إلى الله تعالى ، أي أن (سيب وى) تعني تفاحة الله ، أى أن هذا الصبي الذى رزقنا الله تعالى به جميل لطيف كالتفاحة الحمراء العطرة ، إذ هو تفاحة أهداها الله لأمه وأبيه . والقول نفسه مع راهويه ، ودرستويه ، وشيرويه . ولعلّ ما أشار إليه الأستاذ الفاضل له صلة بالحياة التي كان يعيشها جد ابن خالويه في همذان وهي حياة عامرة بالتشيع ، إذ تكاد الأسماء التي يسمون بها أولادهم تكون ذات صلة بالتشيع [2] .

ولفظة خالويه لم تطلق على الحسين بن أحمد فقط ، بل شاركه آخرون فيها ، ومن هؤلاء خالد بن يزيد [3] ، وهو مولى بني المهلب ، كان يقال له خالويه المكدى ، وكان أديبا ظريفا متكلما بليغا ومنهم أيضا القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف ابن مهجور [4] ، وهو شيخ سمع الحديث ، ويقال إنه من شيوخ النجاشي ، وله من المؤلفات عمل رجب ، وعمل رمضان وعمل شعبان . وهناك شخص آخر ذكره المسعودى في (مروج الذهب ومعادن الجوهر) [5] اسمه خالويه المحاكي .

كنيته :

لقد أجمع مترجموه على أنه أبو عبد الله الحسين بن أحمد إلا ما طالعنا به صاحب العبر [6] الذى ذكر أنه أبو عبيد الله ، وشيرويه [7] الذى كناه بأبي علي . ولعلّ الصواب ما أجمعوا عليه لأن هذه الكنية تطالعنا في ثنايا مؤلفاته كثيرا [8].

---

(١) تلقيت رسالة من أحد الزملاء الذى قام مشكورا بالاستفسار عن هذه اللفظة ، ودون لي فيها ردود بعض الأساتذة في جامعة طهران بتوقيعاتهم .

(٢) سيأتي التفصيل في هذه المسألة فيما بعد .

(٣) انظر ارشاد الأديب ٤ : ١٦٩ — ١٧١

(٤) انظر ريحانة الأدب ٥ : ٣٢٣ ، وروضات الجنات : ١٣٧

(٥) ٣ : ٤٦١ — ٤٦١

(٦) انظر العبر وفيات (٣٧٠ هـ)

(٧) انظر انباه الرواه ١ : ٣٣٥

(٨) انظر اعراب ثلاثين سورة ٣ ، ١٦ والعشرات في اللغات ورقة : ٥٩ والقراءات اللوحتان ٦٢ ، ٧٩

لقبـــــــــــــه :—

لقـد كان يلقّب بذى النونين لأنه كان يطول نوني الحسين وابن [1]، وذكـر صاحب (الفلاكة والمفلوكين) أنه قرأ بخط ابن مكتم أن ابن خالويه كان يلقـــب بذى النونين لأنه كان يطولهما بخطه ، وذكر انه وجد على نسخة من إصلاح المنطـق بخط أبي الحسن علي بن عبدالله بن أحمد البزار ما مثاله : لما فرغت من هذا الجزء كان ابو سعيد العطاردى حاضرا فقال على لساني [2]:

قرأت ما فيه على الحسيـــــــن ... قرّاءة صدق لم تشب بمين

مستفهم الشكل مرتيـــــــن ... فجاء كالمسك على لُجَيْن

أو كهذراء فوق عارضيـــــــن ... حتى اذا ما تم لي بلـــون

شرّفني الأستاذ بالنونيـــن

أسرته وعيشـــــــــه :—

لـم تزودنا كتب التراجم والطبقات وغيرها بما نستطيع أن نتعرف به علـــى أسرته في ظروفها الخاصة والعامة ، لأن أخباره غير معروفة على استقصاء ، وكل ما نعرفه أنه من أسرة من همذان ، ذلك البلد الذى اشتهر بفرط برودته التي قاسى منهـــا ابن خالويه كثيرا مما جعله ينظم شعرا فيها [3]:

اذا همذان اعتارها القرّ وانقضـــــ ... برغمك ايلول وأنت مقيـــــم

فعينك عشاء وأنفك سائـــــل ... ووجهك مسود البياض بهيـــم

وأنت أسير البرد تمشي بعلـــة ... على السيف تحبو مرة وتقـــوم

بلاد اذا ما الصيف اقبل جنـــة ... ولكنها عند الشتاء جحيـــم

ولذلك يطالعنا بوصف الأكسية التي يلبسها الناس خوفا منها ، ويؤكد ذلـــك بشعر لأحد الهمذانيين : ((وإنما ضرب المثل بأكسية همذان لأن أشد بلادالله سبحانه بردا همذان .. قال وهب الهمذاني يصف شدة بردها :

---

(١) انظر إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ، ورقة : ١٧ والفلاكـــة والمفلوكين : ١٠١

(٢) انظر الفلاكه والمفلوكين : ١٠١

(٣) يتيمة الدهر ١ : ٨٨ . وانظر شعرا آخر لغيره في معجم البلدان ٥ : ٤١٤

يوم من الزمهرير مقـــــــــرور عليه ثوب الضباب مـــــزرور
كأنما حشو جونا إبـــــــــر والأرض تحتنا قواريـــــــر
.....» (١).

وذكر القفطي أن له صديقا بالشام يدعى عبد الرحمن الجلاب : ((وذكـــــره شيرويه في علماء همذان فقال الحسين بن محمد بن خالويه ، أبوعلي الأديـــــب ، رفيق عبد الرحمن بن حمدان الجلاب بالشام)) (٢). وأما الصديق الآخر الـــــذى يجله ابن خالويه ويقدره فهو أبو فراس الحمداني الذى شايعه وناصره ضد أبـــــي الطيب المتنبي وأنصاره كابن جني وأبي الطيب اللغوى وغيرهما (٣).

وأما أوضاعه المعيشية فيتراءى لي أنه كان فقيرا قبل أن يلتحق بولي نعمتـــــه سيف الدولة الحمداني ، لذلك غادر همذان إلى الدينور ، والرى وقزوين ، وبغـــداد (٤) التي توجه اليها بعد أن تناقلت الأخبار عطاءات ذوى الجاه والسلطان ، ولكـــــن الحظ لم يحالفه فيها فقصد حلب والتحق ببلاط سيف الدولة أميرها ، إذ أصبـــــح هناك ميسور الحال ، بعد أن أخذ يتلقى هبات سيف الدولة وولديه ، فتبدو هذه النعمة عليه بارتدائه طيلسانا من الصوف الأزرق . وينال في حلب مكانة مرموقة من مظاهرهـــا ضربه للمتنبي بالمفتاح دون أن يثأر سيف الدولة لأبي الطيب الذى يغادر حلـــــب متوجها إلى مصر حيث كافور الاخشيدى . ويعترف بسخاء ولي نعمته أمير حلب وذلـــك بنسبة بعض الكرماء إليه : ((.. إنما استشهدت بشعره لأنه ملك كريم كان سخـــاؤه وكرمه يضاهيان كرم سيف الدولة وسخاءه)) (٥).

وتزداد أوضاعه سوءا بوفاة سيف الدوله (٣٥٦ هـ) ، فيغادر حلب قاصـــــدا بغداد علّه يجد فيها ما يحسن من أوضاعه ، ولكن أمله يخيب فيتركها قاصدا اليمـــن وغيرها ، ويطالعنا ما ألم به من فقر في بيتين من الشعر يعتذر فيهما لمن قصـــــده يريد عطاءه :

الجود طبعي ولكن ليس لي مـــــال فكيف يبذل من بالقرض يحتـــــال
فهاك حظي فخذه اليوم تذكـــــرة إلى اتساعي فلي في الغيب آمـال (٦).

---

(١) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس، ورقة : ١٦٠
(٢) انباه الرواه ١ : ٣٢٥
(٣) سيأتي التفصيل في هذه المسألة فيما بعد .
(٤) سيأتي التفصيل في تنقلاته فيما بعد .
(٥) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس، ورقة : ١٠١ ـ ١٠٣
(٦) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٣ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٠٤

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أخلاقه وصفاتـــــــــه :

لقد استطعت من خلال معايشتي لمؤلفاته أن أجمع بعض النصوص أستطيـــــع بواسطتها أن أرسم معالم شخصيته الأخلاقية ، وهذه النصوص تشير إلى أنه كان يتصف بأخلاق فاضلة في كل مواقفه ماعدا ما طالعنا به من ألفاظ التراشق التي كان يلجـــأ اليها في الرد على خصومه كأبي علي الفارسي وأبي الطيب المتنبي . ولعلنا نلمـــح في حياته قبل أن تطأ قدماه أرض بغداد وجهة دينية مستقيمة ، إذ يذكر أن إمام جامع قرميسين يحدثه ، وأن عبدالله بن وهب الحافظ يحدثه في الدينور أيضا . وفـــي بغداد يجد جوا دينيا يسيطر على بعض من سيختلف إلى حلقاتهم كابن مجاهد ، وأحمد ابن عبدان ، ومحمد بن حفص وغيرهم [(١)] ، فتزداد عقيدته رسوخا وتنمو المسحة الدينيـة عنده ليصبح فيما بعد إماما يختلف إليه المريدون لتلقي علوم الأحاديث والقراءات [(٢)] وتطالعنا هذه المسحة الدينية راسخة في موقفه المشرف من القرآن وقراءاته والحديـث النبوي الشريف ومما يؤكد شدة تدينه وتعلقه بدينه ما تطالعنا في مؤلفاته من إشارات، من ذلك قوله : ((قال ابن خالويه : صليت في شهر رمضان خلف ابن شنبوذ وكـــان يقرأ .....)) [(٣)] ، وقوله : ((وسمعت ابن مجاهد غير مرة يقرأ في الصلاة هذه السورة فيتعمد الوقف .....)) [(٤)] ولا يسكت عما يوجهه بعض الرافضة لأبي بكر من نقـــد بل يرد ذلك دفاعا عن الصدّيق كما مرّ [(٥)].

ولم يطالعني في مؤلفاته بمدح الخمرة أو الثناء عليها ، بل يكتفي باستقصـــاء أوصافها وأسمائها [(٦)] لأن مسائل اللغة توجب عليه ذلك . والقول نفسه مع موقفه مما كـــان سائدا في بغداد وغيرها آنذاك من لهو ومجون ومغامرات غزلية ، إذ لم نقع إلاّ على بيتين من الشعر قالهما في أيام فتوته [(٧)]:

أيا سائلي عن محبوبي الذى كلفـــــت ... به وجدا وهجت غرامـــــا
أبى قصر الأغصان ثم رأى القنـــــا ... طوالا فأضحى بين ذاك قوامـــا

---

(١) سيأتي التفصيل في ذلك فيما بعد .

(٢) انظر بغية الوعاة : ١ : ٥٣١

(٣) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ١٢٠

(٤) القراءات ، لوحة : ٥٦٧

(٥) القراءات ، لوحة : ٢٩١ ، وانظر في ذلك ما مضى

(٦) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١٠٥ ـ ١٠٦

(٧) انظر معجم الأدباء ٩ : ٣٠٤

ويتراءى لي أن ابن خالويه تأثر ببعض شيوخه في بعض من أخلاقهم فأبو عمر الزاهد كان يحث الطلبة على مكارم الأخلاق ، ويؤكد لهم أن ترك حقوق الإخوان مذلة ، وأن في قضاء حاجاتهم رفعة (١).

وكان ابن خالويه ممن يعترف لشيوخه بالعرفان ، إذ أجلهم واحترمهم ، وحفظ حقوقهم ، وهي صفة قربته إليهم ، ووثقت عرى الصداقة بينه وبينهم ، ويعترف بذلك شيخه نفطويه نفسه : ((وقال ابن خالويه : وقال لي يوما وقد حضرته الوفاة : قد جالستني فما رأيت منك إلا خيرا ، فادع لي ، ثم قال : وضئوني ، وقد كنت آخذ بيده فمر بمسجد هشام بن خلف البزار ، فقال : هذا مسجد هشام مقرئ أهل بغداد ، والله ما كان بأعلم مني ، ولكنه أطاع الله فرفع وعصيت الله فوضع مني))(٢)

ويصف شيخه أبا عمر الزاهد بأنه أوحد عصره في اللغة : ((قال أبو عبدالله : فصار ابو عمر أوحد عصره في اللغة إماما)) (٣) . وعندما لا يرتضى رأي أحدهم لا يسخر منه ليظهره في موقف الضعف أو الجهل ، بل يكتفي بالاستدراك عليه ، من ذلك استدراكه على ابن مجاهد في تخطئته لقراءة ابن عامر في رواية هشام بن عمار (أرجئه) (٤) بالهمز وكسر الهاء : ((... فقال ابن مجاهد : هو غلط ، وكذلك عند النحويين هو غلط لأن الكسرة لا تجوز في الهاء إذا اسكن ما قبلها نحو : منهم واضربهم . وله وجه عندي : وذلك أن الهمزة لما سكنت للجزم وبعدها الهاء ساكنة على لغة من يسكن كسر الهاء لالتقاء الساكنين ، وليس هذا كقولهم : منهم واضربهم ....)) (٥).

ولم يقف هذا الموقف من شيوخه فقط بل طالعنا به مع الخليل وسيبويه وغيرهما من النحاة (٦).

ويباين أبا علي الفارسي في ذلك ، لأنه ترفع على شيوخه وخطّأهم مرارا ساخرا مستهزئا (٧) .

---

(١) انظر انباه الرواه ٣ : ١٧١

(٢) إرشاد الأديب ١ : ٣١٤

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ١٣٣

(٤) الأعراف : ١١١

(٥) القراءات ، لوحة : ١٣٩ ، انظر موقفه من شيوخه .

(٦) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٧) انظر في ذلك أبو علي الفارسي : ١٣٦

وكان ابن خالويه من التلاميذ النجباء في حلقات الدراسة ، لا يستقبل شيئا إلا بعد أن يتأكد من صحته ، وكثيرا ما كان يستفسر من شيوخه عن بعض المسائل التي قد تبدو غامضة ؛ ((لما بلغ ابن مجاهد إلى هذين البيتين قرأ الأول ، قلت : أطال الله بقاء الشيخ المصراع الثاني ، قال : تقرؤه في كتاب النكاح إن شاء الله)) (١).

ولم يتنكر لولي نعمته سيف الدولة الحمداني كما لم يتنكر لشيوخه ، إذ كثيرا ما يطالعنا في شرحه لديوان صديقه أبي فراس الحمداني بالثناء على سيف الدولة وأبي فراس (٢).

ويتراءى لي أنه كان كريما يجود بما في يده ، ولعلّ ما يؤكد ذلك أنه رغم ما كان يصله من عطاء سيف الدولة الوافر ، كان يشكو الفقر بقوله (٣):

الجود طبعي ولكن ليس لي مال ... فكيف يبذل من بالقرض يحتال
فهاك حظّي فخذه اليوم تذكرة ... إلى اتساعي فلي في الغيب آمال

ويرى أن من أراد أن يكون صدرا في المجلس عليه أن يكون سيدا مقداما (٤):

إذا لم يكن صدر المجالس سيدا ... فلا خير فيمن صدّرته المجالس
وكم قائل مالي رأيتك راجلا ! ... فقلت له من أجل أنك فارس

ويتراءى لي من هذين البيتين أنه لم يكن فارسا مقداما يشترك في غزوات سيف الدولة رغم سخريته من أبي الطيب المتنبي ، إذ يسمه بالجبن عندما كان مع سيف الدولة في إحدى غزواته ، فعلقت عمامته بطاقة من الشجر فظن المتنبي أن أحد العلج قد أمسك به ، لذلك أخذ يصيح طالبا النجدة والمساعدة ، وعقب ابن خالويه على هذه الحادثة ساخرا مستهزئا منه : ((أيها الأمير : أليس ان ثبت معك حتى بقيت في ستة أنفار تكفيه هذه الفضيلة ؟ !)) (٥).

واتسم ابن خالويه في حياته بالدقة العلمية المتناهية ، لا يقول في مسألة الا بعد تأمل وتريث ، لذلك يرجع إلى خزانة كتبه

---

(١) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٣٤١ .
(٢) انظر شرح ديوان أبي فراس الحمداني ، ورقة ٨٧ ، وورقة : ١٤٥ ومقدمة الديوان . وانظر ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٣١٤ .
(٣) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٣٠
(٤) انظر يتيمة الدهر ١ : ٨٨ ، وبغية الوعاة ١ : ٥٣٠
(٥) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٧٩

عندما وصلته رسالة من سيف الدولة يطلب منه فيها أن يرد على بعض المسائل اللغوية ، ويعلق أبو العلاء على هذا الصنيع بقوله : ((وأما أبوعبدالله ابن خالويه وإحضاره للبحث النسخ ، فانه ما عجز ولا أفسح ، أى نسي ولكن الحازم يريد استظهارا ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهارا)) (١) .

واتسم ابن خالويه بالتواضع ، إذ لم يترفع على طلبته رغم بلوغه من العلم مرتبة مرموقة ، لذلك يرد على من يريد تعلم العربية بكل تواضع بقوله : ((أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ، ما تعلمت ما أقيم به لساني)) (٢) . ولعل ما يؤكد ما مرّ قول ابن فارس : ((قال بعض الفقهاء : كلام العرب لا يحيط به إلا نبي ، وهذا كلام حرى أن يكون صحيحا . وما بلغنا أن أحدا ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها ....)) (٣) .

ونلمح من أسانيده لكل من الأحاديث النبوية والقراءات القرآنية أنه كان ثقة صادقا يتثبت من صحة الرواية ، إذ عندما يطالعه راو كاذب يفصح عن رأيه فيه : ((وأخبرني [.....] (٤) وكان كذابا عن أبيه عن أبي حنيفة الدينوري قال ....)) (٥) .

ويتراءى لي أنه كان شديد الاعتداد بأصله متمسكا به رغم كونه يتكلم العربية ويعيش في كنف العرب ورعايتهم ، لذلك يفتخر بمكافأة ابن ميكال لابن دريد لاهدائه له جمهرة اللغة : ((ابن ميكال هو الشاه بن ميكال ، أمير فارس ، وكان ابن دريد في جنبته ، وكان يصله بالألوف ، فعمل الجمهرة ، وهذه القصيدة فيه . فقال علي بن عيسى : ما في الجمهرة عيب ولكنها في ابن ميكال ، يعني أنّ الجمهرة لا نصير لها في الخلافة ، وابن دريد إمام في عصره ، فوجب أن ينسبه إلى خليفة أو وزير)) (٦) .

ولعلّ خير ما يؤكد ذلك احتداده الشديد عندما عيره المتنبي بأصله (٧) ، ويصل به احتداده إلى ضرب أبي الطيب بالمفتاح .

---

(١) رسالة الغفران ومعها رسالة ابن القارح : ٥٤٨ ـ ٥٤٩ . سيرد التفصيل في هذه المسألة فيما بعد : ٧٩

(٢) بغية الوعاة ١ : ٥٢٩ . سيرد التفصيل في ذلك فيما بعد عند الحديث عن آراء القدامى والمحدثين فيه : ٨٢

(٣) الصاحبي في فقه اللغة : ٤٧ .

(٤) مابين الخاصرتين لم أستطع قراءته .

(٥) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٩٩

(٦) المصدر نفسه ، ورقة : ٩٦

(٧) سيأتي التفصيل في ذلك فيما بعد : ٨١

ويتخذ الأستاذ آدم متز من هذه الحادثة وسيلة ليسمه بغلظ الطبع :
((وكان ابن خالويه اللغوي عالما غليظا ، فيحكى أنه وقع بينه وبين المتنبي كلام في مجلس سيف الدولة فوثب ابن خالويه على المتنبي ، وضرب وجهه بمفتاح كان معه ، فخرج المتنبي ودمه يسيل على ثيابه)) (١) . ولعلي لا أوافق الأستاذ الفاضل فيما ذهب إليه ، أنتوقع منه السكوت على من عيّره بأصله الخوزي (٢) ، ألا يجوز له الدفاع عن النفس اذا عرفنا كبرياء أبي الطيب وعجرفته ؟ تلك طبيعة النفس البشرية . ولعلنا نلتمس له عذرا آخر وهو هجوم أبي علي الفارسي عليه بألفاظ يسمه فيها بالعامية والمرض والإفك (٣) ، أيسكت ابن خالويه ومثل هذه الألفاظ تنوشه من كل صوب .

ويجرفه تيار المنافسة والتعصب ليوجه ألفاظا نابية لا يصح أن يلجأ إليها من كان ذا عقيدة راسخة وإيمان صادق ، فهو يطلق على أبي الطيب اللغوي لقب (قرموطة الكبرتل) (٤) ، أي أنه يشبهه في قصر قامته بدحروجة الجعل : ((.... فألقيتها على (قرموطة الكبرتل) بحضرة سيف الدولة فلم يدر ففهمته ...)) (٥) . إنه

أما اتهام أبي علي الفارسي له بالوشاية ، وبقلة التحفظ في رسالة أرسلها لسيف الدولة يشكوه فيها إليه كما مر (٦) . فلا نستطيع أن نتخذها دليلا على ما وسمه به عدوه لأن التزلف إلى ذوي الجاه والسلطان يفرض على المتزلفين أمورا أكثر من ذلك ، والرسالة لا تطالعنا إلا برأي أبي علي الفارسي الذي استعمل الفاظا تدل على حقده الشديد عليه .

ويتراءى لي أن ابن خالويه كان من الذين يتأنقون بفاخر الملابس لأنه كان يلبس طيلسانا من الصوف الأزرق بحضرة سيف الدولة بينما كان يلبس غيره درّاعة عادية (٧) .

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٣٥٠

(٢) انظر الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٨٧ ، ومعجم البلدان ٥ : ٤١٤

(٣) انظر خزانة الأدب ١ : ٣٥٤ . سيرد التفصيل في هذه المسألة فيما بعد .

(٤) في النص (قرطومة الكبر) والصواب ما أثبتناه .

(٥) ليس في كلام العرب : ٦ . وانظر في ذلك رسالة الغفران ومعها رسالة ابن القارح : ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٦) انظر المسائل الحلبية ، ورقة : ١١٣

(٧) انظر في ذلك الصبح المنبي : ٩٣ ، وانباه الرواه ١ : ٣٢٧ .

تشيعه ومذهبه الفقهـــــــي :

لقـد ذهب الأستاذ المشرف الدكتور عبد العال سالم إلى أنّ ابن خالويـــه سني معتمدا في ذلك على ما قاله الذهبي ، وعلل ابن حجر ذلك بقوله : ((وقـال الذهبي في تاريخه كان صاحب سنة . قلت : يظهر ذلك تقربا لسيف الدولة صاحـب حلب ، فانه كان يعتقد ذلك)) (١) . وأنكر الاستاذ الفاضل أنْ يكون ابن خالويـه شيعيا إماميا متخذا عمدته في ذلك ما جاء في مؤلفاته من ميل إلى المذهـب الشافعي ، وذكر أنه لو كان شيعيا لافتضح أمره : ((وفي رأيي أن ابن خالويـه لو كان إماميا لاشتهر أمره ، وفضحه أعداؤه ومنافسوه في وقت كانت تعد فيه الهفوات ، ولو كان المتنبي يحس أنه إمامي لهجاه ، وأظهر عواره لسيف الدولة السني ليبعده من بلاطه ويطرده من بلاده . ولو كان ابن خالويه إماميا لما سكت عنه أبو علـي الفارسي في رسائله التي كان يبعث بها إلى سيف الدولة مدافعا عن التهم التـي يوجهها إليه ابن خالويه . ولو كان ابن خالويه إماميا لما تعبّد على المذهـب الشافعي ، لأن الشافعي سني ، وقد ذكره السبكي في طبقات الشافعية)) (٢) .

وينتهي الأستاذ الفاضل من هذه المسألة إلى أنّ ابن خالويه مولع بالتأليف فـي موضوعات متعددة ، ولذلك طالعنا بكتابه (الإمامَة) الذى اتخذه بعض الباحثين دليلا على تشيعه (٣) .

لعل الأستاذ الفاضل انساق وراء كل من الذهبي وابن حجر الذى ذهـب في الخطأ شططا . أما كون سيف الدولة سنيا فهو ادعاء باطل مرفوض ، لأن بيئـة سيف الدولة آنذاك تغلغلت فيها موجة التشيع كما مر ، وسيف الدولة نفسه كان شيعيا أيضا (٤) . والقول نفسه مع أبي فراس الحمداني الذى نظم شعرا يتوسل فيـه لآل البيت (٥) .

وتشيع الأمير سيف الدولة واضح لأنه كثيرا ما يطالعنا بالسلام على علـي : ((... صدق أمير المؤمنين عليه السلام)) (٦) .

---

(١) لسان الميزان ٢ : ٢٦٧

(٢) مقدمة الحجة في القراءات السبع : ١٣ ـ ١٤

(٣) المصدر نفسه : ١٤

(٤) انظر في ذلك ما مضى : ٥

(٥) انظر في ذلك ما مضى : ٥

(٦) انظر شرح ديوان أبي فراس الحمداني ، ورقة : ٨٧ .

ويؤكد الأستاذ محمد راغب الطباخ ذلك معتمدا على ما وجده من نصوص وإشارات في كتب القدامى ، ويذكر أن سيف الدولة استقدم جماعة من الشيعة بعد أن هاجم الروم حلب عام (٣٥١ هـ) وكان من بينهم الشريف ابراهيم العلوى (١).

وأما حجة الاستاذ الفاضل الثانية فهي أنه كان يتعبد على المذهب الشافعي ، والشافعي نفسه سني ، صحيح أن ابن خالويه يظهر ميلا شديدا إلى الشافعي ومذهبه ، ويقف إلى جانبه غالبا ، وهي مسألة ستتضح فيما بعد ، ولعل ميله إلى الشافعي له صلة بالتشيع ، وذلك لأن الشافعي كان يقول ((علي بن أبي طالب ابن عمي وابن خالتي)) (٢). ويروى أنه اتهم بموافقة العلوية والخروج على الرشيد (٣). وما رأيك في رأى الشافعي في معركة صفين ، إذ يقف فيها إلى جانب علي رضي الله عنه ؛ ((وأما مذهبه في قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مع أهل القبلة فروى البيهقي عن الحاكم أبي عبدالله بإسناده عن الشافعي قال : سئل عمر بن عبد العزيز عن أهل صفين فقال : تلك دماء طهر الله منها يدى ، فلا أحب أن أخضب منها لساني ، قال الشافعي : هذا حسن جميل لأن سكوت الإنسان ، عما لا يعنيه هو الصواب ، وأما إذا احتاج الرجل إلى أن يعلم السيرة في قتال أهل البغي فلا بد له من متابعة علي على سيرته في قتالهم ولا يمكنه ذلك إلا إذا اعتقد كونه محقا في قتالهم وأنهم كانوا مخطئين في قتاله)) (٤). وعندما أراد ان يصنف كتاب السير لم يعول في ذلك إلا على قضايا علي بن أبي طالب (٥).

وأمر آخر اود أن أشير إليه وهو أن الرافضة كانوا يزعمون أن الشافعي منهم معتمدين في ذلك على ما وجدوه في بعض أشعاره من تقرب إليهم (٦):

أنا الشيعي في ديني وأصلي بمكة ثم داري عسقلية

---

(١) انظر أعلام النبلاء بتاريخ حلب ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠

(٢) كتاب فيه مناقب الإمام الشافعي : ٥ ، وانظر صفحة : ٤٨

(٣) المصدر نفسه : ٤

(٤) كتاب فيه مناقب الإمام الشافعي : ٤٩

(٥) المصدر نفسه : ٤٩

(٦) انظر في هذه المسألة المصدر نفسه : ٥٠ ـ ٥١

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وقال أيضا :

إنْ كان رفضا حب آل محمـــــــد فليشهد الثقلان أني رافضـــي (١)

وقال أيضا : (٢)

برئت إلى المهيمن من أنـــــاس يرون الرفض حب الفاطميـــــة

وقال أيضا :

آل النبـــي ذريعتـــي وهمو إليه وسيلتـــي
أرجو بأن أعطى غـــــدا بيدي اليمين صحيفتـــي

ومهما يكن من أمر الشافعي في تقربه إلى الشيعة أوعدمه ، فإن ابن خالويـــه جرفه تيار التشيع في هذه المسألة ، إذ راح يميل إلى الشافعي يعرض بعضا من آرائـه مفضلا مذهبه على غيره من المذاهب .

ولعلّي بعد أن قمت بجولات استقصائية في كتب التراجم والطبقات ، وبعد معايشة لما استطعت الحصول عليه من مؤلفاته أستطيع أن أصدر حكمي بكل ثقة واطمئنان دون تردد ، وهو أنه شيعي متمسك بذلك رغم عدم موافقته لبعض رجالات الرافضة في مسائـل كتلك التي تتعلق بأبي بكر في حديث الرسول عليه السلام (٣) ، وقـد اعتمـدت في ذلك على الأدلة التالية : ـ

١ . لقد أكدت ذلك كثير من كتب التراجم والطبقات (٤) .

٢ . يطالعنا ابن خالويه نفسه بتدوين بعض أقوال النبي عليه السلام في علـي في مواضع متعددة : ((قال النبي صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله))) (٥) (٦) .

---

(١) انظر ديوان الشافعي : ١٨

(٢) انظر المصدر نفسه : ١٨٢

(٣) انظر في ذلك ما مضى .

(٤) انظر في ذلك الرجال : ٥٠ ، ولسان الميزان ٢ : ١٦٧ ، ومنهج المقـال : ١١٢ ، وتنقيح المقال ١ : ٣٢٧ ، والذريعة الى تصانيف الشيعة ٢ : ١٠١ ، وأعيـان الشيعة ٢٥ : ٤٨ ـ ٦٢ .

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩

(٦) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة ١٣٠ ، وانظر ورقة : ٢١١ .

٣. ويطالعنا في مؤلفاته أيضا بمجالسته لبعض علماء الشيعه والاستماع اليهم، ((أخبرني أبو علي سهل، وهو ابن همّام رأس الشيعه ببغداد عن أبي بكر ابن الاعلم عن محمد بن سلام ....)) (١).

٤. لعن في مؤلفاته يزيد بن معاوية : ((..وهي أم يزيد لعنه الله)) (٢).

٥. يطالعنا في مؤلفاته ببعض القصر عن أنصار الشيعه الذين يدافع عنهم، ((+..قال : وكان جيرانه يرمونه بالحجاره بالليل لأنه كان يحب عليا عليه السلام وكانوا هم عثمانيين فعاتبهم فقالوا : ما نحن نرميكم، وانما ترميكم الجن، فقال : كذبتم لو كانت الجن ترمني، ما أخطأت...)) (٣) (٤) (٥).

٦. يبدي في مؤلفاته اهتماما زائدا بعلي وأبنائه.

٧. يرد على بعض الفرق المذهبيه كالمرجئة مثلا : ((ومنهم المرجئه لأنهم أرجأوا العمل فقالوا : الايمان قول بلا عمل واخطأوا لأن الله تعالى ذمّ قوما آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وهم المنافقون، فقال تعالى : (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) (٦)، فلا يصح الايمان الا بثلاثة أشياء : نطق باللسان، وعمل بالجوارح، وعقد بالقلب)) (٧).

٨. تخرج على يديه طلبه سيئيون، كالفارقي (٨) والمعافى بن زكريا النهرواني (٩) الذي كان كثير الرواية للأحاديث النبوية التي يميل اليها الشيعة، وأبو بكر الخوارزمي الذي كان رافضيا مغاليا، وكان يفتخر بذلك قائلا :

فهأنا رافضي عن تراث ... وغيري رافضي عن كلاله (١٠).

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد، ورقه : ٢٣٣

(٢) المصدر نفسه، ورقه : ٢٤٠-٢٤١

(٣) جيران أبي الاسود الدؤلي.

(٤) شرح مقصورة ابن دريد، ورقة : ٢٤٥

(٥) انظر في ذلك مثلا القراءات، لوحه : ٢٦٦، وشرح مقصورة ابن دريد ورقة: ١٨٦ وليس في كلام العرب، الجزء الخامس، ورقة : ٩٥، ٢٤٧، ٣١٣

(٦) الفتح : ١١

(٧) القراءات، لوحه : ١٣٨

(٨) انظر أعيان الشيعه ٤٥ : ٢٥٨

(٩) انظر تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣١

(١٠) انظر الوافي بالفيات ٣ : ١٩٤-١٩٥، وارشاد الأديب ١ : ١١٤، وأعيان الشيعه ٤ : ٥٨

الكلالة : أي انه ورث الرفض عن بعيد وليس عن قرب.

٩. لقد وقف ابن خالويه من بعض الأحاديث النبوية موقفا وقفه أنصار الشيعة منها ، لذلك تطالعنا في مؤلفاته بعض الأحاديث التي اختلقها الشيعة ، من ذلك : ((أى وجدك فقيرا فأغناك بخديجة بنت خويلد . وكانت إحدى نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وأم فاطمة عليها السلام ، وكانت موسرة ، فأغنى الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بمالها . وكان صلى الله عليه ليلة أسرى به رفعت له شجرة ، وهي سفرجلة فأكلها ثم نزل فواقع خديجة ، فخلق الله تلك السفرجلة ماء في ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما واقع خديجة خلق الله تعالى من ذلك الماء فاطمة عليها السلام ، فكان صلى الله عليه وآله إذا اشتاق إلى رائحة الجنة قبّل صفحة عنق فاطمة وعرض وجهها)) [1] . وعلق صاحب المستدرك على ذلك بقوله : ((هذا حديث غريب الإسناد والمتن ، وشهاب بن حرب مجهول والباقون من رواته ثقات)) [2] .

وجاء في ذيل المستدرك ما يلي : ((قلت هذا كذب جلي لأنّ فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الإسراء)) [3] .

وظاهرة التلفيق في الأحاديث النبوية معروفة ، ويبدو أن ابن خالويه أصيب بعدواها لأنه يطالعنا بحديث ملفق من مجموعة أحاديث : ((وكان رجل يصلّي خلف النبي صلى الله عليه وآله فمرّ رجل على دابة فرسخت قوائم فرسه في لخاقيق جرذان ، فضحك الرجل في الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وآله ، قال : فجعل الناس يصمّتونني . فلما سلّم صلى الله عليه وآله فبأبي وأمي هو ، ما رأيت معلما كان أرفق منه ، ما كهرني ولا شتمني غير أنه قال صلى الله عليه وآله : (إن صلاتنا لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين))) [4] .

ويبدو أن هذا الكلام ملفق من مجموعة الأحاديث النبوية ، جاء في مسند الإمام أحمد : ((... قال : كنت قاعدا عند الرسول صلى الله عليه وسلم فعطس رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ثم عطس أخرى)) [5] .

---

(١) اعراب ثلاثين سورة : ١٢٠

(٢) المستدرك على الصحيحين في الحديث ٣ : ١٥٦

(٣) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٤) اعراب ثلاثين سورة : ١٢٢

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ : ٤٦٠، وانظر صحيح مسلم ٢ : ٧٠

وجاء في موضع آخر منه أيضا : ((٠٠٠٠ أن معاوية ابن الحكم حدّثه بثلاثة أحاديث ٠٠٠٠٠ قال : هذان حديثان ، قال : فصليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فعطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت ٠٠٠٠٠ ما شأنكم تنظرون إلي ؟ قال : فضربوا بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، سكت حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني ، قال : فبأبي وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فما ضربني ولا كهرني ولا سبني ، وقال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس هذا ، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)) (١).

ويرى الأستاذ سالم الكرنوكي أنه ملفق من ثلاثة أحاديث : ((هذا الكلام ملفق من ثلاثة أحاديث في ثلاثة وقائع : الأول ان رجلا كان واقفا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم فوقعت به ناقته في أخافيق جرذان ٠٠٠ الحديث ٠ والثاني أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بأصحابه فمرّ رجل في بصره سوء فتردّى في بئر ، فضحك طوائف من القوم ٠٠٠٠ الحديث ٠ والثالث حديث معاوية بن الحكم انه كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم قال : فعطس رجل فقلت : يرحمك الله ، فرماني الناس بأبصارهم ٠٠٠٠ الحديث)) (٢). والشيعة لم ينهجوا نهج السنة في تسجيل الصحاح من الأحاديث النبوية ، بل سجلّوا كلّ ما طرق سمعهم فيما عدا الصريح منها في التأليه والحلول ٠ ويرى الدكتور كامل مصطفى الشيبي أنّ كتاب (الكافي في أصول الدين) يجمع (٥٠٧٢) حديثا صحيحا ، تقابلها (٩٤٨٠) حديثا ضعيفا (٣).

١٠ ٠ ما جاء في مؤلفاته من الصلاة على علي وآله ، إذ تطالعنا في مؤلفاته عند ذكره لعلي أو أهل بيته (٤)، أمّا موقفه من أبي بكر وعمر فغالبا ما يطالعنا بذكر اسميهما بخير (رضي الله عنه) لاسيّما عمر بن الخطاب (٥) .

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ٥ : ٤٤٨

(٢) اعراب ثلاثين سورة ، حاشية الصفحة : ١٢٢

(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجرى : ٦٠

(٤) انظر اعراب ثلاثين سورة الصفحات : ٢٨ ، ٧٠ ، ١٠٠ ، ١٢٣ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ٢٠٢ وليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، الورقتان : ٦٤ ، ٢٣٨ ، وشرح مقصورة ابن دريد ، الأوراق : ٢٣ ، ٦٢ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٤٠ ، ٢٤٧ ٠ والقراءات واللوحات : ٥٨ ، ٤٣٠ ، ٤٨٣ ، ٦١٦ ٠

(٥) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٣٠ ، ٢٠٢ ، وشرح مقصورة ابن دريد الأوراق : ٤٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ٢١٥ ٠

١١. جاء في حاشية عصمت علي الجامي : ((منع الشيعة إدخال على على الآل عند التصلية على النبي وآله ، ونقلوا في ذلك حديثا . والتزم أهل السنة ذكرها ردا عليهم ، فان في جميع الأحاديث الصحيحة المذكورة فيها الصلاة على النبي عليه السلام وآله دخل كلمة على على آله . فالظاهر أن ما نقلوه موضوع)) (١). وتحفل مؤلفات ابن خالويه بهذه الظاهرة ، ويكفي أن يلقى القارئ نظرة عابرة على مؤلفه (إعراب ثلاثين سورة) (٢) مثلا ليتأكد من صدق ما أقول .

١٢. يطالعنا بمؤلفات خاصة بآل البيت ، ككتابه الآل (٣) الذى ذكر فيه إمامة علي رضي الله عنه ، واتخذ النجاشي وغيره (٤) هذا المؤلف دليلا على كونه إماميا . ويتراءى لي أنه بعيد جدا عما نسبوه إليه ، فذكر أسماء الأئمة الاثني عشر لا نستطيع اتخاذه دليلا على تأييده لهم ، لأنه لم يتعمد ذكرهم ولكن جاء ذلك عرضا من خلال حديثه عن آل محمد ، وذهب إلى أبعد من هذا باعتباره كل مؤمن من آل محمد على المجاز : ((وقد يجوز أن يجعل كل مؤمن من آل محمد عليه السلام)) (٥).

وأمر آخر أود أن أشير اليه وهو أن الإمامية ترى أن عليا يستحق الخلافة بعد النبي عليه السلام ، وتدعّي أن أبا بكر وعمر مغتصبان ظالمان يجب التبرؤ منهما ، وهي مسألة لم تطالعنا في مؤلفاته ، إذ يكتفي ابن خالويه بلعن يزيد بن معاوية فقط ، أما الخلفاء فلم يلعنهم أو يفضل عليا عليهم إلا في التصلية عليه كما مرّ .

ولعليّ أنتهي من هذه المسألة إلى أن ابن خالويه يتشيع لآل البيت ، وهو تشيع لم يكن مغاليا فيه مغالاة الرافضة أو الإمامية ، ولم يكن متصنعا فيه كابن جني الذى كان يتخذ منه وسيلة للتقرب من ذوى الجاه والسلطان (٦).

---

(١) نقلا عن مقدمة الخصائص ١ : ٣٧ ـ ٣٨

(٢) انظر الصفحات : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٧٧ ، ٢٠١ ، ٢١٨ . ووردت لفظة على مع الآل في مواضع محدودة جدا : ٥٦ ، ٦٥ .

(٣) سيأتي الحديث عن هذا المؤلف فيما بعد .

(٤) انظر الرجال : ٥٠ ، ومنهج المقال : ١١٢ ، وتنقيح المقال ١ : ٣١٧ ، ولسان الميزان ٢ : ٢٦٧ ، وروضات الجنات : ٢٣٦ .

(٥) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٣٩

(٦) انظر في ذلك مقدمة الخصائص ١ : ٣٧ ، وابن جني النحوى : ٥٨ .

وأما مذهبه الفقهي فكان المذهب الشافعي ، ويبدو أثر هذا المذهب واضحا في مؤلفاته ، إذ يكتفي غالبا بعرض رأى الشافعي في المسألة محجما عن غيره : ((حدثني أبو سعيد الحافظ قال : حدثني أبوبكر النيسابوري قال : سمعت الربيع يقول : سمعت الشافعي يقول : أول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم ، وأول البقرة (ألم) . وكل ما ذكرت من اختلاف العلماء ، والقراءة فقد رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذى صح عندى فمذهب الشافعي رحمه الله وإليه أذهب)) (١).

ولم يكن ابن خالويه غريبا في ذلك عن الوسط الذى يعيش فيه ، فشيخه ابن دريد كان شافعيا ، وتتلمذ عليه طلبة شافعيون منهم عبد المنعم بن غلبون (٢) وهو عند السبكي (٣) ، والسيوطي (٤) شافعي ، رغم وهم الأستاذ العاملي الذى نبه على تصحيف لفظة شيعي إلى شافعي في بغية الوعاة : ((وزاد السيوطي في البغية : وكان شافعيا ، والصواب أنه كان شيعيا ، ولعل شافعيا تصحيف (شيعيا) ...)) (٥) .

ثقافته ومصادرها

لقد نهل ابن خالويه من عدة مصادر التقت جميعها لتكون شخصية علمية لها مكانتها في العلوم القرآنية واللغوية . ويتراءى لي أنه درس العربية في مسقط رأسه همذان فأجادها ، ثم ارتحل من بلده همذان ، وأخذ يتنقل بين قرميسين ودينور والرى (٦) ويبدو أنه تلقى دروسا في علوم الحديث (٧) والدراسات الأدبية (٨) في دينور والرى قبل أن يتوجه إلى بغداد وذلك لسماعه من بعض الشيوخ فيها ،

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ١٥ . وانظر أمثلة اخرى في القراءات ، اللوحات : ١٤٣ ، ١٧٦ ، ٥٦٢ .

(٢) انظر شذرات الذهب ٣ : ١٣١ ، وهدية العارفين ١ : ٢٩١

(٣) انظر طبقات الشافعية الكبرى ٢ : ٢١٢

(٤) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٢٩

(٥) انظر أعيان الشيعة ٢٥ : ٤٩

(٦) سيأتي الحديث عن رحلاته فيما بعد .

(٧) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٨٩

(٨) انظر القراءات ، لوحة : ٦١٤ ، وشرح مقصورة ابن دريد ورقة : ٢١٨ ـ ٢١٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

من ذلك قوله : ((حدثنا عبد الله بن وهب الحافظ بالدينور .....)) (١) وقوله : ((وحدثني أبو الحسن الطلاس بالرى .....)) (٢) وقوله : ((وإنما جاز ذلك في بيت شعر أنشد فيه أبو بشر بالرى عن المازني .....)) (٣).

ويختلف في بغداد إلى حلقات شيوخ أفذاذ في العلم القرآنية واللغوية كابن مجاهد وابن الأنبارى ، وأبي عمر الزاهد ، وابن دريد ، ونفطويه ، وغيرهم كما سيتضح فيما بعد . ولم يكن يجالس هؤلاء الشيوخ في حلقاتهم العلمية فقط بل كان يلتقي بهم في منازلهم ، إذ يعترف بذلك شيخه نفطويه عندما كان ابن خالويه يأخذ بيده وهو مريض (٤) وبقي في بغداد يختلف إلى الشيوخ إلى أن غادرها إلى حلب : ((فلزمت أبا عمر إلى أن خرجت من بغداد ....)) (٥)، ويتصدر فيها للتدريس، ويختلف إليه الطلبة لينهلوا منه دينيا ولغويا ونحويا وأدبيا ، وكانت له فيها خزانة كتب يعود إليها بين الحين والآخر كعودته إليها بحثا عن الإجابة على تلك المسألة التي أرسلها إليه وإلى أبي الطيب اللغوى سيف الدولة (٦) .

ولم يكتف بما تلقاه عن شيوخه بل راح يعايش كتب اللغة والنحو والتفسير وغيرها ليثبت صحة ما تلقاه أو يستدرك عليه (٧). فكتاب سيبويه كان مرجعا هاما من مراجعه ، لأن نقوله منه تطالع القارئ كثيرا في مؤلفاته (٨) . ويعتمد أيضا في مؤلفاته على كتب أبي العباس المبرد (٩)، ونوادر اللحياني (١٠)، وكتب أبي زيد (١١) وكتب أبي عمر الجرمي (١٢)، وكتب الجاحظ (١٣)، ومعجم العين للخليل بن احمد (١٤)

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٨٩

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٢١٨ ـ ٢١٩

(٣) القراءات ، لوحة : ٦١٤

(٤) انظر في ذلك ما مضى .

(٥) ليس في كلام العرب : ٤٣

(٦) انظر في ذلك ما مضى ص ١٦

(٧) انظر استدراكاته على سيبويه في الباب الثالث .

(٨) سيأتي تفصيل هذه المسألة فيما بعد .

(٩) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١١٩ . سيأتي التفصيل فيما بعد .

(١٠) انظر المصدر نفسه ، ورقة : ٢١٩

(١١) انظر المصدر نفسه ، ورقة : ١٣٧ ، وانظر الشجر : ١

(١٢) انظر القراءات ، لوحة : ١٢٤ ، وانظر بغية الوعاة ١ : ٥٣٠

(١٣) انظر اعراب ثلاثين سورة : ١٢٨

(١٤) انظر مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ١ ، ١٥٧ . والقراءات اللوحتان : ٢٩٠ ، ٥٦٦ .

وأمالى أبى عبيد (١) وأمثاله التى يطالعنا بتعليقات عليها بالاضافه إلى روايتها (٢)، وجمهرة ابن دريد (٣)، اذ يطالعنا باستدراكات عليها بالإضافه إلى روايتها، والزاهر لابن الأنبارى (٤)، واصلاح المنطق لابن السكيت، وقد كان يدرسه لطلبته (٥) ويعتمد فى ميدان الدراسات القرآنيه على معانى القرآن للفراء (٦)، ومعانى القرآن للزجاج (٧)، وكتاب السبعة لابن مجاهد (٨)، ويبدو أنه لم يقتصر فى هذا الميدان على مصحف واحد بل تطالعنا فى مؤلفاته (٩) مصاحف كثيرة منها: مصحف كلٍّ من أبى وعثمان (١٠)، وابن الشميط (١١)، وابن مسعود (١٢). وأحيانا يشير الى أنه اعتمد على مصاحف الشام (١٣)، ومكه (١٤)، والحجاز (١٥)، والبصره (١٦)، والكوفه (١٧)، ويبدو أنه كان ذا معرفة واسعة فى كلام العرب منظومه ومنثوره (١٨)، لذلك تكثر الاشعار فى مؤلفاته كثرة مفرطة.

ولم يقتصر فى ثقافته على الشيوخ ومجالستهم، أو المؤلفات المختلفه ومعايشتها بل طالعنا بمجالسته للناس والسماع منهم، لذلك يطالعنا بالتنبيه على بعض الأخطاء الشائعه فى اللغه العاميه، (الحواميم ليس من كلام العرب، إنما هو من كلام الصبيان، تقول: تعلمنا الحواميم، وإنما يقال: آل حاميم، كما قال الكميت (١٩):

وجدنا لكم فى آل حاميم آيه (٢٠).

---

(١) انظر الاشباه والنظائر ٤: ١٣٠

(٢) انظر الأمثال العربية القديمه: ٩٦

(٣) سيأتى التفصيل فيما بعد.

(٤) انظر مختصر فى شواذ القران من كتاب البديع: ٢٤، وليس فى كلام العرب: ٥٤

(٥) انظر الفلاكه والمفلوكين: ١٠١

(٦) انظر القراءات، لوحة: ٥٠٠ سيأتى التفصيل فيما بعد.

(٧) انظر ليس فى كلام العرب: ٤٨

(٨) سيأتى الحديث عن هذه المسأله فيما بعد: ١٩٥

(٩) انظر مختصر فى شواذ القرآن: ٨، ٧١، ١٠١

(١٠) انظر المصدر نفسه: ٧١، ٧٨، ١٥٣ (١١) انظر المصدر نفسه: ٤٨، ٥٠

(١٢) انظر المصدر نفسه: ١٢٤، ١٨١

(١٣) انظر القراءات، لوحة: ٨٦

(١٤) انظر المصدر نفسه: لوحه: ٤١٢

(١٥) انظر المصدر نفسه، لوحه: ٣٥٥

(١٦) انظر المصدر نفسه، لوحة: ٣٥٥

(١٧) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه

(١٨) انظر فى هذه المسأله موقفه من الشاهد الشعرى والنثرى.

(١٩) انظر لسان العرب (حمم)

(٢٠) البيت بتمامه: وجدنا لكم فى آل حاميم آيه تأولّها منا تقىٌّ ومعرب

انظر المزهر: ١: ٣٠٨، واللسان (حمم).

.....)) (١).

ومن ذلك أيضا سماعه لعقيلي يخاطب سيف الدولة في مجلسه :

((سمعت عقيليا يخاطب سيف الدولة فقال : أنطنا يا سيف الدوله من هذه الدنانير .....)) (٢).

ولعلّ خير شاهد على ثقافته الواسعة تدوينه لآراء كثير من النحاة واللغويين ، واحتواءه لكثير من آراء الأخفش وغيره (٣).

ويذكر الثعالبي أن له شعرا لم يذكر منه إلا أبياتا قليلة :

((وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله :

إذا همذان اعتارها القرّ وانقضى ... برغمك أيلول وأنت مقيم

فعينك عمشاء وأنفك سائل ... ووجهك مسود البياض بهيم

وأنت أسير البرد تمشي بعلة ... على السيف تحبو مرة وتقوم

بلاد اذا ما الصيف اقبل جنة ... ولكنها عند الشتاء جحيم (٤)

وذكر الثعالبي بيتين آخرين فيما يجب أن يتصف به من أراد أن يتصدر المجالس (٥).

وينسب إليه أيضا (٦):

الجود طبعي ولكن ليس لي مال ... فكيف يبذل من بالقرض يحتال

فهاك حظي فخذه اليوم تذكرة ... إلى اتساعي فلي في الغيب آمال

ونسب اليه ياقوت بيتين آخرين في الغزل (٧):

أيا سائلي عن محبوبي الذى كلفت ... به وجدا وهجت غراما

أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا ... طوالا فأضحى بين ذاك قواما

---

(١) المزهر ١ : ٣٠٨ . وانظر القراءات ، لوحة : ٤٧٣ . وانظر مثالا آخر في شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٤٠

(٢) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٣٣٤

(٣) انظر في هذه المسألة بابي النحو واللغة

(٤) يتيمة الدهر ١ : ٨٨ ، انظر في ذلك ما مضى : ٢٦

(٥) المصدر نفسه ١ : ٨٩ . انظر فيها مضى : ٣٠

(٦) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٣٠ ، ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٤

(٧) انظر معجم الأدباء ٩ : ٢٠٤

ويتراءى لي أن مقدرة ابن خالويه الشعرية كانت محدودة ، وذلك لما يطالعنا في البيتين الأخيرين من تكلف ، فالقنا الطوال من أدوات القتال ولكنها تطالعنا في موقف غرامي .

وأما نثره فلم يترك كتابا نثريا يدور حول قصة أو مقالة ، وبالرغم من ذلك فان القارئ يستطيع أن يقف على أهم سماته في هذه المسألة بالعودة إلى مقدمات مؤلفاته ، وشروحه ، ومؤلفاته الأخرى في الاحتجاج والتعليل . ويتسم نثره بسهولة الأسلوب ويسره ، فمعانيه تتسرب إلى الأذهان بسهولة دون الاستعانة بمعاجم اللغة ومظانها . وتخلو مؤلفاته من ألفاظ المنطق والفلسفة وغيرها مما يجعل الأسلوب معقدا يعسر على الأفهام ، وتبدو مكانة ابن خالويه في هذه المسألة واضحة عند مقارنة نثره بنثر أبي علي الفارسي الذي يتصف احيانا بالركاكة والضعف ، لنستمع إلى أبي علي في إحدى رسائله لسيف الدولة يشكو إليه ابن خالويه : ((أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة ، عبد سيدنا ، الرقعة النافذة من حضرة سيدنا ، فوجد كثيرا منها شيئا لم تجر عادة عبده به لا سيما مع مثل صاحب الرقعة إلا أنه يذكر من ذلك ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل فيما يقوله .....)) (١) . ويعقب الأستاذ عبد الفتاح شلبي على ذلك بقوله : ((فانظر كم تكررت كلمة سيدنا في هذين السطرين ؟ ثم كم تكررت كلمة العبد ؟ وكيف دل التكرار على ضعف الأسلوب والخنوع حيث جاء مهلهلا لا يسد وفيه التماسك)) (٢) . وتغيب هذه الهفوات عن نثر ابن خالويه لنستمع إليه في تقديمه لإعراب ثلاثين سورة : ((هذا كتاب ذكرت فيه إعراب ثلاثين سورة من المفصل بشرح أصول كل حرف وتلخيص فروعه ، وذكرت فيه غريب ما أشكل منه ، وتبين مصادره وتثنيته وجمعه ، ليكون معونة على جميع ما يرد عليك من إعراب القرآن إن شاء الله . وما توفيقنا إلا بالله)) (٣).

معرفته للفارسية لغة قومه

يتراءى لي أنه كان ذا باع طويل في اتقان لغته القومية ، وذلك لما يطالعنا في مؤلفاته من حديث عن أصول بعض الكلمات الفارسية من حين إلى آخر ،

---

(١) المسائل الحلبية ، ورقة : ١١٣

(٢) أبو علي الفارسي : ١١٤

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٣

سنتضح . هذه المسألة عند الحديث عن مؤلفاته وأسلوبه في كل منها .

ولعلّ ما يؤكد ذلك ما يلـــي : —

١ • أنه ولد كما أكدت سابقا قبل عام (٣٨٦ هـ) ، وانتقل إلى بغداد عـــام (٣١٤ هـ) ، فقضى هذه الفترة الزمنية متنقلا بين همذان والرى ودينـــور وقرميسين ، فاستطاع بذلك أن يتقن لغته القومية قبل أن يرتحل إلى بغداد عـــام (٣١٤ هـ) •

٢ • تمسكه الشديد بجنسه دعاه إلى اتقان لغته حبا في إحيائها والمحافظـة عليها ، لذلك يستولي عليه الغضب عندما يعيره المتنبي بأصله الخوزى •

٣ • نقول ابن منظور عنه في هذا الميدان في عدة مواضع يوحي بقدمه الراسخـة فيه : ((وقال ابن خالويه : ليست البذرقة عربية ، وإنما هي فارسية ، فعربتها العرب •••••)) (١) . ويبدو ذلك واضحا أيضا في نقل ياقوت لرأيـــــه فيما يراد من لفظة (سيبويه) (٢) .

٤ • يطالعنا بمؤلفات يتحدث فيها عن بعض الألفاظ المعربة من الفارسيـــــة كالإيضاح في القرآن : ((وقال بعضهم : أصله فارسي معرب (استبره) كما أن قوله : (مقاليد السماوات والارض) (٣) واحدها إقليد ، وهو بالفارسيـــة (إكليد) كما قال (من سجيّل) (٤) أى سنك وكل ألفاظ وافقت العربيـــة الفارسية • وقال آخرون : هذا محال ، لا يكون في القرآن غير العربيـــة • وقد فسرت الحجة للفريقين في كتاب (الإيضاح في القرآن))) (٥) . والقـــول نفسه في القراءات (٥) ، وشرح المقصورة وغيرهما • ولعلّ توضيحه لأصول بعض الكلمات يعد خير شاهد على تمكنه من لغته القومية واتقانها ، إذ يطالعنا ذلـــك في مؤلفاته كثيرا ، من ذلك أن الجيد في الفارسية (كردن) : ((والجيـــد ، والكرد ، وأصله بالفارسية كردن فعرّب •••••••)) (٦) . ومن ذلك أن (شاهنشاه) بالعربية ملك الملوك : ((والشاه بالفارسية الملك ، وشاهنشـــاه ملك الملوك (٧))) •

---

(١) لسان العرب (بذرق) وانظر أيضا (جهنم) •

(٢) انظر في ذلك ما مضى •

(٣) الزمر : ٦٣ ، الشورى : ١٢

(٤) الحجر : ٧٤ ، الفيل : ٤

(٥) القراءات ، لوحة : ٥٧١

(٦) اعراب ثلاثين سورة : ٢٢٧ ، وانظر الصفحة : ١٩٤ ، وانظر ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ١٢٤ •

(٧) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٩٦ ، وانظر الورقتين : ٩٤ ، ١٥٨ •

ويبدو أنه كان ملما بالعبرية والسريانية والرومانية لما يطالعنا به من اشارات في مؤلفاته : ((لأن اسمه صلى الله عليه كان عندهم (موذ موذ) بالعبرانية، ويقال (ماذ ماذ)، وبالسريانية (المنحمنا)، و (البَرَاقِليطس بالرومية)) (١).

تنقلاته

أجمعت كتب التراجم والطبقات على أنه دخل بغداد عام (٣١٤ هـ)، وإذ لم تتحدث عنه قبل هذه السنة من قريب أو بعيد . ووهم بعض الدارسين (٢) في أنه غادر همذان مسقط رأسه في السنة التي دخل فيها بغداد، والغالب ظني أنه غادر مسقط رأسه قبل ذلك، لأنه يطالعنا في مؤلفاته بما يوحي أنه دخل ألرى، وقرميسين بحثا عن العلم العربية لينهل منها قسطا وافرا حتى يستطيع الارتحال إلى بغداد، ففي دينور يحدثه القاضي عبدالله بن وهب الحافظ (٣)، وفي الري يحدثه أبو الحسن الطلاس (٤)، وفي قرميسين يحدثه إمام مسجدها : ((حدثني إمام جامع قرميسين قال : دخلت على ابن قتيبة فسألته عن قوله تعالى .....)) (٥) وقرميسين هذه تقع بالقرب من الدينور بين حلوان وهمذان (٦).

ولعل هذه التنقلات تشير إلى أنه كان في دور التلمذة وطلب العلم، وهو زاد ضروري يجب التزود به قبل التوجه إلى عاصمة الخلافة، وقد استطاع بعد أن ينضم إلى حلقة ابن مجاهد وغيره من مشاهير الشيوخ آنذاك .

أما السنة التي غادر فيها بغداد إلى حلب فلم تشر كتب التراجم والطبقات إليها، وقد استطعت فيما مضى أن أؤكد أنه كان فيها قبل سنة (٣٢٧ هـ) وبعد سنة (٣٢٣ هـ) لأنه يذكر في أحد مؤلفاته أنه رأى البردة على المقتدر،

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٢١٨

(٢) انظر ريحانة الأدب ٥ : ٣٢٢

(٣) انظر في ذلك ما مضى

(٤) انظر في ذلك ما مضى .

(٥) إعراب ثلاثين سورة : ١٧٣

(٦) انظر معجم البلدان ٤ : ٣٣٠، بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخا قرب الدينور، وهي بين همذان وحلوان على جادة الحاج .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

((وهي البردة التي عند الخلفاء ، وقد رأيتها أنا على المقتدر يوم برز للناس ٠٠٠))[١] ، ومعروف أن المقتدر أُقصي عن الخلافة عام (٣٢٠ هـ)[٢] ومما يؤكد ذلك أن نفطويه قال له يوما وقد حضرته الوفاه : قد جالستني فما رأيت منك إلا خيرا[٣] .

لعلّ السبب الذى جعله يفضل الرحيل إلى حلب على البقاء في بغداد ينهل من حلقات شيوخه المشهورين كابن مجاهد وابن الأنبارى وأبي عمر الزاهد وغيرهم يكمن في سماعة للأخبار التي تتحدث عن كرم سيف الدولة وهباته ، إذ استطاع هناك أن ينال مرتبة مرموقة ، فأصبح معلما لسيف الدولة ومؤدبا لولديه ، وجلس فيها للتدريس ، وكانت الرحلة إليه من الآفاق[٤] . وتشير بعض المراجع إلى أنه جلس للتدريس في ميّا فارقين وحمص[٥] ، ولعل ذلك كان بعد وفاة ولي نعمته سيف الدولة (٣٥٦ هـ) ، لأنه جلس للتدريس في حلب وسيف الدولة على قيد الحياة ، فكانت ترده الرسائل من سيف الدولة يطلب منه فيها أن يجيب على بعض المسائل كما مر[٦] .

ونقل القفطي عن شيرويه أنه زار بيت المقدس : ((روى عنه أبو أحمد عبدالله بن عدى الحافظ ، وقال : رأيته ببيت المقدس وكان اماما احد افراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب ٠٠٠))[٧] . ولعلّ هذه الزيارة كانت في حياة سيف الدولة يوم أن كان ابن خالويه ميسور الحال والرحلة إليه من الآفاق .

ويترك حلب إلى بغداد بعد أن تسوء احواله بوفاة سيف الدولة عام (٣٥٦ هـ) . وذكر ابن شهبة الأسدى أنه دخلها بعد لحاق سنّة ، ثم أملى بها ، وروى عنه من أهلها عثمان بن أحمد بن العلوط وغيره[٨] . ولم تشر

---

(١) ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٣٥٠

(٢) انظر الفخرى في الآداب السلطانية : ٢٤٣

(٣) انظر ارشاد الأديب ١ : ٣١٤ . وانظر في ذلك ما مضى .

(٤) انظر يتيمة الدهر ١ : ٨٨ ، ومرآة الجنان ٢ : ٣٩٤

(٥) انظر انباه الرواة ١ : ٣٢٥

(٦) انظر رسالة الغفران ، ومعها رسالة ابن القارح : ٦٣

(٧) انباه الرواه ١ : ٣٢٥

(٨) طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧

المراجع إلى السنة التي غادر فيها حلب ، ولعلها كانت قبل سنة ٣٦٧ هـ تقريبا ، لأن سيف الدولة سأله عن اسم ممدود جمع مقصورا : ((سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا . فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قلت أنا أعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قلت : لا أقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر ، وهما صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى ، فلما كان بعد شهر أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجرمي في كتاب التنبيه وهما صلفاء وصلاف — وهي الأرض الغليظة ، وخبوّاء وخبارى — وهي أرض فيها نُدْوَة [٢] ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفا خامسا ذكره ابن دريد في الجمهرة وهي سَبْتاء وسَباتي وهي الأرض الخشنة)) [٣] . وذكر السيوطي في (المزهر) أن أبا علي الفارسي كان من الحاضرين آنذاك : ((وذكر ابن خالويه هذه الحكاية في موضع آخر من كتاب (ليس) ، وقال فيها : وكان في الحاضرين بين يدي سيف الدولة أحمد بن نصر ، وأبوعلي الفارسي ، فقال أحمد بن نصر : أنا أعرف حرفا حَلْفاء وحَلافي ، فقلنا : حلفاء جمع حليفة ، وإنما سألنا عن واحد ، فقال الفارسي : أنا اعرف حرفا ، أشياء وأشاوى ، فقلنا : أشياء جمع ، هذا كله كلام ابن خالويه ، فطابق بعض ما ذكرته)) [٤] . أما دخول أبي علي الفارسي حلب فقد انتهى الأستاذ عبد الفتاح شلبي [٥] إلى أنه كان سنة (٣٤١ هـ) ، وبقي فيها حتى سنة (٣٤٦ هـ) كما طالعنا ابن جني : ((قال لي أبوعلي رحمه الله بحلب سنة ست وأربعين : أخطيء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطيء في واحدة من القياس)) [٦] وظل في هذه المدة يتنقل بين حلب وغيرها [٧] .

ولعلنا نستطيع أن نؤكد أن مغادرته حلب كانت قبل

---

(١) بغية الوعاة : ١ : ٥٣٠

(٢) النُدْوَة : موضع شرب الابل .

(٣) بغية الوعاة ١ : ٥٣٠ ، وانظر رواية أخرى لما مر في المزهر ٢ : ٢٢٧

(٤) المزهر ٢ : ٢٢٧

(٥) انظر أبوعلي الفارسي : ٦٤ — ٦٥

(٦) الخصائص ٢ : ٨٨

(٧) انظر أبوعلي الفارسي : ٦١ — ٦٥

سنة (٣٦٧هـ) اذا ذهبنا الى أن تلك الجلسة بحضرة سيف الدولة كانت في العامين الأولين من وصول أبى على الفارسى إلى حلب ، وذلك لأن المنافسه بينهما قد بدأت أثناء وجوده فى بغداد ، وهى منافسة ورثها عن شيخه أبى سعيد السيرافى (١) . وفى حلب أخذ ابن خالويه يعد نفسه للهجوم على خصمه أبى على إمّا بالوشاية عند سيف الدوله وإمّا بمحاولة التغلب عليه لغويا ونحويا ليبقى اللغوى المرموق فى بلاط سيف الدوله . ولعلّ ما ذهبنا إليه يتفق مع ماذكره ابن شهبة الأسدى فى أنه غادرها بعد لحاق سنّه . ولعلّ سوء أحواله بعد وفاة سيف الدولة ولى نعمته كان السبب المباشر فى هجره حلب ، لأن أبا المعالى أخذت أحواله تسوء أيضا خاصه بعد سنة (٣٥٩هـ) ، وهى السنة التى توجه فيها الروم إلى حلب ، فخرج فيها أبو المعالى إلى البر اتقاء لشرهم ، ولكن غلام أبيه قرعويه فاوضهم على أن يبقى حاكما لحلب مقابل قدر معين من المال (٢) . ولعل مما زاد أحواله سوء فقده لصديقه الحميم أبى فراس الحمدانى (٣٥٧هـ) وذكر القفطى نقلا عن كتاب (الاثرجه) أنه دخل اليمن ، وأقام فيها ليشرح ديوان ابن الحائك (٣) ، وعقب على ذلك بقوله : ((قلت : ولم أعلم أن ابن خالويه دخل اليمن إلاّ من كتاب (الاثرجه) هذا ، وهو كتاب غريب قليل الوجود ، اشتمل على ذكر شعر اليمن فى الجاهليه والاسلام الى قريب من زماننا هذا وما رأيت به نسخة ولا من ذكره الا نسخة واحدة جاءت فى كتب الوالد ، أحضرت بعد وفاته من أرض اليمن)) (٤) . ونقل ذلك كل من أبى المحاسن عبدالباقى اليمنى الشافعى (٥) وابن الجزرى (٦) ، ولعل ابن خالويه قصد اليمن بعد أن ازدادت أوضاعه سوء فى بغداد ، لذلك نراه يشكو الفقر كما مرّ . ومما يؤكد ذلك أنه يطالعنا فى مؤلفاته أحيانا بالإشاره إلى اللغه اليمانية : ((والرعنة الارض السهلة ، لغة يمانية . .)) (٧) .

---

(١) سيأتى التفصيل فى هذه المسأله فيما بعد .
(٢) تاريخ الأدب العربى ٢ : ٩٢
(٣) انباه الرواه ١ : ٢٨٤
(٤) انظر المصدر نفسه ١ : ٣٢٦
(٥) انظر اشارة التعيين الى تراجم النحاة واللغويين ، ورقة : ١٧
(٦) انظر غاية النهاية فى طبقات القراء ١ : ٢٣٧
(٧) ليس فى كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ١٤٩ .

وانفرد ابن الجزرى في القول إنه قدم لعضد الدولة كتابا مجدولا في القراءات [١]. وغالب ظني أن ابن خالويه لم يذهب إلى شيراز ليقدم إليه الكتاب السابق إن صح ما ذكره ابن الجزرى لأن ابا علي الفارسي ينتظره هناك ليثأر لنفسه مما حلّ به منه في بلاط سيف الدولة . ولعلّي أرى أنه قدم إليه هذا الكتاب في بغداد بعد رجوعه من اليمن في طريقه إلى حلب بعد عام (٣٦٧ هـ) لأن عضد الدولة دخل بغداد بعد هذا التاريخ ، ولعل مما يزيدنا ثقة في ذلك أن أبا علي الفارسي قدم إليه (الحجة في القراءات السبع) بعد العام نفسه [٢] ولم يطب له المقام في بغداد لأن ابا علي الفارسي كان فيها منذ سنة (٣٦٨ هـ) [٣].

ويرى الأستاذ آرثر جيفرى أنه قصد مكة والمدينة ، فجلس لتدريس الحديث النبوى في المدينة وقتا ما [٤]، ولعلّ الاستاذ الفاضل أوهمه قول من ترجم لابن خالويه ((وأملى الحديث بجامع المدينة)) [٥] ولعلّ المدينة المشار إليها في ذلك مدينة بغداد لأنه يوجد فيها آنذاك جامع يسمى جامع المدينة أشار إليه ابن خالويه نفسه : ((وقال : أنشدني أبو بكر الخلنجي إمام جامع المدينة ببغداد ....)) [٦]. ومما يؤكد ما ذهبنا اليه أن الخطيب البغدادى حدثه أحد شيوخه في هذا الجامع : ((وقد حدثنا عنه ابن رزقويه بأمالي أملاها في جامع المدينة ....)) [٧].

وتنتهي رحلته بالعودة إلى حلب ، حيث يقضي فيها ما تبقى من عمره (توفي ٣٧٠هـ) بإجماع كتب التراجم والطبقات .

---

(١) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٣٧

(٢) انظر أبو علي الفارسي : ١٧٧

(٣) انظر المصدر نفسه : ٦٣

(٤) انظر مقدمة مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ٥

(٥) انظر بغية الوعاه ١ : ٥٢٩

(٦) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٦٢

(٧) تاريخ بغداد ٩ : ٤٢٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

شيوخه وتلاميذه ومنافسوه

اختلف ابن خالويه إلى حلقات شيوخ أفذاذ مصروفين في ميدان الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية والأدبية وعلم الحديث والتفسير، وطالعنا بنقوله عنهم، ومرافقته لهم وثنائه عليهم. وشيوخه كثيرون لا يتسع المجال للترجمة لهم، لذلك رأيت أن أقتصر على شيوخه المشهورين الذين جالسهم في مجالسهم، وسأترجم لهم ترجمة موجزة محاولا تبيان أثر كل شيخ فيه معتمدا في ذلك على ما عثرت عليه من نصوص في مؤلفاته وهم:

نفطويه ابن عرفه [1]: (٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥ - ٣٢٣، ٣٢٤)

هو ابراهيم بن محمد بن عرفه بن سليمان بن المغيره، أبو عبد الله العتكي الأزدي الواسطي الملقب نفطويه النحوي، خدم أبا العباس ثعلباً وأخذ عنه النحو والغريب، وأخذ عن شيوخ كثيرين [2]، وتتلمذ عليه كثيرون من بينهم ابن خالويه والمعافي بن زكريا، وأبو عبد الله المرزباني وغيرهم [3]. وكان دينا حسنا صدوقا حسن المجالسة طاهر الأخلاق [4]. ولعل هذه السمات لا يتفق بعضها مع ما طالعنا به ابن خالويه على لسانه من أنه لم يطع الله إطاعة هشام مقرئ أهل بغداد له[5]

---

(١) انظر ترجمته فيما يلي:
تهذيب اللغة ١: ٢٨، إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين، ورقة: ٢-٣
بغية الوعاة ١: ٤٢٨، تاريخ بغداد ٦: ١٥٩ - ١٦٢،
تاريخ أبي الفدا ٢: ٨٣، وفيات الأعيان ١: ١١
روضات الجنات: ٤٣ - ٤٤، شذرات الذهب ٢: ٢٩٨ - ٢٩٩
غاية النهاية في طبقات القراء ١: ٢٥، طبقات النحاة واللغويين، ورقة: ١٧٦-١٧٩،
معجم الأدباء ١: ٢٥٤ - ٢٧٢، مرآة الجنان ٢: ٢٨٧، الفلاكة والمفلوكين: ٩٥، انباه الرواة ١: ١٧٦، النجوم الزاهرة ٣: ٢٤٩ - ٢٥٠، الفهرست: ٨١
تاريخ الأدب العربي ٢: ٢٢٠، إيضاح المكنون ٢: ٣٥٠.

(٢) انظر تاريخ بغداد ٦: ١٥٩

(٣) انظر تاريخ بغداد ٦: ١٥٩

(٤) انظر في ذلك عيون التواريخ، ورقة: ١٥٣، تاريخ بغداد ٦: ١٥٩، ومعجم الأدباء ١: ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٥) انظر ارشاد الأديب ١: ٣١٤، وانظر في ذلك ما مضى: ٢٩

وكان رأسا في مذهب داود الأصفهاني (١). ويبدو أنه كان على عداء شديد مع ابن دريد ، وقوله في جمهرته ليس غريبا (٢). ويروى أن محمد بن زيد بن علي المتكلم قال فيه (٣):

من سرّه الأسرى فاسقِ فليجتهدْ الأسرى نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمِه وصيّر الباقي صُراخاً عليه

[ويبدو أنه كان غير مكترث بإصلاح نفسه ، إذ كان يفرط به الصُنّان ، وقصته مع وزير المقتدر حامد بن العباس خير دليل على ذلك (٤)] ووسمه الزبيدي بأنه ضيق في النحو (٥). وذكر ابن النديم أنه كان ممن يخلط المذهبين الكوفي والبصري (٦). ويروى أنه كان ينكر الاشتقاق في كلام العرب (٧). وتكمن أهميته في أنه عالم بالعربية واللغة والحديث وحافظ للسير وأيام الناس ووفياتهم (٨).

أما ابن خالويه فقد أجله وجالسه كثيرا واعترف بفضله كما مر ، إذ طالعنا بنقول متعددة عنه في مؤلفاته ، وكان يسائله في مسائل لغوية ، وعندما يعجز عن الإجابة يسأل شيخا آخر كأبي عمر الزاهد : ((ليس في كلام العرب كلمة على فعّول إلا أحرف ، سألت نفطويه عن الجَنّوت فلم يعرفه ، فسألت أبا عمر فقال : الجَنّوت : الخسيس)) (٩). ويبدو أثر نفطويه فيه واضحا في إنشاد الأشعار وشرح بعضها : ((وسألت نفطويه عن قول جرير (١٠):

واني لعف الفقر مشترك الغنى سريع اذا لم ارضَ داري احتماليا
وباسط خير فيكم بيميني وقابضُ شر عنكم بشماليا

---

(١) انظر انباه الرواه ١ : ١٧٦
(٢) انظر معجم الأدباء ١ : ٢٦٤ ، وبغية الوعاة ١ : ٤٢٩
(٣) انظر تاريخ أبي الفدا ٢ : ٨٣ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٩٨ ، ووفيات الأعيان ١ : ١١
(٤) انظر في ذلك بغية الوعاة ١ : ٤٢٨ ، والفلاكة والمفلوكين : ٩٥ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٦٦ .
(٥) انظر انباه الرواة ١ : ١٧٨
(٦) انظر الفهرست : ٨١
(٧) انظر انباه الرواة ١ : ١٧٨
(٨) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه .
(٩) ليس في كلام العرب : ٤٣
(١٠) ديوان جرير : ٥٠١

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

فقال: العرب تنسب كل خير إلى اليمين وكل شر إلى الشمال .....)) (١)
ويعتمد عليه أيضا في تدوين بعض آرائه ثعلب: ((وسمعت ابن عرفه يقول: سُئِلَ ثعلب عن قوله تعالى: (وجنة عرضها السماوات والارض) (٢) كيف خص العرض دون الطول قال: لأنه معلوم عند العرب أن طول الشيء أكثر من عرضه، فإذا وصف العرض بالعظم علم أنّ الطول أعظم ....)) (٣). وينقل عنه في مجال التفسير: ((وأخبرنا ابراهيم ابن عرفه قال: حدثنا اسحق بن الحسن عن الحسين ابن محمد عن شيبان عن قتاده في قوله تعالى: (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) (٤) أي من كل أكمة ينسلون ...)) (٥) ويبدو أنه أخذ عنه قسطا من القراءات وذلك لما يطالعنا به من رواية عنه: ((وحدثني ابراهيم بن عرفه وأحمد بن موسى عن اسماعيل عن قالون عن نافع ...)) (٦).

أبو عمر الزاهد غلام ثعلب (٧): (٢٦١ ـ ٣٤٤، ٣٤٥)

هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم اللغوي الزاهد المطرّز.

---

(١) ليس في كلام العرب: ١١، وانظر أمثلة اخرى في القراءات لوحة ١٠٨
(٢) آل عمران: ١٣٣
(٣) شرح مقصورة ابن دريد، ورقة: ١٣٧، وانظر أمثلة أخرى في ليس في كلام العرب الأوراق: ٣٠، ٢٢، ٢٤.
(٤) الأنبياء: ٩٦
(٥) شرح مقصورة ابن دريد، ورقة: ١٢١
(٦) القراءات، لوحة: ٧٠
(٧) انظر ترجمته فيما يلي: إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين، ورقة: ٥٠؛ تاريخ بغداد ٢: ٣٥٦ ـ ٣٥٩، تاريخ أبي الفدا ٢: ١٠١، تذكرة الحفاظ ٣: ٨٧٣، وفيات الأعيان ١: ٦٠٠، شذرات الذهب ٢: ٣٧٠ ـ ٣٧١، روضات الجنات: ٦١٤ ـ ٦١٥، الفهرست ٧٦، اللباب في تهذيب الأنساب ٢: ١٨٣، مرآة الجنان ٢: ٢٣٧ـ٢٣٩، معجم الأدباء ١٨: ٢٢٦ ـ ٢٣٤، المنتظم ٦: ٣٨٠، نزهة الألباء ٢: ٢٠٦ ـ ٢١١، النجوم الزاهرة ٣: ٣١٦، بغية الوعاة: ١: ١٦٤ ـ ١٦٦، كشف الظنون: ٤٦٢، ١٢٧٣، ١٩٠٣، ١٩٨٠، ٢٠٥٣.

أطلق عليه لقب (غلام ثعلب) لشدة تعلقه به ومجالسته له ، لذلك اختلف إليه الطلاب ليدرسوا فصيحه ، وإصلاح المنطق لابن السكيت [١] . ويروى أنه استدرك على فصيح شيخه في جزء لطيف [٢] .

وروى أبو عمر عن شيوخ كثيرين [٣] ، وروى عنه جم غفير [٤] من بينهم ابن خالويه . وكان يحث طلبته على مكارم الأخلاق وحفظ حقوق الجار والأصدقاء كما مر . ولقد كان حسنا في معاملته لمريديه ، يزور من يمرض منهم ، ويروى أنه عاد مريضا فلم يجده فكتب على باب داره [٥] :

وأعجب شيء سمعنا به عليل يُعاد فلا يوجد

وكان عزيز النفس ، تفرغ للعلم مما منعه من اكتساب الرزق ، وقيل إن ابن ماسي كان يبعث إليه حاجته من المال لينفق على نفسه ، فتوقف عن ذلك مدة بعذر ، ثم بعث إليه ذلك جملة ، وكتب إليه رقعة يعتذر ، فرده أبو عمر ، وأمر أحد طلبته أن يكتب على الرقعة : ((أكرمتنا فملكتنا ، وتركتنا فأرحتنا)) [٦] .

واختُلِفَ في توثيقه فكذبه جماعة في أكثر رواياته التاريخية ، وكانوا يقولون : ((لو طار طائر لقال : حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئا [٧])) ولعل ذلك يرجع إلى سعة حفظه [٨] ، إذ يُروى أنه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة [٩] ، وذكر أبو البركات بن الأنباري أمثلة تدل على أنه كان صادقا في كل ما يصدر عنه [١٠] . ولعل خير دليل على صدقه رسالته في الرواية ، وهي التي عثر عليها المستشرق آربري عندما كان يتصفح المخطوطات الجيدة في خزانة أحد أصدقائه وهي تحمل العنوان التالي : (جزء غلام ثعلب في الحديث والأدب) [١١] .

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ٢٩ : ١٧٥

(٢) انظر شذرات الذهب ٢ : ٣٧٠

(٣) انظر في ذلك اللباب في تهذيب الأنساب ٢ : ١٨٣ ، والمنتظم ٦ : ٣٨٠ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٥٦ ، وانباه الرواه ٣ : ١٧١ ، وتذكرة الحفاظ ٣ : ٨٧٣ .

(٤) انظر انباه الرواه ٣ : ١٧١

(٥) انظر تاريخ بغداد ٢ : ٣٥٦ ، ونزهة الألباء : ٢١٠

(٦) نزهة الألباء : ٢١٠

(٧) المصدر نفسه : ٢٠٧

(٨) انظر المصدر نفسه : ٢٠٦

(٩) انظر نزهة الألباء : ٢٠٦

(١٠) انظر في ذلك المصدر نفسه : ٢٠٧ ، وانظر ايضا : انباه الرواه ٣ : ١٧٢

(١١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ٢٤ : ٢٤٣ ، وهي موجودة ضمن مجلد يحتوي على عدة رسائل من ص ٥٩ الى ١٠٩ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وذكر ابن النديم (١) أنه كان فى نهاية النصب والميل على على ، وذكر القفطى (٢) أيضا أنه كان مفاليا فى حب معاوية ، وعنده جزء من فضائله ، جمع فيه الأحاديث التى تروى فى فضائله . وذكر الأستاذ العاملى (٣) نقلا عن (الرياض) أنه كان من الإماميه . ويبدو لى أنه لم يكن إماميا لأنه لو كان كذلك لطالعنا به ابن خالويه تلميذه ، فهو ينقل عنه حديثا عن بعض آل البيت دون مغالاة :

((وأملى علينا أبوعمر عن خاله المطافى عن جعفر بن محمد صلوات الله عليهما قال: أوصى أمير المؤمنين على عليه السلام ابنه محمد بن الحنفيه فقال: اعلم يابنى ان أمامك عقبة كؤودا مهبطها إما على جنة وإما على نار ...)) (٤) .

ولم يكن كذلك مفاليا فى حب معاوية مما يجعله يبغض آل البيت، ولعل ابن النديم انساق وراء ما جاء فى مؤلفة (فضائل معاوية) ،

ويكمن أثره فى ابن خالويه فى تشابه التأليف ، اذ يؤلف كل منهما (العشرات فى اللغات) (٥) ، والساعات (٦) ، والمقصور والممدود (٧) . ويقرأ عليه كتب أبى زيد الأنصارى : ((قال ابن خالويه : قرأت كتب أبى زيد على أبى عمر عن ثعلب عن أبى نجدة عن أبى زيد .....)) (٨)

ويطالعنا ابن خالويه بنقول متعددة عنه فى مؤلفاته بين الفينة والأخرى ، وقد مرأته أثنى عليه ، ولزمه عند ما عجز نفطويه عن معرفة معنى لفظة الجنوّت. وتكاد نقوله عنه ينحصر بعضها فى رواية أبى عمر عن ثعلب: ((وحدثنى أبو عمر قال : كان من سبب تعلمى النحو أنى كنت فى مجلس ابراهيم الحربى فقلت : قد قريت الكتاب ، فعابنى من حضر وضحكوا ، فأنفت من ذلك وجئت ثعلبا فقلت : أعزك الله كيف تقول : قريت الكتاب أو قرأت الكتاب ؟ .....

---

(١) انظر الفهرست : ٧٦
(٢) انظر انباه الرواه ٣ : ١٧٢ ، وانظر تاريخ بغداد ٢ : ٣٥٦
(٣) أعيان الشيعة ٤٥ : ٣٩٥
(٤) ليس فى كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقه : ٩٥
(٥) سيأتى التفصيل فى هذه المسأله فيما بعد .
(٦) انظر الفهرست : ٧٩
(٧) انظر مجلة المجمع العلمى العربى ، دمشق ١٩٥٨ ، ٣٣ : ٨٣
ستتضح المسأله فيما بعد : ٢٦٧
(٨) الشجر : ١

قال أبوعبدالله : فصار أبوعمر أوحد عصره في اللغة إماما))[1]

ونذكر بعض نقوله عنه حول مسائل لغويه كسؤاله له عن الجنّوت فيما مضى ، ومن ذلك أيضا : ((ليس في كلام العرب على قول ابن دريد (فِوْعَل) الا " غيث جِوَرّ كثير " [2] وزِوَرّ لرئيس القوم وسيدهم ، فلان زِوَرّ قومه . وقال أبوعمر : ويقال لرئيس العسكر (زِورّ) وأهل النحو يزعمون أن زِوَرّا وجِوَرّا فِعَلّ)) [3]

ابن دريد [4]: (٢٢٣ هـ ـ ٣٢١ هـ)

أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى اللغوى الشافعي ، ولد بالبصرة ، وانتقل إلى عمان فاقام فيها ، ثم انتقل إلى فارس ثم إلى بغداد ، وتوفي في عمان ، وتصدر للعلم ستين سنة [4] . قرأ على شيوخ كثيرين من بينهم أبوحاتم السجستاني والرياشي والتوّزى ، وروى عنه السيرافي وأبو الفرج الأصفهاني وابن خالويه وغيرهم ممن قد أحصاهم محقق الجمهرة إذ بلغ عددهم ثلاثة وأربعين [5] . وذكر أبو الطيب اللغوى [6] أنه كان أحفظ الناس ، وأوسعهم علما ، وأقدرهم على الشعر ، وانتهت إليه لغة البصريين ، وقد حفظ الناس له ذلك فقالوا عندما انتقل إلى ربه :

---

(١) اعراب ثلاثين سورة : ١٣٢ ـ ١٣٣ . وانظر أمثلة أخرى ، شرح مقصورة ابن دريد الأوراق التالية : ١٨ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ١٠٢ ، ١٤٨ ـ ١٤٩ ، ١٩١ .

(٢) في (ليس في كلام العرب) : (حوّز) والصواب ما أثبتناه ، جاء في الجمهرة ٣ : ٣٥١ ((قال ابو بكر : وليس في كلامهم فِوْعَل الا مدغما ، والذى جاء منه جِوَرّ ، زِورّ من قولهم : زورّ القوم ، وقد قالوا : زورٌ القوم أى رئيسهم وسيدهم)) . وذكر ابن دريد أنّ (جورّا) صلب وشديد .

(٣) ليس في كلام العرب : ٥٤

(٤) انظر ترجمته فيما يلي :
انباه الرواة ٣ : ٩٢ ، بغية الوعاة ١ : ٧٦ ، نزهة الألباء : ١٩١ ـ ١٩٤ ، تاريخ بغداد ٢ : ١٩٩ ، وفيات الأعيان ١ : ١٩٧ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٨٩ ، الفهرست : ٦١ ، طبقات الشافعية ٢ : ١٤٥ ، اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٤١٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٨٢ ، لسان الميزان ٥ : ١٣٢ ، مراتب النحويين : ٨٤ ، معجم الأدباء ١٨ : ١٢٧ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٤٢ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٣٩ ، عيون التواريخ ورقة : ١٣٥ . مجلة أقلام ، الجزء السادس السنة الثالثة : ٧٢ ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ٣٨ : ١٠٧ ، المزهر ٢ : ٤٥٥ .
انظر الفهرست : ٦١

(٥) انظر مقدمة الجمهره ١ : ٥ ـ ٦

(٦) انظر مراتب النحويين : ٨٤ . وانظر الثناء عليه في نزهة الألباء : ١٩١ ـ ١٩٢ .

((ماتعلم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي)) [١]. ورثاه جحظة البرمكـــي بقولـــه [٢]:

فقدت بابن دريد كلَّ منفعـــــة لما غدا ثالث الأحجار والتـــرب
قد كنت أبكي لفقد الجود آونـــة فصرت أبكي لفقد الجـــود والأدب

ومما يؤخذ عليه أنه كان مولعا بشرب الخمر ، إذ كان بيته أشبه بحانه [٣].

ويتجلى أثره في ابن خالويه في روايته ابن خالويه للجمهرة وتعليقاتـــه عليها [٤]، ولقد أشرت فيما مضى إلى ثنائه عليها مستشهدا بقول الوزير علي بن عيسى، وفي شرحه لمقصورته [٥]، وفي نقوله المفرطة ورواياته عنه ، من ذلك قوله : ((ليـــس في كلام العرب ما عينه ياء مثل كِلْت وبِعْت وكدت إلا أوله مكسور لتدل الكسرة علـــى الياء الساقطه لأنه من كاد يكيد ، وكال يكيل ، وباع يبيع إلاَّ حُدْنا وكُدْنا ، ووجـــه ذلك ما ذكره شيخنا ابن دريد أن من العرب من يقول : كاد يكود كودا ، وحـــاد يحود حودا .....)) [٦].

أبو سعيد السيرافـــي [٧]: (٢٨٠ هـ ـ ٣٦٨ هـ)

الحسن بن عبدالله بن المرزبان القاضي ابو سعيد السيرافي ، امام فـــي النحو واللغة والفقه والشعر ، والعروض، والقوافي ، والقرآن والفرائض والحديث والكـــلام والحساب والهندسه [٨]. كان يفتي لمدة خمسين سنة في جامع الرصافة على مذهـــب

---

(١) نزهة الألباء : ١٩٤ . وانظر أقوال العلماء فيه في مقدمة الجمهرة ١ : ٧

(٢) المصدر نفسه والمكان نفسه

(٣) انظر المصدر نفسه : ١٩٢

(٤) سيأتي التفصيل في ذلك فيما بعد .

(٥) سيأتي التفصيل في ذلك فيما بعد .

(٦) ليس في كلام العرب : ١٣ ، وانظر : ٣٥ ، ٥٤ ، وانظر شرح مقصورة ابن دريد الأوراق : ٤٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٩٢ ، ٢٤٠ وسيأتي الحديث عن أثره فيه في الحديث عن مصادر مؤلفات ابن خالويه .

(٧) انظر ترجمته فيما يلي :
انباه الرواه ١: ٣١٣ ، بغية الوعاة ١: ٥٠٧ ، نزهة الألباء : ٢٧ ، وفيات الاعيان ١: ١٣٠ ، روضات الجنات : ٢١٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٦٥ ، الفهرست : ٦٢ ، مرآة الجنان ٢: ٣٩٠ ، معجم الأدباء ٨: ١٤٥ ، النجم الزاهرة ٤ : ١٣٣ ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ٢٤: ٥٣٧ .

(٨) انظر بغية الوعاة : ١ : ٥٠٨

أبى حنيفة (١) . وكان زاهدا لا يأكل إلاّ من كسب يده ، إذْ كان لا يخرج إلى مجلس التدريس أو الحكم إلاّ بعد أن ينسخ عشر ورقات بعشر دراهم تكون بقدر مؤونته (٢) . ويروى أنه كان دينا تقيا ورعا ، إذْ يحكى أنه صام أربعين سنة وأكثر الدهر (٣) .

وتتلمذ على ابن مجاهد ، إذْ أخذ عنه القراءات ، وعلى ابن دريد إذْ أخذ عنه اللغه والنحو ، وعلى أبى بكر بن السراج وأبى بكر مبرمان ، اذ أخذ عنهما النحو أيضا ، وأخذا عنه القرآن والحساب (٤) .

أما مذهبه النحوى فمذهب البصريين عامة كما يرى الأستاذ ابراهيم السامرائى (٥) . وكان يميل إلى السماع ويؤثره على القياس . ولعلّ شهرته تكمن فى شرحه لكتاب سيبويه فى ثلاثة آلاف ورقة (٦) ، ولعله أحد الأسباب التى جعلت أبا على الفارسى وغيره يحسدونه (٧) .

وأما أثره فى ابن خالويه فقد أجمعت كتب التراجم على أنه قرأ عليه القرآن (٨) ، ولعلى أذهب إلى أنه لم يأخذ عنه القرآن والقراءات إذا تأكد ماذهب إليه الاستاذ (كرنكو) (٩) من أنه قدم بغداد عام (٣٢٠هـ) ، لأن ابن خالويه دخلها عام (٣١٤هـ) ، فكان بذلك سباقا للسيرافى فى انضمامه إلى حلقة ابن مجاهد

---

(١) انظر المصدر نفسه ١ : ٥٠٧ ، ومعجم الأدباء ٨ : ١٤٥

(٢) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٠٨

(٣) انظر معجم الأدباء ٨ : ١٥٠ ، وبغية الوعاة ١ : ٥٠٧—٥٠٨

(٤) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٠٨ ، ومعجم الأدباء ٨ : ١٤٦

(٥) انظر مجلة كلية الآداب ، بغداد ، ١٩٦٦م ، ١٣٨٥هـ ، ٩ : ٢٥

(٦) انظر معجم الأدباء ٨ : ١٤٧—١٤٨

(٧) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه

(٨) انظر معجم الأدباء ٩ : ٢٠٠ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٣٣ ، والفهرست : ٨٤ ومرآة الجنان ٢ : ٣٦٤

(٩) انظر مجلة المجمع العلمى العربى ، دمشق ٢٤ : ٥٤٣ .

وأخذه القرآن والقراءات عنه ولعل ما يؤكد ما أذهب إليه أن اسم السيرافي لم يطالعني في مؤلفات ابن خالويه . ولعلّ ما أوهم أصحاب التراجم والطبقات أن ابن خالويه يعلن أنه قرأ القراءات على ابن المرزبان ، والسيرافي كما مرّ ابن المرزبان ، وما يعنيه ابن خالويه بابن المرزبان ليس السيرافي ، ولكنه محمد بن المرزبان المتوفي سنة (٣٠٩) [١] ، الذي أخذ عن أبي جعفر محمد بن سعدان الضرير [٢] ، جاء في (القراءات) ما يلي : ((وأما قراءة نافع فاني قرأتها على أبي القاسم بن المرزبان الصيرفي ، وقرأ أبو القاسم على أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس ، وقرأ أبو الزعراء على أبي عمر الدوري ....)) [٣] . وجاء في موضع آخر ما يلي : ((وحجة الأولين ما حدثني به ابن المرزبان عن أبي الزعراء عن أبي عمر ....)) [٤] . ولعلّ تلمذته عليه تكمن في قراءته لكتاب سيبويه الذي كان يفاخر به أبا علي الفارسي ويتحداه أن يناقشه في مسائله : ((ويحكى أنه اجتمع هو وأبوعلي الفارسي فجرى بينهما كلام ، فقال لأبي علي : نتكلم في كتاب سيبويه ، فقال له أبوعلي : بل نتكلم في الفصيح)) [٥] .

أبو بكر الأنباري [٦] : (٢٣١ هـ - ٣٢٨ هـ)

محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن بن سماعة أبو بكر بن الأنباري

---

(١) انظر ارشاد الأديب ٧ : ١٥

(٢) انظر نزهة الألباء : ١٢٣

(٣) القراءات ، لوحة : ٧ ، وانظر اللوحات : ٨ ، ٩ ، ١٣٣ ، ١٥٥

(٤) المصدر نفسه ، لوحة : ١٣٣

(٥) نزهة الألباء : ٢٣٠

(٦) انظر ترجمته فيما يلي :

انباه الرواه ٣ : ٢٠١ ، نزهة الألباء : ١٩٧ - ٢٠٤ ، بغية الوعاة ١ : ٢١٢ تاريخ أبي الفدا ٢ : ٨٧ ، وفيات الأعيان ١ : ٥٠٢ ، روضات الجنات ٦٠٨ - ٦٠٩ ، شذرات الذهب ٢ : ٣١٥ - ٣١٦ ، غاية النهاية في طبقات القراء ٢ : ٢٣٠ - ٢٣٢ ، اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٦٩ ، تهذيب اللغة ١ : ٢٨ ، الأمثال العربية : ١٧٦ ، الفهرست : ٧٥ ، كشف الظنون : ٤٨ ، ١١٦ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ٢١٠ ، ٧٢٣ ، ٩٤٧ ، ١٠٤٢ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٢٠٥ ، ١٤٢٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٦٢ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٧٠٣ ، ١٩٠٥ ، إيضاح المكنون ١ : ١١٨ ، ٦٥٦ ، ٢ : ٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣٢ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٩٤ ، المنتظم وفيات (٣٢٨) ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٦٩ ، تاريخ بغداد ٣ : ١٨١ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٤٢ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ .

النحوى اللغوى سمع ثعلبا وآخرين ، وروى القراءة عنه أحمد بن نصر ، والدارقطني وابن خالويه وغيرهم [١] . وكان يتمتع بذكاء خارق وملكة قوية ساعدته على حفظ مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها [٢] ، وثلاثمائة ألف بيت شاهدا في القرآن [٣] ، ويروى أنه كان يحفظ ثلاثة عشر صندوقا [٤] . ويقال إنه كان يملي من حفظه ، فأملى غريب الحديث في خمسة وأربعين ألف ورقة [٥] ، ولقد كان زاهدا لا يحب الرفاهية يميل إلى التقشف ، لذلك كان يأكل القلية مدعيا أنها أبقى على صحته وحفظه [٦] ، وقد كان متفرغا للعلم ، متواضعا يعترف بخطئه إذا ما اخطأ ، لذلك اعترف به في الاسم الذي صحفه وأرشده إليه الدارقطني [٧] .

وكان أبو بكر يميل إلى الكوفيين ويتعصب لهم [٨] ، ويقال إنه كان إماما في نحوهم [٩] ، وكان يغالي في تقديرهم فيقول : ((لو لم يكن لأهل بغداد من [١٠] علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس)) ، ((النحو للفراء ، والفراء أمير المؤمنين في النحو)) [١١] .

وأما أثره في ابن خالويه فقد ذكرت كتب التراجم والطبقات أنه روى القراءات عنه . صحيح أنه روى كثيرا من القراءات القرآنية عنه إما سماعا منه في مجلسه وإما سماعا منه وهو يصلي : ((وصليت خلف محمد بن القاسم الأنباري فوقف عليه أيضا ، فسألته فأجاب بمثل جواب ابن مجاهد)) [١١] . ويعتمد عليه أيضا في تدوين رأي أبي العباس ثعلب : (((وقال نسوة) [١٢] ولم يقل : قالت : فسألت محمد

---

(١) انظر في ذلك تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٤٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ٢ : ٣٣١

(٢) انظر بغية الوعاة ١ : ٢١٢

(٣) انظر نزهة الألباء : ١٩٨

(٤) انظر بغية الوعاة ١ : ٢١٣ ، وعيون التواريخ ، ورقة ٢٠٩

(٥) انظر نزهة الألباء : ١٩٨ ، وانباه الرواة ٣ : ٢٠١

(٦) انظر بغية الوعاة ١ : ٢١٣ ، ونزهة الألباء : ١٩٩

(٧) انظر تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٤٣ ، وبغية الوعاة ١ : ٢١٢

(٨) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ٢ : ٢٣٠

(٩) انظر تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٤٣

(١٠) انظر مدرسة الكوفه ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : ١٤٩

(١١) القراءات ، لوحة : ٥٩١ ، وانظر اللوحات : ٦٧ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ٢٦٠

(١٢) يوسف : ٣٠

ابن القاسم الأنباري لم صار ذلك كذلك ؟ فقال : سألت ثعلبا فقال : لأن جمع القليل قبل الكثير والمذكر قبل المؤنث ، فجعل الأول على الأول ...)) (١). ويعتمد عليه أيضا في كثير من المسائل اللغوية : ((وزاد محمد بن القاسم رابعا : وأحد آلاء الله ألَىَ ، والأصل ولىَ من أولا ه الله معروفا .....)) (٢)، ومن ذلك أيضا رأيه في الناس ووزنه : ((قال سيبويه : الناس وزنه من الفَعَل الفُعَال ، والأصل الأُناس فحذفوا الهمزة اختصارا ، وأدغموا اللام في النون . وقد يجعل الناس واحدا ، والناس جميعا ..... وقال أهل الكوفة : الناس وزنه (الفَعَل) والأصل النَيْس والنَوْس .... فقلبت الواو والياء ألفا ، سمعت محمد بن القاسم الأنباري يقول ذلك)) (٣)، ويعتمد عليه أيضا في التعرف على بعض لغات العرب : ((وفيها سبع لغات : الفتح والتنوين ، والكسر والتنوين ، والضم والتنوين ، ..... وزاد ابن الانباري (أف) بتخفيف الفاء وباسكانها .....)) (٤)، ويبدو أثره واضحا في انشاد الأشعار أيضا (٥).

أبو بكر بن مجاهد (٦). (٢٤٥ هـ - ٣٢٤ هـ)

أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي المقرئ ، شيخ القراء في وقته . قرأ على عبد الرحمن بن عبدوس عشرين ختمة ، وروى الحروف سماعا عن ثعلب ومحمد بن الجهم وغيرهما (٧)، وتتلمذ عليه خلق كثير من بينهم أبو علي الفارسي ،

---

(١) القراءات ، لوحة : ٢٦٠

(٢) إعراب ثلاثين سورة : ٢٢٩

(٣) شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ١٤٢

(٤) الحجة في القراءات السبع : ١٩٠

(٥) انظر مثلا ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٥٦

(٦) انظر ترجمته فيما يلي :
تاريخ بغداد ٥ : ٥٦ ، طبقات الشافعية ٢ : ١٠٢ ، غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ١٣٩ - ، شرح ابن القاصح على الشاطبية : ٣٠٤ ، عيون التواريخ ، ورقة : ٦٧ ، معجم الأدباء ٥ : ٦٥ .

(٧) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ١٣٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وابن خالويه والسيرافي وغيرهم . وكان أبو بكر مأمونا ثقة [١]، قال عنه ثعلب : ((ما بقي في عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد)) [٢]. ويعتبر أبو بكر أول من سبّع السبعة [٣]، لذلك غصت حلقته بالمريدين من الطلاب وغيرهم ، فبلغ عددهم ثلاثمائة مريد . ويروى أنه كان له أربعة وثمانون خليفة [٤] . وكان أبو بكر لينا مع طلابه ، لا يغضب ولا يسخط [٥] .

ويبدو أن أبا حيان النحوى كان متحاملا عليه ، إذ يسمه بعدم الاتساع في نقل القراءات ، وبالضعف في النحو : ((قال ابن خالويه : وسمعت ابن مجاهد يقول : ما قرأ به أحد وهو لحن لأنه بعد فاء الشرط .... وكان ابن مجاهد إماما في القراءات ، ولم يكن متسع النقل فيها كابن شنبوذ ، وكان ضعيفا في النحو ، وكيف يقول : ما قرأ به أحد ، وهذا كطلحة بن مصرّف قرأ به ، وكيف يقول : وهو لحن والنحويون قد نصوا على أنّ (أنْ) بعد فاء الشرط يجوز فيها الفتح والكسر ..)) [٦]، ولعلّ ما ذكره ابوحيان صحيح لأن ابن مجاهد كان يرفض قراءات ابن شنبوذ ، إذ حاول أن يرده إلى الصواب ، فرفع أمره إلى ابن مقله . أما ضعفه في النحو فصحيح أيضا وذلك لرد ابن خالويه تخطئته لبعض القراءات القرآنية [٧].

ويقف ابن خالويه منه موقفا يتسم بكل إجلال وتقدير ، إذ يطالعنا بالثناء عليه ، لذلك يطالعنا بقوله عند ذكره (وأكرم به) [٨]، و (رضي الله عنه) [٩]، وينقل أيضا ثناء أبي بكر بن الخياط عليه : ((وكان ابن الخياط يتعجب من ذكاء ابن مجاهد كيف استخرج هذا الحرف بفطنته .....)) [١٠].

---

(١) انظر عيون التواريخ ، ورقة : ٦٧

(٢) طبقات الشافعية ٢ : ١٠٣ ، وعيون التواريخ ، ورقة : ٦٧ ، ومعجم الأدباء ٥: ٦٥

(٣) انظر شرح ابن القاصح على الشاطبية : ٣٠٤ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ١٣٩

(٤) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ١٤٢

(٥) انظر مقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتاب السبعة : ١٥ ، وطبقات الشافعية ٢: ١٠٣

(٦) البحر المحيط ٨ : ٣٥٤

(٧) انظر في هذه المسألة موقفه من القراءات نحويا ولغويا

(٨) انظر شرح مقصورة ابن دريد . ورقة : ٦٩

(٩) انظر القراءات ، لوحة : ٢٢

(١٠) ليس في كلام العرب : ٣٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ويكمن أثر ابن مجاهد فيه في نقل القراءات القرآنية وروايتها ، ويَذْكُرُ أنه قرأ كتابه (السبعة) أربع مرات [١] ، ويعتمد عليه في تدوين رأي الفراء ، وكثيرا ما تطالعنا هذه العبارة في مؤلفاته (حدثني ابن مجاهد عن السمري عن الفراء) [٢] . ويعتمد عليه أيضا في إنشاد الأشعار [٣] .

لعلّي لا استطيع الاستطراد في الترجمة الموجزة لشيوخه لأن ذلك يستغرق وقتا طويلا لأنهم كثيرون ، لذلك رأيت أن أشير إلى من روى عنهم أو سمع منهم محجما عن الترجمة الموجزة مكتفيا بذكر أسمائهم :

١ . ابن الخياط ، ويعتمد عليه في بعض المسائل اللغوية [٤] .

٢ . أحمد بن عبدان ، ويروى عنه الأحاديث المسنده ، ويدور اسمه [٥] في مؤلفاته كثيرا .

٣ . أبو علي النحوى الروذرى : ويستشهد به في بعض المسائل النحوية واللغوية وإنشاد بعض الأشعار [٦] .

٤ . محمد بن مخلد العطار : يروي عنه بعض القراءات ويصفه بالشيخ الصالح [٧] .

---

(١) انظر القراءات ، لوحة : ٩ ، وانظر اللوحات التالية :
٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٤٣٢ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ .

(٢) انظر القراءات مثلا اللوحات التالية : ١٧٦ ، ٢١٣ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣١١ ، ٣٣٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٤١٥ ، ٤٢١ ، ٤٣٧ ، ٤٤٩ ، ٤٧٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٥٤٧ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ .

(٣) انظر مثلا ليس في كلام العرب ، الجزء الخامس ، ورقة : ٣٤١ .

(٤) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٢٠٠ ، وشرح مقصورة ابن دريد ، ورقة: ٢٤٨ ، وليس في كلام العرب : ٢٢ ، ٣٦ ، ٣٩ .

(٥) انظر اعراب ثلاثين سورة الصفحات : ١١٠ ، ١٦٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ . وليس في كلام العرب : ٥٧ ، والقراءات ، اللوحات : ٦٣ ، ١٨٤ ، ١٩٦ ، ٢١١ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ .

(٦) انظر إعراب ثلاثين سورة : ١٢ ، والقراءات ، ورقة ٦٤٤ ، وشرح مقصورة ابن دريد : ١٤ .

(٧) انظر القراءات ، اللوحتان : ٥٢٦ ، ٦٣٣ .
انظر فيه : شذرات الذهب ٢ : ٣٣١ ، عيون التواريخ ، ورقة : ٢٤٥ ولسان الميزان ٥ : ٣٧٤ .

٥. القاضى المحاملى (١)، وأخوه عبيد المحاملـــــى (٢).

٦. أبو بكر الصولى : ويعتمد عليه فى نقوله عن ثعلب، وانشاد بعض الاشعار (٣).

٧. داود بن رشيد (٤).

٨. ابو القيم المروزى، يروى عنه بعض الأحاديث النبويه (٥).

٩. عبدالله بن البـــزار (٦).

١٠. عمر بن الفتح (٧).

١١. أبوعمران القاضى (٨).

١٢. محمد بن حمدا ن المقرئ (٩)

١٣. أبو بكر بن الاشعث (١٠)

١٤. ابن عقـــــده (١١)

١٥. أبو بكر النيسابورى (١٢)، ويحكى أنه روى عنه مختصر المزنى (١٣).

١٦. أبو العباس بن رزيق الكاتب (١٤).

١٧. أبو عبدالله بن خوشيرد (١٥).

١٨. محمد بن عبيد الفقيه (١٦).

خوشيرد

---

(١) انظر لسان العرب (غمد)، والقراءات، لوحه : ٣١

(٢) انظر القراءات، لوحه : ٤٥٣

(٣) انظر شرح مقصورة ابن دريد، ورقة : ٢٦٣—٢٦٤، وليس فى كلام العرب، الجزء الخامس، الاوراق : ١٧٦، ١٨٨، ١٩٤، والقراءات، لوحه : ٣٥٩.

(٤) انظر شرح مقصورة ابن دريد، ورقة : ٢٢٩

(٥) انظر القراءات، لوحه : ١٢

(٦) انظر ليس فى كلام العرب، الجزء الخامس ورقة : ٢٦٧

(٧) انظر الربح، ورقه : ٢ وورقة : ٣

(٨) انظر القراءات، اللوحتان : ٣٠٣، ٤٨٩

(٩) انظر القراءات، اللوحتان ٥٠١، ٦١١

(١٠) انظر المصدر نفسه، لوحه : ٤٩٣

(١١) انظر المصدر نفسه، لوحة : ٥٢٠

(١٢) انظر المصدر نفسه، لوحة : ٥٢٩

(١٣) انظر طبقات الشافعية ٢ : ٢١٢

(١٤) انظر القراءات، لوحه : ٥٦٦

(١٥) انظر المزهر فى علوم اللغه : ١ : ٥٨٤

(١٦) انظر القراءات، لوحة : ١٧

١٨ • محمد بن حفص القطان (١).

١٩ • محمد بن عبدالله الإخباري (٢).

٢٠ • ابو القاسم البغوي (٣).

٢١ • محمد بن أبي هاشم (٤).

٢٢ • ابو طاهر النحوي (٥).

٢٣ • علي بن هارون (٦).

٢٤ • اسماعيل الوراق (٧).

٢٥ • ابوعيسى السمان (٨).

٢٦ • أحمد بن أوس (٩)، ويقول فيه : ((وكان أضبط من لقيت وأقرأهم بعد ابن مجاهد))(٩).

لعل هذا القدر من الشيوخ الذين استقصيتهم يعد قليلا إذا ما قورن بمن تبقى أغفلتهم خوفا من الإطالة •

---

(١) انظر القراءات ، اللوحتان ١٨ ، ٢١ ، وإعراب ثلاثين سورة : ٢٠

(٢) انظر القراءات ، لوحة : ٢٢

(٣) انظر القراءات ، لوحة : ١٨

(٤) انظر اعراب ثلاثين سورة : ٢٩ ، ٢٢٨ ، وانظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة : ٢٣٣

(٥) انظر إعراب ثلاثين سورة : ٢٠٥ ، وشرح مقصورة ابن دريد ورقة : ٦٦

(٦) انظر شرح مقصورة ابن دريد ، ورقة ٤٣٠

(٧) انظر المصدر نفسه ، ورقة : ٢٦٩

(٨) انظر القراءات ، لوحة : ٧

(٩) انظر المصدر نفسه ، لوحة : ٧

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

تلاميـــــــــــذه

لقد أشرت فيما مضى إلى أن الرحلة كانت اليه من الآفاق ، وذلك لشهرته وقدمه الراسخة في ميدان الدراسات القرآنية واللغوية والأدبية، لذلك غصت حلقته بالمريدين والمتعلمين ، ولم يذكر أصحاب التراجم والطبقات إلا عددا قليلا منهم ، وقد استطعنا من خلال جولاتنا الفاحصة في مؤلفاته وغيرها أن نهتدي إلى بعض هؤلاء المريدين الذين تناستهم كتب التراجم والطبقات . ومنهم من انضم إلى حلقته لينهل من علم القراءات التي بلغ فيها ابن خالويه شأوا عظيما ، وكان لبعضهم شهرة لامعة فيها كالمعافي بن زكريا النهرواني الذي شُهِدَ له بالتفوق . وسأقف عند مشاهيرهم وقفات قصيرة محاولا تبيين أثر الشيخ فيهم ، وأما الآخرون فسأكتفي بتدوين أسمائهم حبا في الإيجاز والاختصار ، وهم :

١ . المعافي بن زكريا النهرواني [1]: (٣٠٣ ، ٣٠٥ هـ - ٣٩٠ هـ)

ذكر ابن شهبة الأسدي [2] أنه تتلمذ عليه ، أما البغدادي الذي أغفل ابن خالويه نفسه ، إذ لم يترجم له كغيره ، فلم يشر إلى أنه تتلمذ عليه رغم استقصائه لشيوخه [3] . والمعافي هو ابن زكريا بن يحيى بن حماد بن داود النهرواني الجريري [4] المعروف بابن طرارة ، أخذ الأدب عن نفطويه ، وأخذ القراءة عن أبي الحسن بن شنبوذ وأبي المزاحم الخاقاني ، وحدث عن ابي القاسم البغوي ،

---

(١) انظر ترجمته فيما يلي :
تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٠ ، المنتظم ٧ : ٢١٣ - ٢١٤ ، معجم الأدباء ١٩ : ١٥١ - ١٥٤ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ٢٠٤ ، نزهة الألباء : ٢٤٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٠١ ، مرآة الجنان ٢ : ٤٤٣ ، شذرات الذهب ٣ : ١٣٤-١٣٥ ، غاية النهاية في طبقات القراء ٢ : ٣٠٢ ، الفهرست : ٢٣٦ ، الذريعة ٤ : ٤٥٦ ، الأعلام ٨ : ٦٩ ، كشف الظنون : ٥٩٣ ، هدية العارفين ٢ : ٤٦٤ - ٤٦٥ ، إنباه الرواة ٣ : ١٩٦ ، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ٣٠ : ٣٨٠ - ٣٩٤ .

(٢) طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣١

(٤) نسبة إلى محمد بن جرير الطبري

وأبي بكر بن داود وغيرهما • وجاء في (نزهة الألباء) أن أبا الحسن علي ابن سليمان الأخفش أخذ عنه [١]، ولعل هذا الوهم يرجع إلى ناسخ (نزهة الألباء) لأن الاخفش الأصغر ولد سنة (٢٣٥هـ) وتوفي سنة (٣١٥ هـ) واما المعافي النهرواني فولد سنة (٣٠٣ ، ٣٠٥ هـ) وتوفي سنة (٣٩٠ هـ)، وشتان ما بينهما • ويسري هذا الوهم ليشمل الدكتور ابراهيم السامرائي الذي يعلق في الحاشية على هذه المسألة بقوله : ((هو المعافي بن زكريا بن يحي أبو الفرج النهرواني القاضي المعروف بابن طرارة المتوفي سنة ٢٧٠ هـ)) [٢]، ولو تفضل الأستاذ الفاضل بمراجعة ما احالنا اليه من مراجع ترجمت للمعافي نفسه لجنب نفسه من الوقوع في مثل هذه الخطأ الذي لا يصح أن يقع فيه واحد مثله، والغريب أن الأستاذ الفاضل قد وقف على ماجاء في ترجمة المعافي في المؤلف نفسه الذي يشير إلى أنه ولد سنة (٣٠٣ ، ٣٠٥ هـ)[٣] وتوفي سنة (٣٩٠ هـ) • ولعل أبا الحسن الاخفش أخذ عن نهرواني آخر غير ابي الفرج •

قيل إنه من أعلم الناس، لنستمع إلى نقل أبي البركات بن الأنباري فيه : ((وكان أبو محمد الباقي يقول : إذا حضر أبو الفرج فقد حضرت العلم كلها • وكان يقول أيضا : لو أن رجلا وصّى بثلث ماله أن يدفع إلى أعلم الناس، لوجب أن يدفع إلى المعافي بن زكريا)) [٤]. وروى أبو حيان التوحيدي ان حاله قد ساءت في أخريات أيامه ، إذ رآه في جامع الرصافة وقد نام مستدبر الشمس في يوم شات، وعلامات البؤس والفقر بادية عليه [٥].

وكان مولعا بالتأليف في موضوعات شتى ، أحصى له ابن النديم [٦] ما ينوف على العشرين مؤلفا ، من بينها القراءات ، وتأويل القرآن والجليس، والمرشد في الفقه • ويتراءى لي أن اثر ابن خالويه فيه ينحصر في القراءات والعلوم القرآنية ، لانه لم يطالعني اسم ابن خالويه في كتابه (الجليس) [٧]، الذي يروى فيه المعافي عن أكثر من أربعين شيخا ، من بينهم ابن الأنباري ، وابن دريد ، والصولي

---

(١) انظر نزهة الالباء : ١٨٥

(٢) انظر المصدر نفسه حاشية رقم (٤) من الصفحة : ١٨٥

(٣) انظر نزهة الالباء : ٢٤٣

(٤) انظر المصدر نفسه : ٢٤٢ ـ ٢٤٣

(٥) انظر معجم الأدباء ١٩ : ١٥١ ـ ١٥٢

(٦) انظر الفهرست : ٢٣٦

(٧) انظر كتاب الجليس في مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق: ٣ : ٣٨٢ ـ

وزكريا والده . وغالب ظني أننا لو استطعنا الحصول على كتابي المعاني القراءات ، وعلل القراءات [1] اللذين ذكرهما في الجليس لوجدنا اسمه يدور فيهما .

٢ . محمد بن عبدالله القرشي المخزومي السَّلاَّمي [2]. (٣٣٦ ـ ٣٩٣)

هو الشاعر محمد بن عبدالله بن محمد أبو الحسن القرشي المخزومي السلامي (بفتح السين واللام المخففه) نسبة إلى دار السلام [3]، وهو من ولد الوليد بن المغيرة [3]. وقد تناست كتب التراجم والطبقات الإشارة إلى أنه تتلمذ على ابن خالويه كما تناست غيره ، غير أن الأستاذ العاملي [4] ذكر أنه وجد على إحدى مخطوطات شرح ابن خالويه لمقصورة شيخه ابن دريد الموجودة في مكتبة آل المغربي في دمشق ، إجازة ابن خالويه بخطه للشيخ أبي الحسن محمد بن عبدالله الشاعر الشهير بالسلامي .

لقد نشأ الشاعر السلّامي في بغداد والموصل التي لقي فيها بعض الأدباء كأبي الحسن التلعفري وغيره . ويبدو أن علاقته بالصاحب بن عباد كانت وثيقة ، إذ كان الصاحب يبالغ في إكرامه [5]. وذكر الثعالبي [6] أنه من أشعر اهل العراق . ولعلي لم أعثر على نص نقله من ابن خالويه غير ما طالعنا به الأستاذ العاملي .

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ٣٠ : ٣٨٥

(٢) انظر ترجمته فيما يلي :
الوافي بالوفيات ٣ : ٢١٧ ـ ٢١٩ ، وفيات الأعيان ١ : ٦٣٦
يتيمة الدهر ٢ : ٣٦٤ ، كشف الظنون : ٢٩٢ ، ٧٩٣ ، وإيضاح المكنون
١ : ٢١٥ ، ومعجم المؤلفين ١٠ : ٢٤٥

(٣) انظر الوافي بالوفيات ٣ : ٢١٧

(٤) اعيان الشيعة ٢٥ : ٥٦

(٥) انظر الوافي بالوفيات ٣ : ٢١٧

(٦) المصدر نفسه والمكان نفسه

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٣٠ عبد المنعم بن غلبون [1] : (٣٠٩ هـ ـ ٣٨٩ هـ)

هو عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبي ذكره ابن الجزرى [2] وياقوت [3] من بين الذين أخذوا القراءة عرضا عن ابن خالويه . وأخذ عنه أيضا خلق كثير [4] . وكان ضابطا ثقة خيرا صالحا دينا [5] . وله من التآليف : الإرشاد في السبع [6] ، رسالة في المآثر العربية ونشر المفاخر الإسلامية [7] ، رد فيها على ما صنفه أبو عامر بن خرسته في تفضيل العجم على العرب، والمعدل في القراءات [8] وغيرها .

٤٠ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر (متوفي ٣٨٣ هـ او ٣٩٣هـ)

ذكر أبو البركات بن الأنبارى [9] أنه روى عن ابن خالويه .

٥٠ محمد بن عثمان بن بلبل (م ٤١٠ هـ)

وهو الذى روى عن أبي علي الفارسي كتابه (الحجة في القراءات السبع) [10] وأشار ياقوت إلى أنه قرأ على ابن خالويه [11].

---

(١) انظر ترجمته فيما يلي :
غاية النهاية في طبقات القراء : ١ : ٤٧٠ ـ ٤٧١ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٤٢
شذرات الذهب ٣ : ١٣١ ، الأعلام ٤ : ٣١٦ ، معجم المؤلفين ٦ : ١٩٤
كشف الظنون : ٦٦ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٨ .

(٢) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٤٧٠

(٣) انظر معجم الأدباء ٩ : ٢٠٠

(٤) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٤٧٠

(٥) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه

(٦) المصدر نفسه ١ : ٤٧١

(٧) انظر كشف الظنون : ٦٤٤ ـ ٦٤٥

(٨) انظر المصدر نفسه ١٧٣٧ ـ ١٧٣٨

(٩) انظر نزهة الألباء : ٢٣٠

(١٠) انظر إرشاد الأديب ٧ : ٣٩

(١١) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٠٦ أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ [١]:

ذكر القفطي وغيره أنه روى عنه [٢].

٠٧ سعيد بن الفارقي ، أبو القاسم [٣]: ذكره ياقوت الحموى [٤].

٠٨ القاضي ابو الحسين النصيبي :

ذكر النجاشي [٥] أنه قرأ عليه كتاب الآل

٠٩ أحمد بن محمد بن بندار [٦].

٠١٠ الحسن بن سليمان [٧].

٠١١ أبوعلي الصقلي [٨].

٠١٢ أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس الطرابلسي :
قرأ عليه جمهرة ابن دريد [٩].

٠١٣ ابن القـــارح [١٠].

٠١٤ أبوعلي الحسين بن علي الرهاوى [١١].

---

(١) انظر في ترجمته :
تذكرة الحفاظ ـ ٣ : ١٤٣ ـ ١٤٥
شذرات الذهب ٣ : ٥١ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٨١ ، معجم المؤلفين ٦ : ٨٢
اللباب في تهذيب الانساب ١ : ٢١٩

(٢) انظر إنباه الرواه ١ : ٣٢٥

(٣) انظر معجم الأدباء ١١ : ٢١٧ وكشف الظنون : ٤٦٦، ١٧٩٣، ومعجم المؤلفين ٤ : ٢٤٣

(٤) انظر معجم الادباء ١١ : ٢١٧

(٥) انظر الرجال : ٥٠

(٦) انظر الصاحبي في فقه اللغة : ٤٣

(٧) انظر بغية الوعاة ١ : ٥٢٩ ، وطبقات الشافعية ٢ : ٢١٢

(٨) انظر رسالة الغفران ، ومعها رسالة ابن القارح : ٦٣

(٩) انظر المزهر في علوم اللغة ١ : ٩٥ ، وبغية الوعاة ١ : ٣٢٢

(١٠) انظر رسالة الغفران ومعها رسالة ابن القارح : ٥٦

(١١) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٣٧ .

١٥ . عثمان بن أحمد بن العلوط (١).

١٦ . أبو المهذب محمد بن المهذب المقرئ (٢).

١٧ . أبو زكان الفارقي :

قرأ عليه شرح متصورة ابن دريد (٣).

١٨ . سيف الدولة وأولاده (٤).

لعلّ هذا القدر من التلاميذ الذين استطعت أن أستقصيهم يشهد بمكانة ابن خالويه العلمية ، ويؤكد ما أجمعت عليه كتب التراجم والطبقات من أنّ الرحلة كانت إليه من الآفاق .

---

(١) انظر طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧

(٢) انظر فهرست ما رواه ابن خير عن شيوخه : ٥٧٥

(٣) انظر الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف بغداد : ١٦٣

(٤) انظر طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

منافســـــــــ

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ويحمل أبو الطيب اللغوى على الكوفيين وقارئهم حمزة ، لنستمع إليه في هجومه على الكسائي : ((وأخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا أبو الحسن الحنفي وابراهيم بن حميد قالا : حدثنا أبو حاتم قال : لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئا ، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل إلا حكايات من الأعراب مطروحة)) (١).

ويتراءى لي أن سمة المعارضة والنقض قد سيطرت على علماء هذا القرن ، وذلك ليصلوا إلى أماكن الشهرة ، ولو حاولنا استقصاء مؤلفات ابن درستويه التي عارض فيها غيره من القدامى والمعاصرين لوقفنا مأخوذين بسبب كثرتها ، وهي كما يلي : الرد على بزرج العروضي ، الرد على المفضل في الرد على الخليل ، الرد على ثعلب في اختلاف النحويين ، الرد على ابن خالويه في الكل والبعض ، الرد على ابن مقسم ، الرد على الفراء في المعاني ، الكلام على ابن قتيبة في تصحيف العلماء ، رسالة إلى الطولوني في تفضيل العربية ، الرد على أبي زيد البلخي في النحو ، الرد على من قال بالزوائد ، وقال : يكون في الكلام حرف زائد ، الانتصار لكتاب العين وأنه للخليل (٢).

وكثيرا ما كانت المنافسة والتعصب يسريان إلى الطلبة والمريدين الذين يجرفهم تيار تعلقهم بشيخهم واحترامهم له فيتصدون للرد على أعدائه وحساده ، لذلك يطالعنا أبو حيان التوحيدى بالرد على أبي علي الفارسي وفاء لشيخه أبي سعيد السيرافي وتعصبا له (٣).

وكان للتكالب على التزلف لذوى الجاه والسلطان أثره الفعال في إشعال حدة الصراع الذى ولّد هذا التعصب في النحو واللغة ، وخير مصداق على ما نقول ما كان يجرى في بلاط كل من الصاحب بن عباد وسيف الدولة الحمداني ، وعضد الدولة البويهي وغيرهم ، إذ كان الصراع بين أبي علي الفارسي وابن خالويه في بلاط سيف الدولة على أشده ، ويشمل هذ الصراع أبا الطيب المتنبي وأبا الطيب اللغوى اللذين يتعصبان ضد ابن خالويه وصديقه أبي فراس الحمداني .

---

(١) مراتب النحويين : ٧٤ ـ ٧٥

(٢) انظر انباه الرواة ٢ : ١١٣ ـ ١١٤

(٣) انظر معجم الأدباء ٨ : ١٥٢ .

ولعلّ ما يؤكد شيوع هذه الظاهرة ما طالعنا به المعافي بن زكريا النهرواني من شكوى من أعدائه وحساده [١]:

ألا قل لمن كان لي حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله ... لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عنه بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

ولو حاولنا أن نستقصي بعضا ممن جرفهم تيار التعصب والمنافسة لوجدناهم كثيرين يشهدون على حدة هذه الظاهرة وتأججها، فكان هنالك عداء بين كل من الأزهري وابن دريد [٢]، والدارقطني وابن دريد [٣]، ونفطويه وابن دريد [٤]، والسيرافي وأبي علي الفارسي [٥]، ويرجع أبو حيان التوحيدي ذلك إلى تمكن السيرافي من شرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة، وهي مسألة لم تتم لأبي علي ولا المبرد أو ابن درستويه أو ابن السراج أو الزجاج [٦]، وينتصر لأبي سعيد السيرافي كل من ابن خالويه، وأبي منصور الجواليقي [٧]. وينتصر المتنبي وابن جني لأبي علي الفارسي [٨]. وهناك تنافس بين كل من أبي علي الفارسي والرماني [٩] وأبي حيان التوحيدي والصاحب بن عباد [١٠]، إذ كان الصاحب ينظر إليه على أنه وراق حقير، فحز في نفسه أن يكلفه الصاحب بنسخ مؤلفاته جميعها وهي ثلاثون مجلدة يستنزف نسخها العمر المديد، ولذلك كان يطعن فيها، فرد عليه الصاحب ذلك بقوله: ((طعن في رسائلي وعابها، ورغب عن نسخها وأزرى بها، والله لينكرن منّي ما عرف، وليصرفن حظه إذا انصرف)) [١١].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٠
(٢) انظر تهذيب اللغة ١ : ٣١
(٣) انظر نزهة الألباء : ١٩٢
(٤) انظر المصدر نفسه : ١٩٥
(٥) انظم معجم الأدباء ٨ : ١٥٠
(٦) انظر المصدر نفسه ٨ : ١٧٨ ـ ١٨١
(٧) انظر مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ٢٥ : ٧٩
(٨) انظر معجم الأدباء ٨ : ١٧٨
(٩) انظر ابن جني النحوي : ١٠٤
(١٠) انظر أبو حيان التوحيدي ٦٨ ـ ٦٩
(١١) نقلا عن أبي حيان التوحيدي : ٦٩

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وكان هناك أيضا عداء بين السيرافي ومتى المنطقي [١]، والسيرافي وأبي الحسن العامري الفيلسوف النيسابوري [٢].

لعلّي استطعت بهذا القدر من حلقات التجمع التي سيطر عليها التنافس والعداء، وهي حلقات كثيرة جدا لو حاولت استقصاءها جميعها، ولعل ما استقصيته يؤكد حدة هذا التعصب الذي اتسع نطاقه ليصل إلى التراشق بألفاظ لا يحق لعلماء هذا القرن أن يتفوّهوا بها. وتزداد هذه الظاهرة وضوحا وجلاء عند وقوف القارئ على أعداء ابن خالويه ومنافسيه، إذ يشتد الصراع بينه وبينهم فتستعمل الألفاظ المستهجنة كالسهام الموجهة، وينتهي أحد أطراف هذا الصراع بضرب ابن خالويه للمتنبي بالمفتاح. وسأقصر حديثي على ماكان يجرى بين ابن خالويه وأبي علي الفارسي، وبينه وبين أبي الطيب اللغوي، وبينه وبين أبي الطيب المتنبي، ورأيت ألاّ اترجم لهؤلاء الخصوم لأنهم قد درسوا دراسة وافية، فمن أراد ذلك فليعد إلى مظان دراستهم [٣]، لذلك سأكتفي بتوضيح العصبية وجذورها بين هؤلاء معتمدا على ما وقعت عليه في مؤلفاتهم وعلى ما زودتني به كتب التراجم والطبقات.

ابن خالويه وأبوعلي الفارسي :

لم نعثر على نص يشير إلى أن العداء بينهما بدأ في بغداد، ولكن الخصومة بين أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي قد بدأت في بغداد، ولقد أشارت كتب التراجم والطبقات إلى تلمذة ابن خالويه على أبي سعيد، ولكن أثر أبي سعيد لم يكن ظاهرا في مؤلفات ابن خالويه كأثر غيره فيه كما مر، ولعلّ ذلك يجعلني أذهب إلى أن العلاقة بينهما لم تكن وثيقة لتجعل ابن خالويه ينتصر لشيخه رغم انتصار الشيخ له [٤]. ولعلّ السبب المباشر في إشعال نار العداوة بينهما يكمن في التزلف إلى سيف الدولة الحمداني إذ يعد ابن خالويه العدة

---

(١) انظر معجم الأدباء ٨ : ١٩٠ ـ ٢٢٨

(٢) انظر المصدر نفسه ٨ : ٢٢٩ ـ ٢٣٢

(٣) انظر أبوعلي الفارسي . وابن جني النحوي . وأبو الطيب اللغوي . (مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ٢٩ : ١٧٦) وانظر مقدمات محققي مؤلفاته المختلفة .

(٤) انظر أبوعلي الفارسي : ٥٧٨

لأبي علي قبل أن يصل إلى حلب للإيقاع بينه وبين سيف الدولة ، لأنه يعرف مكانة أبي علي في اللغة والنحو ولعلّ ما يؤكد ما نذهب إليه ما نقل عن هذين العالمين من أقوال : جاء في حاشية الصبان ما يلي : ((وفي الأشباه والنظائر النحوية للسيوطي قال ابن جني : قال أبوعلي الفارسي : سألت ابن خالويه بالشام عن مسألة فما عرف السؤال بعد أن أعدته ثلاث مرات ، وهي : كيف تبني من وأى مثل كوكب على قراءة من قرأ (قد افلح) (١) بنقل حركة الهمزة على الدال وحذفها ثم تجمعه بالواو والنون ، ثم تضيفه إلى نفسك ؟ وجوابها أنه في الأصل (وْوأْى) نحو كوكب فانقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار (ووأى) ثم نقلت حركة الهمزة إلى الواو الساكنة وحذفت ، فصار (ووا) فاجتمع واوان في أول الكلمة فقلبت الأولى همزة فصار (أوا) فاذا جمعته بالواو والنون قلت : أوون بحذف الألف لالتقائها ساكنة مع واو الجمع كما في (مصطفون) فاذا أضفته إلى نفسك قلت (أوىّ) بحذف نون الجمع للإضافة ، وقلب واو الجمع ياء لاجتماعها مع الياء ، وسبق إحداهما بالسكون، وإدغام الياء في الياء ... وهذه القصة مما يؤيد عدّ ابن هشام في المغني ابن خالويه من النحاة الضعفاء)) (٢). والقول نفسه مع ابن خالويه الذي رُوي عنه ما يظهر تفوقه في مسألة لغوية على أبي علي الفارسي بحضرة سيف الدولة عندما سئل عن اسم ممدود جمع مقصورا (٣). ويتحدى ابن خالويه أبا علي أن يناقشه في الكتاب ، لكن أبا علي يطلب منه أن يناقشه في فصيح ثعلب كما مر (٤).

ولعلّ خير ما يشهد على تفوق ابن خالويه على خصمه في بلاط سيف الدولة هجرة أبي علي المبكرة لحلب ، إذ لم يقض فيها أكثر من أربع سنوات (٥). وتشهد على ذلك أيضا رسائل أبي علي لسيف الدولة التي يظهر فيها خنوعه وتودده إليه وشكواه من ابن خالويه (٦).

---

(١) المؤمنون : ١ ، الأعلى : ١٤ ، الشمس : ٩

(٢) حاشية الصبان على الاشموني ٤ : ٥٣

(٣) انظر في ذلك ما مضى : ٤٨

(٤) انظر في ذلك ما مضى : ٥٩

(٥) انظر في ذلك ما مضى : ٤٨

(٦) انظر في ذلك ما مضى : ٤٤

وغالب ظني أن ابن خالويه ألف (الهاذور) [1] في حلب ليرد على أبي علي الفارسي الذى خطأ الزجاج في معانية في بعض المسائل في (الإغفال) قبل أن يصل إلى بلاط سيف الدولة . ولعلي لا أوافق من ذهب [2] إلى أن العداء بينهما كان بسبب أبي سعيد السيرافي ، ولعل ما يؤكد ذلك أن أبا علي الفارسي ثأر لنفسه من خصمه ، إذ قطع الطريق على ابن خالويه في محاولته الوصول إلى عضد الدولة الذى ألف له كتابا مجدولا في القراءات ، ولذلك نجد ابن خالويه يشكو الفقر وسوء أوضاعه في أخريات حياته .

وقبل أن أختتم حديثي أود أن اقتبس بعض النصوص التي تضفي إشعاعات على هذه المسألة ، لنستمع إلى أبي علي في رسالته إلى سيف الدولة الحمداني : ((أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة ، عبد سيدنا ، الرقعة النافذة من حضرة سيدنا ، فوجد كثيرا منها ..... ولم تجر عادة عبده به لاسيما مع مثل صاحب هذه الرقعة إلا أن يذكر من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل فيما يقوله ....)) [3] . ولعل ما يؤكد مكانة ابن خالويه عند سيف الدولة أن أبا علي الفارسي استبعد الألفاظ الشاذة التي كان من الممكن أن يوجهها سهاما قوية إلى خصمه ، ولكنه يخشى أن يغضب سيف الدولة ، فلم يتجاوز القول : ((ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل)) ، ((وهو غلط فيما حكاه)) [4] ، ((وغلط في الحكاية)) [5] ، ((فكلام لا وجه له)) [6] ، (واحتجاجه بذلك دليل على ضعف بصره بالإمالة) [7] . ولكن هذه الألفاظ تتحول إلى سهام جارحة في (نقض الهاذور) [8] ، إذ لو استطعنا الحصول على هذا المؤلف لاستطعنا تحديد سمات هذه الظاهرة بوضوح وجلاء ، ونكتفي باقتباس بعض ما نثره البغدادى في خزانته من المؤلف السابق : ((ورد عليه أبو علي في (نقض الهاذور) بأن الذى يحكي هذه الحكايات عن سيبويه عن الخليل وعن أبي الحسن متقول كذاب ، ومتخوف أفاك لا يشك في ذلك

---

(١) انظر مؤلفاته .

(٢) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ٢٥ : ٨١

(٣) المسائل الحلبية ، ورقة : ١١٣

(٤) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه

(٥) انظر المصدر نفسه ، ورقة : ١٢٢

(٦) انظر المصدر نفسه ، ورقة : ١٢٤

(٧) انظر المصدر نفسه ، ورقة : ١٢٥

(٨) انظر آثاره في اللغة .

أحد له أدنى تنبه وتيقظ ، ولم يصغ إلى القبول منه والاشتغال به إلاّ الأغمار الأغفال الذين لا معرفة لهم بالرواة ورواياتهم ، وتمييز صادقهم من كاذبهم ، وضابطهم من مجازفهم ومتجوزهم في الرواية)) (١).

ولم أقف على نص يبين فيه عداء ابن جني لابن خالويه إلاّ ما طالعنا به صاحب (الفلاكة والمفلوكين) (٢). ولعلّ العداء بينهما لم يكن مستحكما إلى درجة يستحق معها الذكر ، لذلك تناست كتب التراجم والطبقات هذه الخصومة ، ولعل مَنْ نسب إليهما ذلك أوهمه تيار الخصومة بين ابن خالويه وأبي الطيب المتنبي ، لأن ابن جني كان صديقا للأخير كما سيأتي .

ابن خالويه وأبو الطيب اللغوي :

لعلّ السبب المباشر في اشتعال الخصومة بينهما التقرب إلى سيف الدولة الحمداني ، إذ انضم أبو الطيب إلى أبي الطيب المتنبي وأشياعه ، لذلك يعد ابن خالويه له ، ويخشى المتنبي أنْ يتغلب ابن خالويه على صديقه : ((وحدثني الثقة أنه كان في مجلس أبي عبدالله بن خالويه ، وقد جاءه رسول سيف الدولة يأمره بالحضور ويقول له : قد جاء رجل لغوي يعني أبا الطيب هذا ، قال المحدث : فقمت من عنده ومضيت إلى المتنبي ، فحكيت له الحكاية فقال : الساعة يسأل الرجل عن شوط براح (٣) والعلّوص (٤) ، ونحو ذلك ، يعني أنه يعنته)) (٥).

ويتخذ أعداء ابن خالويه وحساده عودته إلى كتبه للإجابة على مسائل لغوية وردته من سيف الدولة دليلا على ضعفه أمام أبي الطيب الذي أجاب عليها دون العودة إلى خزانة كتبه (٦). ويرجع الأستاذ عز الدين التنوخي (٧) ذلك إلى أنّ علم أبي الطيب كان صدريا لا قمطريا ، إذ يشبهه في ذلك بالأصمعي ،

---

(١) خزانة الأدب ٤ : ٣٤١ ـ ٣٤٢ ، وانظر ١ : ٣٥٤

(٢) انظر الفلاكة والمفلوكين : ١٠١

(٣) شوط براح : ابن آوى أو دابة غيره .

(٤) العلّوص : الذئب

(٥) رسالة الغفران ومعها رسالة ابن القارح : ٥٥١ ـ

(٦) انظر المصدر نفسه : ٦٣

(٧) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ٢٩ : ١٧٧ .

وأما ابن خالويه فهو عنده كأبي عبيدة ، ويتهم أبا العلاء المعرى بالتعصب لابن خالويه في قوله : ((وأما أبو عبدالله بن خالويه وإحضاره للبحث الفسخ فانه ما عجز ولا أفسخ (أى نسي) ولكن الحازم يريد استظهارا ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهارا)) (١). ولعل قصة عضد الدولة مع أبي علي الفارسي تبدو قريبة مما مرّ ، إذ سأل عضد الدولة أبا علي الفارسي عن عامل نصب المستثنى : ((ويقال : إنه اجتمع مع عضد الدولة في الميدان فسأله عضد الدولة : بماذا ينتصب الاسم المستثنى نحو : قام القوم إلاّ زيدا ؟ فقال أبو علي : ينتصب بتقدير أستثني زيدا ، فقال له عضد الدولة ، - وكان فاضلا : لم قدرّت أستثني زيدا فنصبت ؟ وهلاّ قدرّت : امتنع زيد فرفعت ؟ فقال له أبو علي : هذا الجواب الذى ذكرته لك جواب ميداني ، وإذا رجعت ذكرت لك الجواب الصحيح . وذكر في كتاب (الإيضاح) أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلاّ)) (٢). وجرت مناقشة بينه وبين ابن خالويه في بلاط سيف الدولة بحضور أبي الطيب المتنبي الذى رجّح قول أبي الطيب اللغوى (٣).

ويطالعنا ابن خالويه بالتهكم عليه والسخرية منه ، إذ يسمه بقرموطة الكبرتل لقصره كما مر ليحط من قدره أمام سيف الدولة (٤).

ومهما يكن من عداء شخصي وتنافس شديد مبعثه التقرب إلى ذوى الجاه والسلطان فإن مكانة كل من هؤلاء مرموقة ، ويصدق عليهم ما ذكره ياقوت الحموى نقلا من كتاب (الهلباجة) : ((قرأت في كتاب الهلباجة من تصنيفه (٥) ، وهو كتاب صنفه للوزير أبي عبدالله بن سعدان ..... بأبي علي الفارسي ، وهو فارس العربية ، وحائز قصب السبق فيها منذ أربعين سنة ، وبأبي عبدالله بن خالويه ، وكان له السهم الفائز في علم العربية تصرفا في أنواعه وتوسعا في معرفة قواعده وأوضاعه . وبأبي الطيب اللغوى ، وكان كما قيل حتف الكلمة الشرود حفظا وتيقنا .....)) (٦).

---

(١) رسالة الغفران ، ومعها رسالة ابن القارح : ٥٤٨ - ٥٤٩

(٢) نزهة الألباء : ٢٣٣

(٣) انظر الصبح المنبي : ٨٦ - ٨٧

(٤) انظر ليس في كلام العرب : ٦ ، ورسالة الغفران ومعها رسالة ابن القارح : ٥٥٠ - ٥٥١

(٥) من تصنيف محمد بن الحسن الحاتمي

(٦) ارشاد الاديب ٦ : ٥٠٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ابن خالويه وأبو الطيب المتنبـــــــــى :

لقد أشارت كتب التراجم والطبقات إلى هذه الخصومه التى نشأت وترعرعـــت فى بلاط سيف الدوله ،اذ تكوّن فيه فريقان متخاصمان ،فريق يضم ابن خالويـــــه وأبا فراس ومن شا يعمهما ،وفريق يضم المتنبى وأبا الطيب اللغوى وأبا على الفارسى ومن شا يعمهم . وتتحدث المراجع عن هذه الخصومه وأسبابها ،اذ يحاول ابن خالويه أن يظهر عجز خصمه أبى الطيب فى كثير من المسائل اللغويه ،جاء فى لسان العرب مايلى : ((قال ابن برى : وفى البعير سؤال جرى فى مجلس سيف الدولـــــه ابن حمدان ،وكان السائل ابن خالويه ،والمسؤول المتنبى : قال ابن خالويـــه ، والبعير أيضا الحمار ،وهو حرف نادر القيته على المتنبى بين يدى سيف الدولـــه وكانت فيه خنزوانه وعنجهيته فاضطرب ،فقلت : المراد بالبعير.....)) (١) .

وتنعقد الصله بين المتنبى وابن جنى (٢) الذى وثق الصله بينه وبيـــــن أبى على الفارسى (٣) ،ويقابل ابن خالويه ذلك بتوثيق الصله بينه وبين أبـــــى فراس الحمدانى ومن شا يعمهما ليقفوا سدا منيعا فى وجه المتنبى وصحبه . ويسعى أبو فراس عند سيف الدوله للايقاع بأبى الطيب ،إذْ يروى أنه دخل على سيف الدوله فحاول أن يمنع عطاءه عنه بمحاولة إقناعه ليكف عن منح المتنبى ما يقارب ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ،لأنّ هذا القدر من المال كفيل بأن يجعل كثيرا من الشعراء يأتون بما هو خير من شعره ،ويروى أن سيف الدوله أخذ بكلام أبى فـــراس (٤) .

ويروى أن سيف الدوله كان يغتاظ كثيرا من تعاظم أبى الطيب ،فـــأراد أن يخفف من تعاظمه ،فأحضر صرة فيها عشرة آلاف درهم ،وشقها ،فمد ابن خالويه طيلسانه ،وأبو الفرج دراعته فاعطاهما ولم يفعل المتنبى مثلهما ،مما جعـــــل سيف الدوله يغمز الغلمان بعد أن نثر ماتبقى فيها ،فداسوه وركبوا ظهـــــره ، وقال ابن خالويه معلقا على هذه الحادثه (٥) : ((يتعاظم تلك العظمه وينزل الى مثل هذه المنزله لولا حماقته)) (٦) .

---

(١) انظر مادة (بعر)

(٢) انظر معجم الأدباء ١٢ : ٨٦ . وانظر ماجاء فى موقف ابن خالويه مـــن الشاهد الشعرى .

(٣) انظر أبو على الفارسى : ٦٢

(٤) انظر فى هذه المسأله الصبح المنبى : ٨٧—٨٨ ،وانظر : ٨٩—٩٢

(٥) انظر المصدر نفسه : ٩٢

(٦) المصدر نفسه : ٩٢

وكان ابن خالويه يسخر من المتنبى أمام سيف الدوله ،الذى لا يحـــــرك ساكنا مما يدل على مكانته المرموقة عنده (١) . وتبلغ الخصومه بينهما أقصاهـــا بضرب ابن خالويه للمتنبى بالمفتاح الذى يحمله عندما عيّر بأصله الخـــوزى ، لذلك هجر ابو الطيب حلب لأن سيف الدوله لم ينأر له (٢) . ولعلّ ما يؤكـــد هذه الخصومه أن ابن خالويه لم يستعن بشعره فى المعانى كما استعان بـــه ابن جنى .

ويتراءى لى أنّ هناك خصومه بينه وبين أبى اسحق الزجاج ،إذْ يسمـــه بالجهل أحيانا (٣) ،وبينه وبين أبى على الصقلى الذى وقف الى جانـــب أبى الطيب الذى رد على مسائل سيف الدوله دون الرجوع إلى خزانة كتبـــه ، وبينه وبين ابن درستويه الذى ألف كتابا يرد فيه عليه اسماه ((الرد علـــى ابن خالويه فى الكل والبعض)) (٤) .

---

(١) انظر الصبح المنبى : ٧٨—٧٩

(٢) انظر المصدر نفسه : ٨٦—٨٧

(٣) انظر الأشباه والنظائر ٤ : ١٣٠

(٤) انظر انباه الرواه ٢ : ١١٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

آراء القدامى والمحدثين فيـــــــه

لقد وقف القدامى والمحدثون منه ثلاثة مواقف متباينة ، فمنهم من تجاهلـــه وتناساه ، فلم يترجم له كالخطيب البغدادى في (تاريخ بغداد) والزبيدى فـــي (طبقات النحويين واللغويين) ، وابن الجوزي في (المنتظم) ، وأبي الفدا في تاريخـه إذ لم يذكره في وفيات (٣٧٠ هـ) . وتبعهم بعض المحدثين في هذا التجاهـــل كالدكتور شوقي ضيف في (المدارس النحوية) . ومنهم من ذهبوا إلى تضعيفـــــه" إذ وسموه بصفات تدل على شدة تحفظهم عليه إذا ما قورنت بتلك الصفات التي وصفـه بها الفريق الثالث ، ومن هؤلاء أبو البركات بن الأنبارى الذى يقول عنه : ((ولـــم يكن في النحو بذاك)) [١] ، وابن هشام الذى اعتبره من النحويين الضعفاء : ((والتاسع والثمانية ، ذكرها جماعة من الأدباء كالحريرى ، ومن النحويين الضعفاء كابـــن خالويه .....)) [٢] . وتبعه في ذلك الصبان في حاشيته على شرح الأشموني : ((..... وهذه القصة مما يؤيد عد ابن هشام في المغني ابن خالويه من النحاة الضعفاء)) [٣] . والقول نفسه مع ابن مكتوم كما يبدو في نقل صاحب (الفلاكة والمفلوكين) عنه : ((قال ابن مكتوم كما نقلته من خطه : وكان ابن خالويه على إمامته في اللغة ضعيفا في النحو وعلله ضعيفا في التصريف)) [٤] ويؤيد ذلك بقوله : ((قلـــت وأنت إذا وقفت على ضعفه في العربية وقفت على سر الحكاية المشهورة عنه وأنهـــا ليست من هضم النفس في شيء ، وهي : أنه قال له رجل : أشتهي أن أتعلم مـــن العربية ما أقيم به لساني ، فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ما تعلمـــت ما أقيم به لساني)) [٥] ، وينفي الأستاذ العاملي [٦] أن يكون ضعيفا في اللغة إذ يؤكد أن ضعفه في العربية لم يقم عليه شاهد ، والحكاية المشار إليها لا تخرج عن هضـــم النفس أو بيان سعة العربية . ويعقب الأستاذ العاملي على ما أورده أبو البركـــات

---

(١) نزهة الألباء : ٢٣٠

(٢) مغني اللبيب : ٣٦٢

(٣) حاشية الصبان على شرح الاشموني ٤ : ٥٣

(٤) الفلاكة والمفلوكين : ١٠١

(٥) المصدر نفسه والمكان نفسه .

(٦) أعيان الشيعة ٢٥ : ٤٩

ابن الأنباري (١) من أنّ أبا علي طلب منه أنْ يتناقشا في فصيح ثعلب لا في كتاب سيبويه بقوله : ((كأنه يشير بذلك إلى أنّه ضعيف في النحو قوي في اللغة)) (٢). ولعلي أفهم من عبارة أبي البركات عكس ما فهمه الأستاذ الفاضل ، لأن السيرافي قد اشتهر بشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة ، وقد اكدت فيما مضى أنّ ابن خالويه كان ممن تتلمذوا على السيرافي مدة ما ، مما جعله يلم بمسائل الكتاب إلماما حسنا يتحدى به النحاة الآخرين ممن لم تتح لهم الفرصة التي أتيحت له كأبي علي الفارسي . وكيف يطلب أبوعلي الفارسي منه أنْ يناقشه في موضوع قد ثبتت مقدرته فيه ؟ ! ألم يكن أبوعلي يتحين الفرص ليظهر فيها ابن خالويه في موقف الضعف والجهل ؟ ! ألم يتغلب ابن خالويه عليه بحضرة سيف الدولة بإجابته على ما جاء ممدودا ثم جمع مقصورا ؟ ! ولعل ميدان التحدي كان بلاط سيف الدولة الحمداني لانه لم يثبت لدينا أنهما التقيا خارج حلب ، فعلى أبي علي إظهار مقدرته في التغلب على خصمه ليرضى عنه سيف الدولة . ولعلّ ما يؤكد ما أذهب إليه أنّ أبا علي كان يتهمه بالضعف في التصريف : ((وما ذكره من أنيّ شبّهتُ الفعل بالاسم والكلمة على حرفين بالثلاثي ، فكلام ساقط يدل على أنّ قائله ليس يعرف من التصريف شيئا .....)) (٣) لذلك اختار الجانب الذي يستطيع ان يصل فيه الى سيف الدولة على حد زعمه .

ولعلي لا أريد أنْ أتناول هذه الأقوال بالمناقشة لئلا يكون الحكم عفويا ، إذْ سأرجيء ذلك إلى آثاره في النحو وآرائه فيه ليستطيع القارئ الكريم بعد أنْ يقف على ذينك الإثرين أنْ يحكم على ضعفه أو تمكنه ، ولكنني أرى أنّ هذه الأقوال السابقة تناقلها أصحابها من مصدر واحد قد يكون أبا البركات بن الأنباري ، لأن ابن النديم وأبا منصور الثعالبي اللذين عاصراه لم يطالعانا بما طالعنا به أبو البركات . وربما يعود ذلك إلى تعصبهم إلى الفارسي الذي كان يميل إلى التعليل والأقيسة ، وهو منهج هجره ابن خالويه لكثرة العلل والأقيسة لان طابعه التيسير والتبسيط على مريديه وطلبته . ولعل خير مصداق على مقدرته في ميدان النحو تمثله لآراء كثيرين من النحاة كالأخفش وسيبويه والفراء وغيرهم (٤).

---

(١) نزهة الألباء : ٢٣١

(٢) أعيان الشيعة ٢٥ : ٥٠

(٣) المسائل الحلبية ، ورقة : ١٢٢

(٤) انظر باب النحو .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ووسمه صاحب (تنقيح المقال) في نقله عن الحاوي بالضعف في الرواية : ((وعده الحاوي على أصله في الضعفاء..)) (١)، ولقد أشرت فيما مضى إلى أنه كان دينا ثقة فيما يروى .

ومنهم من وقف منه موقفا يتسم بكل إجلال وتقدير ، إذ وسموه بصفات تجمع على أنه إمام اشتهر بالنحو واللغة ، ومن هؤلاء ابن النديم الذي أكد أنه خلط المذهبين الكوفي والبصري (٢)، وياقوت الحموي الذي استشهد على مكانته العالية في علوم العربية بقول الحاتمي في كتاب الهلياجه" الذي عرض فيه صفات كل من ابن خالويه وأبي علي الفارسي وأبي الطيب اللغوي (٣). وأكد ياقوت هذه المكانة بقوله : ((وتقدم في العلم حتى كان أحد افراد عصره ، وكانت الرحلة إليه من الآفاق)) (٤)، ويكاد يجمع من تبقى من أصحاب التراجم والطبقات على أنه إمام في النحو واللغة ، وأن الرحلة كانت إليه من الآفاق (٥). ويسمه ابن شهبة الأسدي بعد أن قرأ كتابه (ليس في كلام العرب) بسمة الاطلاع فيه : ((وهو يدل على اطلاع عظيم ، فإن مبنى الكتاب من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا)) (٦)، وذكر ابن الصلاح أنه إمام في كل فن من فنون الأدب (٧)، ووثقه أبو عمرو الداني في نقل السيوطي عنه : ((قال الداني في طبقاته : عالم بالعربية ، حافظ للغة ، بصير بالقراءة ، ثقة مشهور)) (٨). ويرى السيوطي أنه من العلماء الذين عرفوا نوادر اللغة وشواردها : ((هذا نوع مهم ، ينبغي الاعتناء به ، فيه تعرف نوادر اللغة وشواردها ، ولا يقوم به إلا مضطلع بالفن ، واسع الاطلاع ، كثير النظر والمراجعة . وقد ألف ابن خالويه كتابا حافلا في ثلاثة مجلدات ضخمات ، سماه (كتاب ليس) موضوعه : ليس في اللغة كذا إلا كذا ، وقد طالعته قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس بحاضر عندي الآن)) (٩).

---

(١) تنقيح المقال ١ : ٣٢٧

(٢) انظر افهرست : ٨٤

(٣) انظر في ذلك ما مضى ؛ ٧٩

(٤) معجم الأدباء ٩ : ٢٠٠

(٥) انظر إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ، ورقة : ١٧، وطبقات الشافعية ٢ : ٢١٣ وبغية الوعاة ١ : ٥٢٩ - ٥٣٠ . ويتيمة الدهر ٢ : ٨٨، ووفيات الأعيان ١ : ٤٢٣ ، ومرآة الجنان ٢ : ٣٩٤ ، وإنباه الرواه ١ : ٣٢٥ .

(٦) طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧

(٧) انظر المصدر نفسه والمكان نفسه

(٨) بغية الوعاة ١ : ٥٢٩

(٩) المزهر في علوم اللغة ٢ : ٣

ولعل خير شاهد على مكانته ما طالعنا في (رسالة الغفران) : ((..... وجلس لهم في بعض المساجد بحلب حرسها الله ، فإنها من بعد أبي عبدالله بن خالويه عطلت من خلخال وسوار ، ونارت من الأدب أشد النوار)) (١).

أما المحدثون فقد شاركوا من تقدمهم في الثناء عليه ، فذهب الأستاذ أحمد أمين إلى أنه من أكبر الأئمة في زمنه في النحو واللغة والأدب وعلم القرآن (٢). والقول نفسه مع الاستاذ عبد العزيز عتيق الذى ذكر أنه من أشهر نحاة بغداد (٣). وأما الدكتور عبد العال سالم فقد ذكر أنه كان معلما نحويا ولغويا (٤).

وتكاد كتب التراجم والطبقات (٥) تجمع على أن شهرته كانت في النحو واللغة ، إذ تسمه عند ذكره بالنحوى اللغوى ، أو النحوى ، أو (إمام في اللغة والنحو) ولعل جهل العلماء له نحويا يعود إلى أنه لم يؤلف كتابا خاصا في النحو كأبي علي الفارسي وغيره من المعاصرين ، لأن النحو يمتزج بالتصريف وغيره في مؤلفاته ، فكتابه (إعراب ثلاثين سورة) رغم كونه في النحو كما يبدو من عنوانه يطالعنا بالنحو ممزوجا مع كثير من مسائل اللغة كالتصريف والاشتقاق والإدغام ، والإمالة والدلالة اللغوية . ولعلي أوافقه في هذه المسألة لأن النحو يرتبط ارتباطا وثيقا بتلك المسائل وغيرها ، إذ يتعذر الفصل بينهما ، وهي ظاهرة ليست غريبة عن المهتمين بالدراسات التربوية الحديثة ، الذين ينادون بعدم جعل دروس النحو طلاسم يستعصي فهمها على الطلبه . ويرجح الدكتور عبد العال سالم عدم شهرته في النحو إلى أنه كان يؤمن بأن اللغة تؤخذ سماعا لا قياسا ؛

---

(١) رسالة الغفران ، ومعها رسالة ابن القارح : ٥١٨

(٢) انظر ظهر الإسلام ١ : ١٨٦

(٣) انظر المدخل إلى علم النحو والصرف : ١٥٧

(٤) انظر مقدمة الحجة في القراءات السبع : ١٣

(٥) انظر ما يلي :

مرآة الجنان ٢ : ٣٩٤ ، إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ورقة : ١٧

طبقات النحاة واللغويين ، ورقة : ٣١٧ . معجم الأدباء ٩ : ٢٠٠

وفيات الاعيان ١ : ٤٣٣ الصبح المنبي : ٨٦ — ٨٧ .

الرجال : ٥٠ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

((ولعلّ السبب في عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو هو أنّه كان يؤمن بأن اللغة تؤخذ سماعا لا قياسا ، والتأليف النحوي ، كما جرت به عادة النحاة ـ يدور حول العلة والمعلول ، والقياس والمنطق ، ومن أجل ذلك لم يؤلف كتبا عديدة في النحو ، أو في أصوله كما فعل الفارسي وتلميذه ابن جني ، ولكنه مع هذا كان معلما نحويا ولغويا .....)) (١). صحيح أنه لم يؤلف كتبا عديدة في النحو ولكنّ كتبه في القراءات وشروحه المختلفة حافلة بمسائل نحوية لو استقصيناها لخرجنا بكتاب نحوي جامع لآراء القدامى وبعض ما كانوا يعتلون به واستدراكات غيرهم عليهم كاستدراكاته مثلا . ولعلّ كونه عالما في القراءات يرجح كونه نحويا ، لأنّ القارئ لا يصبح قارئا إلاّ بعد أنْ يتلقى دروسا كافية يستطيع بواسطتها الإلمام بمسائل النحو واللغة ، ولعلّ ما اشترطه على كل من يريد التصدي للإقراء خير دليل على ما أقول : ((قال أبو عبدالله : وأنا أبتدئ الآن في تعليل حروف هؤلاء الأئمة سورة سورة إذ كان القارئ لا يجد من معرفته بدا ، وإذ كان ندب إلى تعليم العربية والنحو . كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الآفاق : لا يقرئ إلاّ صاحب عربية .....)) (٢).

---

(١) مقدمة الحجة في القراءات السبع : ١٣

(٢) القراءات واللوحات : ١٨ ـ ٢٢ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

البـــــــــاب الأول

آثاره في العلوم القرآنيـة والنحويـة واللغويـــــــة

وغيرهـــــــا

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

لعلّي باستقصاء هذا الجانب أستطيع الاسهام في إحياء ابن خالويه وتراثه الذي يشهد بسعة علمه واطلاعه ، ولقد حاول بعض الدارسين المحدثين أن يرسموا صورا من الشك على بعض مؤلفاته وذلك بنفي نسبتها إليه واثباتها لآخر ، فالعشرات في اللغات ينسب إلى شيخه أبن عمر الزاهد ، والحجة في القراءات السبع إلى الحسين بن خالد . ولعلّي في هذا الباب أستطيع أن اطالع القراء بمؤلفات لم يزودنا بها أصحاب التراجم والطبقات ، لأنهم اعتمدوا في استقصائها على ما ورثوه من تقدمهم كابن النديم وأبي منصور الثعالبي منفلين العودة إلى تآليفه التي تزودنا بفيض غزير منها . ولتبدو الصورة أكثر وضوحا آثرت أن يكون هذا الباب في ثلاثة فصول :

١ . الفصل الأول : في تآليفه في ميدان العلوم القرآنية .

٢ . الفصل الثاني : في تآليفه في ميدان العلوم النحوية .

٣ . الفصل الثالث : في تآليفه في ميدان العلوم اللغوية .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الفصـــــــــل الأول

آثـــــاره فـــي العلـــم القرآنيـــــــــة

يطالعنا ابن خالويه في هذا الميدان بمؤلفات عديدة لاسيما القراءات القرآنية ، لأنه كان من القراء ، وقد أشرت إلى أنه كان يعتمد مصحفا خاصا وكـــان كغيره من علماء هذا القرن يلم بموضوعات أخرى غير القراءات كالفقه واللغة والنحـــو والحديث وغير ذلك • ولعله كان من أوائل العلماء الذين تصدوا للدفاع عن القراءات السبعيها وشاذها ، ويجاريه في هذه السمة أبو علي الفارسي وتلميذه أبو الفتـــح ابن جني ، إذ يؤلف كل من ابن خالويه وأبي علي الفارسي (الحجة في القراءات السبع) ويؤلف كل من ابن جني وابن خالويه في شواذ القراءات • ويقف علماء القـــــرن الرابع الهجرى حصنا منيعا للدفاع عن القراءات القرآنية وإبعادها عن الضعـــــف والشذوذ ما خلا عثرات تكاد تكون قليله ، لذلك يسمى ابن مجاهد لزج ابن شنبـــوذ في السجن لما نسب إليه من قراءات شاذة تخالف ما عليه الجمهور • وتطالعنا فـــي هذا القرن كتب الاحتجاج للقراءات السبعية والشاذة •

ورأيت أن أسلك في هذا الفصل وغيره من فصول هذا الباب مسلكا أبيـــن فيه مؤلفاته مطبوعها ومخطوطها ، ومفقودها • أما المطبوع فسأكتفي بالحديث عـــن مصادره فيه ، ومنهجه من حيث الأسلوب والشاهد وغيرهما ، وسأحاول عقـــــد مقارنة بينه وبين غيره من المؤلفات في الموضوع نفسه لاعطاء صورة واضحـــــة عن أهمية ابن خالويه في هذا الميدان • وأما المخطوط فسأبين أماكن وجـــــوده بالإضافة إلى النهج الذى سأنهجه مع سابقه • وسأتبع ذلك باستقصاء مؤلفاتـــــه التي أحالنا إليها أو طالعتنا في كتب التراجم والطبقات محاولا تسقط من اعتمـــــد عليها من مؤلفين لاحقين معتمدا في ذلك على ما وقعت عليه من إشارات ونصـــوص في مؤلفات هؤلاء اللاحقين :

١ • إعراب القراءات السبع وعللها :

تحوى مكتبة (مراد ملا) رقم ٨٥ من بين ما تحويه من مخطوطات عربيـــة نفيسة مخطوطا لهذا المؤلف ، ولعله المخطوط الوحيد لأن فهارس المخطوطـــات ومظانها لم ترشدنا الى آخر •

وقد قام معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية حبا في إحياء التراث العربي وبعثه بالتقاط ميكروفلم له [1] وقد استطعت الحصول على مكبرة له . ويقع هذا المخطوط في جزئين يضمهما مؤلف واحد ، أما الجزء الاول فيقع في (١٤٧) ورقة [2] ، وأما الجزء الثاني ففي (٢٧٨) ورقة [3] . وهذه الأوراق جميعها مرقمة . ويحمل المخطوط العنوان التالي : (القراءات) ، وهو من وضع مفهرسي مخطوطات هذه المكتبة ، لكن المخطوط نفسه يطالعنا في نهاية الجزء الاول بالعنوان التالي : ((إعراب القراءات السبع وعللها)) [4] . ويبدو لي أن ورقة الغلاف التي تحمل العنوان قد سقطت منه . ويتراءى لي أن المخطوط كتب بخطوط مختلفة ، إذ يطالعنا اسم ناسخ الجزء الاول في نهايته وهو أبو القيم أحمد بن فراج [5] ، وأما ناسخ الجزء الثاني فهو صديق بن عمر بن محمد بن الحسن [6] . ويطالعنا في نهاية الجزء الأول تاريخ نسخه ، وهو منتصف شوال سنة (٦٠٠ هـ) [7] ، وأما الجزء الثاني فتم نسخه يوم السبت وقت صلاة الضحى في آخر شهر ذي القعدة من سنة (٦٠٠ هـ) [8] .

ويبدو أن الخط الذي كتب فيه المخطوط خط نسخي لا تعسر قراءته ما خلا بعض الإضافات التي كتبت بخط مغاير ، وغالب ظني أنها ليست من صلب المخطوط لأن الإضافة الأولى تدور حول قراءة إحدى آيات البقرة : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) [9] وما يشابهها في القرآن الكريم من قراءات قام باستقصائها ناسخ ما وقد دونت في

---

(١) رقمه ٥٢ قراءات ، لقد قام بتحقيقه الاستاذ صبحي عبد المنعم سعيد ، ولا يزال مخطوطا .

(٢) انظر اللوحة : ٢٩٤

(٣) انظر اللوحة : ٦٥٠

(٤) انظر اللوحة : ٢٩٤

(٥) انظر اللوحة نفسها .

(٦) انظر اللوحة : ٦٥٠

(٧) انظر لوحة : ٢٩٤

(٨) انظر لوحة : ٦٥٠

(٩) البقرة : ٢٦٧ .

نهاية الجزء الأول وبداية الثاني الذى ابتدأ بذكر قراءات سورة مريم والاحتجاج لها (١) وأما الإضافة الثانية فتدور حول بعض قراءات قرأ بها الكسائي وعاصم ، وذكر تفاخر القراء (٢) ولعل ما يؤكد ذلك اختلاف الخط الذى كتبت فيه هذه الأوراق عن الخطين اللذين دون فيهما الجزآن .

وتطالعنا في المخطوط خروم متعددة ، فسورة البقرة لم يطالعنا المخطوط بما فيها من قراءات سبعية كما في كتب القراءات (٣) الأخرى . ومن ذلك أيضا انتقال المخطوط المفاجيء من سورة الروم إلى الأحزاب (٤) تاركا لقمان والسجدة (٥) ومن الفتح (٦) إلى الرحمن (٧) تاركا كلا من الحجرات و ق والذاريات والطور والنجم والقمر . ولعل ذلك لا يرجع إلى تناسى ابن خالويه لمثل هذه السور وذلك لما يطالعنا به من إحالات إلى قراءات فيها ، من ذلك : ((وقد مرت علة هذا في قوله : (فلا رفث ولا فسوق) (٨))) (٩) ، وهي قراءة لم تطالعنا في الموضع الذى أشار إليه .

أما عنوان المخطوط فهو كما طالعنا به في نهاية الجزء الاول وبداية الثاني ((الجزء الثاني من كتاب إعراب القراءات السبع وعللها تأليف أبي عبدالله الحسين بن خالويه رضي الله عنه)) (١٠) . ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء في تقديمه له : ((هذا كتاب شرحت فيه إعراب قراءات أهل الأمصار : مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام .....)) (١١) . ومما يؤكد ذلك أيضا أن لفظة (إعراب) تطالعنا في مؤلف آخر له : ((وقال ابن خالويه : في تفسير طوبى عشرون قولا قد ذكرته في (إعراب السبعة))) (١٢) ، وأما لفظة (عللها) في العنوان فهي تطالعنا في احتجاجه

---

(١) انظر لوحة ٢٩٧

(٢) انظر اللوحتين الأخيرتين ، وهما غير مرقمتين

(٣) انظر القراءات ، من اللوحة : ٥٧ ـ ٦٢ ، والحجة في القراءات السبع : ٥٢ ـ ٧٥ .

(٤) لم يطالعنا المخطوط بقراءات جميع هذه السورة ، لوحة : ٤٢٧ .

(٥) انظر اللوحات : ٤٢٤ ـ ٤٢٧

(٦) انظر لوحة : ٥١٣

(٧) انظر لوحة : ٥١٦

(٨) البقرة : ١٩٧

(٩) القراءات ، لوحة : ٦٢

(١٠) القراءات ، لوحة : ٢٩٦

(١١) القراءات ، لوحة : ١

(١٢) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ٦٧ .

لكل قراءه معبرا عنها بلفظة (حجه) . ولم تذكر كتب التراجم والطبقات مؤلفا يحمل العنوان الماضى ، ولكنها نسبت إليه كتابا فى الموضوع نفسه عنونته بالقراءات (١) .

وذكر صاحب (روضات الجنات) أنّ (٢) له كتابا فى القراءات غير كتابه السبع فى القراءات السبع (٣) . ويخلط الأستاذ عبد الفتاح شلبى بينه وبين (الحجه فى القراءات السبع) إذْ يعتبرهما كتابا واحد : ((ولابن خالويه كتاب القراءات مخطوط ، نسخه كتبت سنة (٦٠٠هـ) يقول فى أوله : (هذا كتاب شرحت فيه قراءات أهل الأمصار . ولم يعد ذلك الى مايتصل بالإعراب من تفسير مشكل أو غريب حروف القراءات الشاذه) . ولعله كتابه المرسوم بالحجة)) (٤) .

مصادرة فيه :

يذكر فى تقديمه لهذا المؤلف أنه اعتمد على سبعة ابن مجاهد التى قرأها عليه أربع مرات حرفا حرفا : ((وقرأت حروف السبعه واختلافهم حرفا حرفا من كتاب السبعه على ابن مجاهد أربع مرات)) (٥) . ولا يكتفى بمثل هذا الصنيع بل يذكر أنه قرأ القراءات السبعية على شيوخ آخرين اشتهروا فيها (٦) ، اذ يقرأ قراءة نافع على أبى القاسم بن المرزبان الصيرفى ، وقراءة أبى عمرو على أحمد بن عبدان وابن المزربان ، ويخبره بحروفه أيضا ابو عيسى السمان . ويقرأ قراءة كل من حمزه والكسائى على ابن المزربان ، ويخبره بقراءتيهما أيضا أحمد بن عبدان . أما قراءة ابن عامر فيحدثه بها ابن مجاهد عن الثعلبى .

ويعتمد فيه على (معانى القرآن) للفراء ، إذْ يطالعنا بنقول متعدده منه ، من ذلك قوله (٧) : ((قوله تعالى : (وقيل سلام فسوف تعلمون) قرأ (٨))

---

(١) انظر الفهرست : ٨٤ ، وانباه الرواه ١ : ٣٢٥ ، ووفيات الاعيان ١ : ٤٣٤ وبغية الوعاه ١ : ٥٣٠ ، ومرآة الجنان ٢ : ٣٦٥ ، وطبقات النحاة واللغويين ورقة : ٣١٧ .

(٢) انظر صفحة : ٢٣٦

(٣) انظر تفصيلا آخر فى هذه المسأله ما جاء حول كتابه البديع : ١٥١

(٤) أبو على الفارسى : ٣١٢ . سيأتى التفصيل فى هذه المسأله فيما بعد .

(٥) القراءات كلوحه : ٩

(٦) انظر اللوحات : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٧) القراءات ، لوحة : ٥٠٠

(٨) الزخرف ٨٩

نافع وابن عامر بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء . : وسلام رفع باضمار وعليكم سلام " . قال الفراء : ولو قرأ قارئ (وقل سلاما) بالنصب جاز)) ، وطالعنا ذلك في مؤلف الفراء : ((رفع سلام بضمير عليكم وما أشبه ،ولو كان : وقل سلاما كان صوابا ، كما قال : (قالوا سلاما قال سلام)[1]))[2].

ويعتمد فيه أيضا على جمهرة ابن دريد ، إذ يكثر من النقول منه لا سيما مسائل اللغة ، ولعل السبب في ذلك يعود الى كونه راوية له ، من ذلك : ((... والصمم ثقل في الأذن ، فاذا كان لا يسمع شيئا قيل أصم أصلخ بالخاء . قال ابن دريد : أصم أصلج بالجيم))[3]. وطالعنا ذلك في الجمهرة : ((رجل أصلج : وهو الأصم لغة فصيحة يتكلم بها بعض قيس ...))[4].

ومن مصادره أيضا كتاب سيبويه الذي يطالعنا بنقول مفرطة منه أيضا ، وتكاد تنحصر هذه النقول في بعض مسائل اللغة والنحو والدراسات الصوتية ، من ذلك قوله : ((.... والحجة الثالثة ما حدثني ابن مجاهد عن السمري عن الفراء أن العرب تقول : مررت بادٍ وهند فيخزلون الياء لسكونها وسكون التنوين ، فاذا أدخلوا الألف واللام لم يردوا الياء لأنهم بنوا المعرفة على النكرة . قال سيبويه : فاذا أضافوا فان العرب كلها ترد الياء فيقولون : مررت بقاضيك وداعيك ، فاذا اضطر الشاعر حذف مع الإضافة وأنشد[5]:

كنواح ريش حمامة نجديـــــــة ومسحت باللثتين عصف الاثمـــد

أي كنواحي ريش فخزل))[6].

ومنها معجم العين ، من ذلك قوله : ((وقال الخليل رضي الله عنه : الزعقوقة ولد القبج والقهبي أبوه ، ذكره في كتاب العين))[7]. ونسب الأزهري ذلك إلى الليث[8].

---

(١) هود : ٦٩

(٢) معاني القرآن ٣ : ٣٨ ، انظر أمثلة أخرى القراءات لوحة : ٢٥٧ ، قراءة قوله تعالى (كان خطأ كبيرا) وانظر في ذلك معاني القرآن ٢ : ١٢٣ .

(٣) لوحة : ٣٣٤

(٤) الجمهرة ٢ : ٩٨ ، ٢٢٠

(٥) هو الخفاف بن ندبة السلمي . انظر الكتاب ١ : ٩

(٦) القراءات ، لوحة : ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ، انظر في ذلك الكتاب ١ : ٩

(٧) القراءات ، لوحة : ٢٩٠

(٨) انظر تهذيب اللغة ١ : ١٨٤

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ومنها كتاب الأبنية لأبي عمر الجرمي : ((... ومدائن أجمع القراء على همزها . وذكر الجرمي رحمه الله في كتاب الأبنية أنّ من العرب من يدع همزها)) (١).

ومنها مقتضب أبي العباس المبرد : ((قوله تعالى : (ما يبث من دابة) (٢) (وتصريف الرياح آيات) (٣) قرأ حمزة والكسائي بخفض التاء على أنّه موضع نصب ردا على (أن) وإنما كسرت التاء لانها غير أصلية . وقال المبرد : هو لحن عندي لانه عطف على عاملين على (أن وفي)، وكان الأخفش يرى العطف على عاملين فيقول : مررت بزيدٍ في الدار والحجرة عمرو ....)) (٤). وما مرّ طالعنا في المقتضب : ((وكان أبو الحسن الأخفش يجيزه . وقد قرأ بعض القراء : (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) (٥) فعطف على (أن) وعلى (في) . وهذا عندنا غير جائز)) (٦).

ومنها نوادر اللحياني : ((وقال اللحياني في نوادره : (إنّ لك في النهار سبخا) (٧) أي نوما ، وسبحا بالحاء أي راحة)) (٨).

ومنها أيضا مجالس ثعلب : ((قال ثعلب : فالخنين صوت البكاء من الأنف ، ويقال الأنف المخنة)) . وجاء في مجالس ثعلب ما يلي : ((مثل الحنين والخنين ، الحنين من الحلق ، والخنين من الأنف)) (٩).

ولا أريد أنْ أستقصي ما طالعني فيه من نقول متعددة عن النحاة واللغويين الآخرين كابن قتيبه (١٠)، والأخفش (١١) وغيرهما ، أو نقوله عن شيوخه سماعا لانها تكثر في مؤلفه (١٢)، وقد لا يقتصر على ذلك بل يعتمد على مكاتبتهم له أيضا : ((قال أبو عبدالله كتب الي محمد بن زكريا المحاربي يذكر أنّ عبّاد بن يعقوب جدهم قال .....)) (١٣).

---

(١) القراءات ، لوحة : ١٢٤

(٢) الجاثية : ٤

(٣) الجاثية : ٥

(٤) القراءات ، لوحة : ٥٠٣ ـ ٥٠٤

(٥) الجاثية : ٥

(٦) المقتضب ٤ : ١٩٥

(٧) المزمل : ٧

(٨) القراءات ، لوحة : ٥٥٩

(٩) مجالس ثعلب : ٥٥٩

(١٠) انظر لوحة : ٥٢٠

(١١) انظر لوحة : ٥٠٣

(١٢) انظر اللوحات : ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٦٠

(١٣) القراءات ، لوحة : ٢٤

ولم أقف على نص في كتب اللغة والقراءات أو النحو اللاحقة نقل من هـــذا المؤلف ، رغم نقول أبي حيان النحوي في بحره من مؤلفين آخرين لابن خالويه ، وهما البديع والمختصر في شواذ القرآن [١] ، وطالعني أبو حيان بنسبة رأى نحوي إليـــه ، وهو القول بوجود واو في كلام العرب باسم واو الثمانية [٢] : ((وذكر عن أبي بكـــر بن عياش وابن خالويه أنها واو الثمانية ، وأن قريشا اذا تحدثت تقول ستة سبعـــة ، وثمانية تسعة فتدخل الواو في الثمانية)) [٣] والقول نفسه مع ابن هشام في المغني [٤] ولكن ابن خالويه يختلف عنهما في عنونتها ، إذ يسميها (واو العشر) [٥] .

منهجه فيـــــــه :

لقد اعتاد ابن خالويه ألا يترك مؤلفاته دون تقديم لذلك يطالعنا بمقدمة موجزة يرسم فيها الخطوط العامة لمنهجه ، والهدف الذي من أجله ألف كلا منها ولعله يختلف في هذا المؤلف عن مؤلفاته الأخرى لأنه يطالعنا بمقدمة مطولة تصل إلـــى ثلاث وثلاثين لوحة يتحدث فيها عن القراء السبعة وقراءاتهم وطرق الأخذ عنهـــم ، ويؤكد فيها أن القراءة سنة متبعة يجب الأخذ بها والاعتماد عليها لاتصال سندها بالرسول [٦] . لذلك يفتتح هذه المقدمة بالتوكل على الله والصلاة على النبي عليـــه السلام ، وذكر الغرض من هذا المؤلف ومصادره فيه : ((... هذا كتاب شرحـــت فيه اعراب قراءات أهل الأمصار ، مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام ولم أعد ذلـــك إلى ما يتصل بالإعراب من مشكل أو تفسير وغريب وحروف القراءات الشاذة ، إذ كنت قـــد افردت لذلك كتابا جامعا ، وإنما اختصرته جهدي ليستعجل الانتفاع به المتعلم ، ويكون تذكرة للعالم ويسهل حفظه على من أراد ذلك إن شاء الله ، وما توفيقي إلا بالله ، وأئمة هذه الأمصار عبدالله بن كثير ....)) [٧] . ثم ينتقل بعد ذلك للحديـــث عن القراء السبعة ، فيقدم نبذة موجزة عن كل منهم [٨] مشيرا بإيجاز إلى طرق أخـــذ القراءة ويتبع ما مر بالإفصاح عن مصادره فيه وطرق أخذه لما جاء فيـــــــه

---

(١) سيأتي التفصيل في هذه المسألة فيما بعد .

(٢) انظر في هذه الواو باب النحو .

(٣) البحر المحيط ٦ : ١١٤

(٤) انظر : ٢ : ٢٦٤

(٥) انظر القراءات ، لوحة ٤٧١ ـ ٤٧٢

(٦) انظر لوحة : ١ ـ ٣٣

(٧) لوحة : ١ ـ ٢

(٨) انظر لوحة : ٢ ـ ١٥

من قراءات [١]. ويرد في هذه المقدمة على سائله حول نزول هذه الحروف بحرف واحد أم بهذا الاختلاف : ((فان سأل سائل فقال : أهذه الحروف نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاختلاف والوجوه أم نزلت بحرف واحد ، وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم باللغات ؟ فالجواب في ذلك وبالله التوفيق : أن طائفة قالت : إنه نزلت على سبعة أحرف من سبعة أبواب في العرضات التي كان جبريل عليه السلام ينزل كل سنة ، فيعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر ....)) [٢]. ويناقش في هذه المقدمة أيضا وجوه الاختلاف في القراءة بقوله : ((واعلم أن الاختلاف في القراءة يكون لاختلاف إعراب كقوله : (الزانية والزاني فاجلدوا) [٣] يقرأ رفعا ونصبا ، النصب عيسى بن عمر ، والرفع الناس، وكذلك (السارق والسارقة) [٤]. ويكون باختلاف الحروف .. ويكون بالزيادة والنقصان ... ويكون بالتقديم والتأخير ....)) [٥] . ويختتم هذه المقدمة المطولة بتدوين شروط قارئ القرآن الكريم [٦] : ويرتبط بذلك فضل من تعلم القرآن وعلمه [٧].

ويعتبر ابن خالويه في هذه المقدمة مقلدا ، إذ يجري فيها وراء شيخه أبي بكر ابن مجاهد في الحديث عن القراء وأسانيدهم ولكنه يختلف عنه في تنويع موضوعاتها ، وهي موضوعات لا يستغني القارئ عنها كما مر ، أما ابن مجاهد فتدور مقدمته التي استغرقت ما يقارب ستين صفحة حول الترجمة للقراء وتلاميذهم وشيوخهم وأسانيد قراءاتهم [٨].

ويبدو أنه لم يلتزم ما طالعنا في مقدمته من أنه لن يذكر القراءات الشاذة لأن كتابه في القراءات السبعية ، إذ تطالعنا فيه بعض القراءات الشاذة كقراءة مورق العجلي (وما يخدعون إلا أنفسهم) [٩]: ((.... أن مورقا العجلي قرأ (وما يخدعون إلا أنفسهم) ....)) [١٠]. ولعلي لا أستطيع أن أسمه بالخلط في ذلك ،

---

(١) انظر لوحة : ٦ ـ ، انظر في ذلك ما مضى : ٩٢

(٢) لوحة : ١١ ـ ١٣

(٣) النور : ٢

(٤) المائدة : ٣٨

(٥) لوحة : ١٥ ـ ١٨

(٦) انظر اللوحة : ٨

(٧) انظر اللوحات : ٢٤ ـ ٣٣

(٨) انظر كتاب السبعة : ٤٥ ـ ١٠٤

(٩) البقرة : ٩

(١٠) القراءات ، لوحة : ٤٣ ، وانظر مختصر في شواذ القرآن : ٢ وانظر في هذه القراءة البحر المحيط ١ : ٥٨

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

لانه يعنى هذه المسأله وعيا تاما لإشا رته الى مايدونه من قراءات شاذة كما يطالعنا
فى قراءة قوله تعالى : (بعذاب بئس) (١) : ((. . . . فهذه سبع قراءات عن
السبعه فى هذا الحرف ، وفيها ثلاث قراءات عن غير السبعه ، قرأ الحسن (بعذاب
بَيْسٍ) كما تقول : بَيْسَ ماصنعت. وقرأ طلحه بن مصرف . . . . . فتلك عشرة
قراءات)) (٢) . وقراءة أبى هريرة لقوله تعالى على الدعاء (مالِك يوم الدين) (٣) ؛
((. . .فأما قراءة أبى هريرة رحمه الله وعمر بن عبد العزيز . . (مالكَ يومِ الدين)
على الدعاء : يامالكَ يومِ الدين ، وقد ذكرته فى الشواذ ولا أذكر فى هذا الكتاب
غير حروف السبعه وعللها)) (٤) .

ويخرج على منهجه بتدوينه أسباب نزول بعض السور القرآنيه وتفسير بعض
ما يغمض من آياتها ، إذ يطالع القارىء بأسباب نزول كل من عبس (٥) والمجادله (٦) ،
والتحريم (٧) وغيرها فى فاتحه كل سوره قبل أن يبدأ بذكر قراءاتها والاحتجاج لها ،
لستمع إليه مثلا وهو يذكر سبب نزول سورة التحريم : ((قال أبو عبدالله : إنما
نزلت هذه السوره لأن رسول الله عليه السلام لما كان يوم عائشه رضى الله عنها
زارتها حفصه فخلا بيتها فبعث إلى امرأته مارية القبطيه فخلا معها فجاءت حفصة
فرأت الستر مسبلا فخرج رسول الله صلى الله عليه فقال : اكتمى على وماريه
على حرام وان أباك وأبا عائشه يعنى أبا بكر سما كان بعدى ، فمرت حفصه فأخبرت
عائشه ، فأنزل الله فيهما فقالت حفصه : من أنبأك هذا؟ قال : نبأنى العليم
الخبير ، وأنزل الله (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) (٨) يعنى مارية
القبطيه ، فطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصه تطليقة عقوبه لها . . .)) (١)

ولا يقف عند هذا الحد بل يطالعنا بتفسير ما يغمض من بعض الاشارات
القرآنيه كلفظة الكبائر التى تستغرق ورقتين على الاقل (١٠) ، وتفسير ما يغمض فى
بعض شواهده الشعرية .

---

(١) الأعراف : ١٦٥
(٢) القراءات ، لوحه : ١٤٩ — ١٥٠ . انظر فى ذلك كتاب السبعه : ٢٩٦ — ٢٩٧ ،
ومختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع : ١٤٧ ، وشرح ابن القاصح على
الشاطبيه : ٢١٠ — ٢١١
(٣) الفاتحه : ٤
(٤) القراءات ، لوحه : ٣٤
(٥) انظر لوحة : ٥٢٨
(٦) انظر لوحة : ٥٢٩
(٧) انظر لوحة : ٥٤١
(٨) التحريم : ١
(٩) القراءات ، لوحه : ٥٤١ — ٥٤٢
(١٠) انظر اللوحات : ٤٨٨ — ٤٩١

((..... قال الشاعر : (١)

يصور عنوقها أحوى زنيم ... له ظأب كما صخب الغريم

الظاب والظام الصوت جميعا وهما السلفايضا ، ويقال : الضيزن ، والضيزن أيضا اسم صنم ، والضيزن الذى يتزوج بامرأة أبيه ...)) (٢) . وقد يتعرض في مؤلفه لمسائل لا تمت إلى القراءات حبا في الاستطراد ، فماء الرجل عندما يغلب ماء المرأة يكون المولود ذكرا ، مسألة لا صلة لها بالقراءات : ((ويقال إن العظم والعصب يخلقهما الله تعالى من ماء الرجل ، ويخلق الدم واللحم والشعر من ماء المرأة لأن ماء المرأة أصفر رقيق ، وماء الرجل أبيض ثخين ، فإذا جامع الرجل المرأة فغلب ماء الرجل على المرأة أذكرا باذن الله ، وإذا غلب ماء وها آنثا بإذن الله . والعرب تستحب للرجل أن يأتي المرأة وهي لا تشتهي أو يفزعها أو يغضبها أو يأخذها على غفلة لينزع الشبه إلى الأب .....)) (٣) .

ولعل ما مر ينفي ما ذهب اليه الاستاذ صبحي عبد المنعم الذى نفى أن يكون ابن خالويه قد تحدث فيه عن مسائل تفسيرية معتمدا على ماجاء في مقدمته من اعتراف صريح بالإحجام عن هذه المسائل وغيرها (٤) .

ومن السمات التي تميز بها منهجه إيراده القراءات منسوبة : ((وفيها قراءة ثالثة حدثني أحمد بن عيدان عن علي عن أبي عبيد أن الحسن البصرى قرأ ...)) (٥) والقول نفسه مع الأحاديث النبوية الشريفة التي يوردها بأسانيدها إلى الرسول عليه السلام : ((حدثني أبوعبدالله الحكيمي قال : حدثني [.....] (٦) قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا أبو جناب عن يحيى بن هشام عن فروة بن مسكة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، أرأيت سبأ أواد هو أم جبل؟ قال : (لا بل هو رجل من العرب ولد عشرة فتيا من ستة ... (٧))) (٨) . ويسلك النهج نفسه في تفسيره لبعض الآيات القرآنية : ((وأما تفسير هذه الآية فإن أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارى رحمه الله حدثني قال : حدثني عبدالله بن محمد قال : حدثنا يوسف بن موسى قال : حدثنا يحيى بن سلمان الطائفي عن ابن جريج عن عكرمة

---

(١) نسبه ابن منظور إلى المعلى بن حمال العبدى . انظر (زنم) وانظر في ذلك حاشية (٨) من الصفحة ٧٧ من كتاب الحجة في القراءات السبع لابن خالويه .

(٢) القراءات ، لوحة : ٦٧

(٣) المصدر نفسه لوحة : ٣٥٠

(٤) انظر في هذه المسألة أدلة توثيق الحجة في القراءات السبع فيما بعد : ١٣٦-١٣٦

(٥) القراءات ، لوحة : ١٨٣ — ١٨٤ ، انظر في هذه المسألة أيضا موقفه من القراءات كشاهد نحوى لغوى .

(٦) ما بين الخاصرتين لم أستطع قراءته .

(٧) انظر في هذا الحديث باب النحو : ٢٨٠ -

(٨) القراءات ، لوحة : ٤٣٩ .

قال : دخلت على ابن عباس وهو ينظر فى المصحف قبل أن يذهب بصره ويبكى
فقلت: ما يبكيك يا أبا العباس، جعلنى الله فداك فقال لى : هل تعرف
آيلة؟قلت: وما أيلة؟ قال : هى قرية كان فيها ناس من اليهود وكان الله تعالى
قد حلرّم عليهم صيد الحيتان فى يوم السبت فكانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرّعا سمانا فتربص بأقبيتهم وأبنيتهم ،فإذا طلبوا فى غير السبت لم يدركوها . .)) (١)

ومن سمات منهجه فيه أيضا شيوع الإحالات ،إذْ يطالعنا بذلك كثيرا :
((وسأذكر جميع ما ينون ولا ينون فى غير هذا الموضع إنْ شاء الله ،وقد ذكرته
فى التوبه عند قوله : (عزيرٌ ابن الله) (٢) . . .)) (٣) ويطالعنا بما أحالنا اليه
فى الموضع نفسه : ((قال أبو عبد الله :وقد تأملت كتاب الله فوجدت فيه مائة
وخمسين حرفا مما ينونّ ولا ينونّ وسأذكرها جملة ليسهل على من أراد ذلك وما
توفيقى إلاّ بالله ،فالقول ذلك فى سورة البقره . . .)) (٤) . ومن ذلك ايضا ؛
((وقوله تعالى : (وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربّها) (٥) قرأ ابن كثير وحده
(وكائن) والباقون (وكأيّن) . وقد ذكرت علة ذلك فى آل عمران)) (٦) . ومن ذلك
أيضا : (. . . وقد ذكرت علة ذلك والفرق بينهما فى الأنفال)) (٧) . وأحيانا
يتعمد الإعاده لسبب أراد التنبيه عليه : ((وقوله تعالى : (وان جنحوا للسلم) (٨)
قرأ عاصم وحده فى رواية أبى بكر بكسر السين ،والباقون يفتحون ،وقد ذكرت علته
فى البقره إلاّ أنّ أبا عبيده قال : السّلم الصلح ،وفيه ثلاث لغات : السّلم والسّلم
والسّلَم . . . . .)) (٩) .

---

(١) القراءات ،لوحه : ١٥٠-١٥٢ . انظر فى هذه المسأله أدلة توثيق
الحجه فى القراءات السبع : ١٣١- ١٣٦
(٢) التوبه : ٣٠
(٣) القراءات ،لوحه : ١٥٨
(٤) القراءات ،لوحه : ١٦٨
(٥) الطلاق : ٨
(٦) القراءات،لوحه : ٥٤١
(٧) المصدر نفسه والمكان نفسه . وانظر اللوحات : ٥٧-٥٨، ٩٠، ١٠٣، ٥٢١
(٨) الأنفال : ٦١
(٩) القراءات ،لوحه : ١٦٣ .

وتطل على القارئ شخصية ابن خالويه في هذا المؤلف، إذ يطالعنا بالقول : ((وما أعلم أحدا تكلم فيه)) (١) و ((فإنه لطيف جدا)) (٢).

وأما لغته فسهلة تصل إلى الأفهام بيسر وسهولة، فهي لا تستدعي العودة إلى مظان اللغة ومعاجمها، ولعل مصدر هذه السهولة الأسلوب التعليمي الذي يتوخاه لتصل المعلومات إلى مريديه أو إلى عشاق العربية بيسر وسهولة، إذ ينتقي ما يتراءى له سهلا، ويؤول ويبوب حبّا في الإفادة وتيسير الحفظ على من يريد : ((قال أبوعبد الله : وقد تأملت كتاب الله فوجدت فيه مائة وخمسين حرفا مما ينوّن ولا ينوّن، وسأذكرها جملة ليسهل حفظها على من أراد ذلك، وما توفيقي إلاّ بالله ..)) (٣). ومالي أتناسى ما طالعني به في تقديمه لهذا المؤلف : ((وإنما اختصرته جهدي ليستعجل الانتفاع به المتعلم ويكون تذكرة للعالم، ويسهل حفظه على من أراد ذلك إن شاء الله وما توفيقي إلا بالله)) (٤)، ويتراءى لي أنه كان من أنصار توخي السهولة وتعمدها في التأليف ليجعل ذلك مقبولا عند المريدين والمتعلمين، لان بعضهم أخذ يضجر من التعقيد والغموض، ولعل أبا البركات بن الأنباري كان محقا في تقسيمه للعلماء في هذه المسألة إلى ثلاث فرق : ((وقال بعض أهل الأدب : كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه، فأما من لا نفهم من كلامه شيئا فأبو الحسن الرماني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي)) (٥).

---

(١) انظر لوحة : ٥٥

(٢) انظر لوحة : ٦٦ ـ ٦٧

(٣) انظر لوحة : ١٦٨

(٤) لوحة : ١ ـ ٢

(٥) نزهة الألباء : ٢٣٤ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

لعلي أرى من الضروري أن أعقد مقارنة بين التلميذ وشيخه في هذين المؤلفين ، هل اقتفى التلميذ أثر شيخه فيه أم ألقى بما درسه عليه جانبا ولم يأبه به ؟ . ولم يكن ابن خالويه الوحيد الذي تلقى على يدي ابن مجاهد القراءات القرآنية بل كان هناك تلاميذ آخرون كثر من بينهم أبو علي الفارسي وابن جني والسيرافي وغيرهم . لذلك يؤلف أبوعلي الفارسي (الحجة في القراءات السبع) معتمدا على جمع شيخه ، اذ لو جردنا كتاب أبي علي من الاحتجاج والاعتلال لكنا في غنى عن كتاب ابن مجاهد . ويعترف أبوعلي نفسه بذلك ؛ ((فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار والحجاز ، والعراق والشام ، وقد أن تقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه وأخذناه عنه ..))(١) .

أما ابن خالويه فلا يكتفي بتلك القراءات التي أوردها ابن مجاهد مثلا بل يطالعنا بالتوسع في ضرب الأمثلة من القرآن الكريم ، لنستمع إلى ابن مجاهد في استقصائه ما اختلفوا في همزه : ((اختلفوا في الهمز من قوله : (الذين يؤمنون)(٢) فكان نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون : (يؤمنون) وما أشبه ذلك مثل (يأكلون)(٣) ، و (يأمرون)(٤) ، و (يؤتون)(٥) ساكنة الهمزة كانت أو متحركة مثل (ويؤخركم)(٦) ، و (يؤده)(٧) ، إلا أن حمزه كان يستحب ترك الهمز في القرآن كله إذا أراد أن يقف . والباقون يقفون بالهمز كما يصلون . وروى ورش عن نافع ترك الهمز الساكن في مثل (يؤمنون) وما أشبه ذلك مثل (ويؤخركم) ، و (لا يؤاخذكم)(٨) ، و (يؤده)(٩) وما كان مثله . وأما أبوعمرو فكان

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع : ٣ ـ ٤ . وانظر ما جاء في قراءة قوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) في كتاب السبعة ١٣٠ ـ ١٣١ ، والحجة في علل القراءات السبع : ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٢) البقرة : ٣

(٣) البقرة : ١٧٤

(٤) آل عمران : ٢١

(٥) المائدة : ٥٥

(٦) ابراهيم : ١٠

(٧) آل عمران : ٧٥

(٨) البقرة : ٢٢٥

(٩) آل عمران : ٧٥

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

إذا أُدرج القراءة أو قرأ في الصلاة لم يهمز كل همزة ساكنة مثل : (يومنون) ، و (يومِنُ)[١] ، و (ياخذُون)[٢] ، وما أشبه ذلك ، وقال أبو شعيب السوسي عن أبي عمرو إنه كان إذا قرأ في الصلاة لم يهمز كل همزة ساكنة إلا أنّه كان يهمز حروفا من السواكن بأعيانها أذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى . وإذا كان سكون الهمزة علامة للجزم لم يترك همزها مثل : (أونَنْسَأْها)[٣] ، و (تَسُؤْكُمْ)[٤] ، (وهيِّئْ لنا)[٥] ، (واقْرَأْ كتابك)[٦] ، (ويهيِّئْ لكم)[٧] ، (ومَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ)[٨] ، (ونَبِّئْهُمْ)[٩] ، وما أشبه ذلك))[١٠] ، ويستقصي ابن خالويه أمثلة اخرى من القرآن بالاضافة إلى ما ذكره شيخه ، إذ يذكر قوله تعالى : (لن يجدوا من دونه مؤيلا)[١١] ، و (وأصحاب المشأمة)[١٢] ، و (قد أفْلح)[١٣] وغيرها : ((..... وإنما يفعل ذلك بالهمزات الساكنات . وإذا كان سكون الهمزة علامة للجزم نحو قوله تعالى : (أونَنْسَأْها) ، و (إن تبدُ لكمْ تَسُؤْكم) لم يدع الهمزة . وكذلك إذا كان في الحرف لغتان نحو (مؤْصدة)[١٤] لئلا يخرج من لغة إلى لغة . وكذلك إذا كان ترك الهمز أثقل من الهمز لم يدع الهمزة نحو قوله : (تؤْتي الملك من تشاء)[١٥]

---

(١) البقرة : ٢٣٢

(٢) الاعراف : ١٦٩

(٣) البقرة : ١٠٦

(٤) المائدة : ١٠١

(٥) الكهف : ١٠

(٦) الاسراء : ١٤

(٧) الكهف : ١٦

(٨) الأنعام : ٣٩

(٩) الحجر : ٥١

(١٠) كتاب السبعة : ١٣٠ ـ ١٣٢

(١١) الكهف : ٥٨

(١٢) الواقعة : ٩

(١٣) انظر المؤمنون : ١ ، الأعلى : ١٤ ، الشمس : ٩

(١٤) البلد : ٢٠

(١٥) آل عمران : ٢٦ .

وكان حمزة لا يهمز إذا وقف ويهمز إذا درج ولا يبالي إذا كانت الهمزة ساكنة أو متحركة نحو قوله تعالى : (لن يجدوا من دونه مَوْئِلا) ، (وأصحاب المَشْأَمة) يقف (المشامة)، وإنما يفعل ذلك اتباعا للمصحف لأن المشأمة كتبت في المصحف بغير ألف ، و (موئلا) بغير ياء ، والدليل على ذلك أن يقف (منهن جزءا) [1] بغير واو ، ويقف (هزوا) [2] و (كفوا) [3] بواو لأنها كذلك كتبت في المصحف ، وروى ورش عن نافع ترك الهمزات الساكنات والمتحركات ، وحجته في ذلك أن الهمزة المتحركة أثقل من الهمزة الساكنة، وكان يقرأ (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ، و (يُؤَدِّهِ إليك) ، وكان ينقل حركات الهمزات إلى الساكن قبلها وكان يقرأ (قد آفلح) يريد (قد أفلح) ، وكذلك (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض) [4] ....)) [5].

ويقدم كل منهما لمؤلفه بمقدمة تدور موضوعاتها حول ما يتصل بالقراء وأسانيد قراءاتهم . وتكادان تتفقان في جميع ما دوّن فيهما إلا في مسألة واحدة ، وهي أن ابن مجاهد تحدث في مقدمته عن الإدغام ومذاهب القراء فيه مستقصيا ما جاء من ذلك في القرآن الكريم ، وهي مسألة لا تطالعنا في تقديم ابن خالويه ولكنه أشار إليها في مواضع متفرقة بتفصيل واستقصاء لظواهرها في القرآن . ويرى الدكتور شوقي ضيف أن ابن مجاهد قصد أن يكون مكانها الصحيح عقب سورة الفاتحة وقبل البدء بالحديث عن اختلاف القراء السبعة في سورة البقرة . ويتبعه في ذلك كل من أبي عمرو الداني وابن الجزري [6]. ولعل هذا النهج لم يكن مقبولا عند ابن خالويه تلميذه رغم اعترافه الصريح بقراءة سبعة شيخه عليه أربع مرات حرفا حرفا ، ولعل ما يؤكد ذلك أنه أفرد أبوابا في آخر كتابه (البديع) بعد أن انتهى من تدوين القراءات السبعية البديعة في كل سورة من سور القرآن الكريم للإدغام والإمالة والهمز [7].

---

(١) البقرة : ٢٦٠

(٢) البقرة : ٦٧ ، المائدة : ٥٧ ، الكهف : ٥٦ ، الأنبياء : ٣٦ ، الفرقان : ٤١

(٣) الاخلاص: ٤

(٤) آل عمران : ٩١

(٥) القراءات لوحة : ٣٨ ـ ٤٠

(٦) انظر كتاب السبعة حاشية (١) من الصفحة : ١١٣

(٧) سيأتي التفصيل في هذه المسألة فيما بعد .

ولعلي لا أُوافق ابن مجاهد في ذلك ، لأنه إذا كان يود جذب انتباه المتعلمين والمريدين إلى مسائل هامة كالإدغام مثلا عليه أنْ يعالج مسائل أخرى ذات صلة وثيقة بالقراءات كالإمالة والهمز وغيرهما . ولعل خير ما يؤكد ذلك إحجام كل من أبي علي الفارسي وابن خالويه عنه في كتابيهما . وأما اتباع ابن الجزرى وأبي عمرو الداني له في هذه المسألة فلا يعدو أن يكون حبا في التقليد . وليته اكتفى بذكر القراءات التي جاءت مدغمة أو مظهرة بدلا من إعادتها بأسانيدها في مواضعها مما يدفعنا إلى وسم منهجه بالتكرار الممل .

ومن الفروق الواضحة بينهما أن ابن مجاهد اكتفى بالجمع إلا ما طالعنا به في سورة (الفاتحة)[1] . ويرى الدكتور شوقي ضيف أن إحجامه عن ذلك يعود إلى أنه خشي أن يطول الكتاب : ((ولعل في هذا كله ما يوضح من بعض الوجوه جهد ابن مجاهد الخصب لا في استيعاب قراءات السبعة وروياتها العلمية الوثيقة فحسب ، بل أيضا في تمحيصها وفحصها ونقدها ودرسها دراسة دقيقة . وكان قد فكر في أنْ يرفقها بعللها اللغوية والنحوية ، وما كاد يصنع ذلك في سورة الفاتحة حتى وجد الكتاب سيطول طولا مسرفا ، فاكتفى بإيراد القراءات ، ولم يقرنها بالعلل إلا في الندرة . غير أنه إذا كان قد فاته ذلك فقد تكفل به أحد تلاميذه ، وهو أبوعلي الفارسي أعظم النحاة في عصره .....))[2].

ولعلي لا أُوافق أُستاذنا الفاضل في هذه المسألة لأنْ خوف الإطالة لم يكن سببا في عدم الاحتجاج للقراءات السبعية رغم ادعاء ابن مجاهد نفسه بما ارتآه الأُستاذ الفاضل : ((قال أبو بكر : استطلت ذكر العلل بعد هذه السورة ، وكرهت أن يثقل الكتاب ، فأمسكت عن ذلك))[3]. ولو تفضل ناشر الكتاب بإخراجه على صورة أخرى غير هذه الصورة تاركا الفراغات بين الأسطر ورسم الحروف المكبر لوقفنا على مدى الإطالة التي أشار إليها المؤلف والمحقق ، فالاحتجاج لما جاء في (فاتحة الكتاب) من قراءات قرآنية لا يتجاوز ثلاث صفحات على الأرجح من صفحات مقدمة أُستاذنا الدكتور شوقي ضيف ، ولكنه استغرق على صورته الحالية نحوا من ثماني صفحات[4]. وقد استغرق عند ابن خالويه أربع صفحات فقط[5]،

---

(١) انظر كتاب السبعة : ١٠٤ ـ ١١٢

(٢) مقدمة كتاب السبعة : ٣٣

(٣) كتاب السبعة : ١١٢

(٤) انظر الصفحات : ١٠٤ ـ ١١٢

(٥) انظر القراءات ، لوحة : ٣٤ ـ ٣٧

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

وعند أبى على الفارسى ما يقارب (١٢٥) صفحه لما اتسم به من استطراد واستقصاء للمسائل التى يناقشها أو تلك التى تتعلق بها (١) .

وغالب ظنى أن مقدرة ابن مجاهد النحويه واللغويه لم تسعفه على الاحتجاج ، وهو عمل لا يتأتى الا لمن بلغ شأوا عظيما فى ميدان الدراسات اللغويه والنحويه ، وابن مجاهد فى رأيي لم يكن فى هذا الميدان بذى بال ، لذلك يتحامل على ابن شنبوذ فى قراءاته ولو استطاع الاحتجاج لها أو الوقوف على لغات العرب كلها لما حمل عليه ولا على من قرأ بها ، ويعجبنى فيه قول أبى حيان النحوى : ((قال ابن خالويه : وسمعت ابن مجاهد يقول : ماقرأ به أحد ، وهو لحن لانه بمد فاء الشرط . وسمعت ابن الأنبارى يقول : . . . انتهى . وكان ابن مجاهد إماما فى القراءات ، ولم يكن متسع النقل فيها كابن شنبوذ ، وكان ضعيفا فى النحو ، وكيف يقول : ما قرأ به أحد ؟ (وهذا كطلحه بن مصرف قرأ به ، وكيف يقول . وهو لحن ؟! ، والنحويون قد نصوا على أن (أن) بعد فاء الشرط يجوز فيها الفتح والكسر)) (٣) .

ولعل خير شاهد على قول أبى حيان فيه ماطالعنا به تلميذه ابن خالويه من تخطئه له فى بعض مواقفه من بعض القراءات (٣) ، من ذلك تخطئته للأخفش فى أن غير فى قوله تعالى : (غير المغضوب عليهم) (٤) نصبت على الاستثناء : ((وقال الخليل : هى جائزه على وجه الصفه للذين أنعم الله عليهم ، ويعنى بالصفة القطع من ذكر الذين . ويجوز أن يكون نصبا على الحال . وقد قال الأخفش : نصب (غير) على الاستثناء ، وهذا غلط)) (٥) . وكأن ابن مجاهد ظن ذلك استثناء متصلا (٦) ، وذهب عليه أن يكون منقطعا أيضا ، لنستمع إلى ابن خالويه تلميذه فى تخريجه لنصبها : ((. . . ويجوز فى (غير المغضوب) النصب على الحال من الهاء والميم فى عليهم ، ويجوز النصب على الاستثناء وقد قرأ بذلك ابن كثير فى رواية الخليل بن أحمد)) (٧) .

---

(١) انظر الحجه فى علل القراءات السبع : ٥ — ١٣٠

(٢) البحر المحيط ٨ : ٢٥٤

(٣) انظر فى ذلك موقفه من القراءات القرآنيه ، كشاهد نحوى لغوى ٢٥٦ — ٤٤٨

(٤) الفاتحه : ٧

(٥) كتاب السبعه : ١١٢

(٦) انظر فى هذه المسأله همع الهوامع ١ : ٢٣١ ، وشرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ١ : ٢٢٧

(٧) اعراب ثلاثين سوره : ٣٣ — ٣٤ .

ويضم مؤلف ابن خالويه بعض القراءات التي لاحظنا في سبعة شيخه كقراءة الإدغام في قوله تعالى : (لا ريبَ فيه هدًى) [١] : ((قوله تعالى: (لا ريب فيه هدى) قرأ أبوعمرو وحده بإدغام الهاء في الهاء ...)) [٢]. ويعترف أبوعلي الفارسي باهمال ابن مجاهد لها بقوله : ((وأما الإدغام في (فيه هدى) فلم يذكره أحمد بن موسى عن أحد منهم في هذا الموضع من كتابه فنقول فيه . وما ذكره محمد بن السرى في رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يشم ويدغم ..)) [٣]

ومن الفروق بينهما أنّ ابن مجاهد استقصى الفتح والإمالة [٤]، والهمز وقولهم فيه [٥]، والمد والقصر [٦] من خلال عرضه للقراءات القرآنية في سورة البقرة ، أما ابن خالويه فأشار إلى هذه المسائل في أماكنها في السور القرآنية .

ومهما يكن من أمر هذا التباين الذى أشرت إليه فإنّ المنهج العام يبقى واحدا إلى حد ما ، فالقراءات التي دونها ابن خالويه في مؤلفه هي القراءات نفسها في سبعة شيخه ماعدا القراءات التي استدرك بها عليه . ويكاد المنهج يكون نفسه أيضا في ياءات الإضافة عقب الانتهاء من القراءات الواردة في كل سورة ، لنستمع إليه في نقله ماجاء منها في سورة هود : ((قال أبوبكر بن مجاهد : في هذه السورة أربعة وخمسون ياء إضافة ، اختلفوا في ثماني عشرة منها ...)) [٧] والقول نفسه طالعنا في مؤلف شيخه [٨].

---

(١) البقرة : ٢

(٢) القراءات ، لوحة : ٣٧ ـ ٣٨

(٣) الحجة في علل القراءات السبع : ١٥٨ ـ ١٥٩

(٤) انظر كتاب السبعة : ١٤٣ ـ

(٥) المصدر نفسه : ١٣٠

(٦) المصدر نفسه : ١٣٢

(٧) القراءات ، لوحة : ٢٠٧

(٨) انظر كتاب السبعة : ٣٤٠

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٢٠ الحجّة في القراءات السبع

منذ أن قام الدكتور عبد العال سالم بتحقيق كتاب (الحجة في القراءات السبع) لإمام النحو واللغة (ابن خالويه) أخذت سحب الشك تخيم على هذا الكتاب النفيس، وأول من تصدى للرد على محققه الأستاذ محمد العابد الفاسي الذي ذهب فيه إلى أن الكتاب مختصر لحجة أبي علي الفارسي [١]، ونلمح في رده الحيرة والأحكام العفوية التي لا تقوم على دليل متين، فحجاجه باطل مرفوض، لاسيما ادّعاؤه أنه أحد مختصرات حجة أبي علي، وشتان ما بين الأسلوبين في المنهج والآراء، ولا أودّ الرد عليه لأن الأستاذ المحقق قد وفّى هذه المسألة [٢].

وكان الاستاذ صبحي عبد المنعم سعيد ثاني المتشككين في نسبته، إذ نسبه إلى شخص يكاد يكون في عالم الخيال، وهو الحسين بن خالد متخذا عمدته ما جاء على صفحة ورقة غلاف مخطوطة المؤلف [٣]. ولقد عرض الأستاذ صبحي بعض المتناقضات بين كتابيه: الحجة في القراءات السبع وإعراب القراءات السبع وعللها المخطوط، وطلب من الدكتور عبد العال سالم التريث في إخراج الطبعة الثانية منه إلى حيز الوجود ريثما يصدر كتاب القراءات السابق محققا.

ولست أريد أن أقف في ردي هذا وقفة المتحيز المتعصب لهذا أو لذاك، لأن الحقيقة العلمية أكبر من كل شيء، وهي وديعة في عنق كل باحث عربي، وقبل أن أفند حجاجه أود أن أعرض بعض ما أراه من أدلة تثبت أن كتاب الحجة المطبوع مختصر من القراءات المخطوط:

١٠ آراؤه في النحو واللغة:

يطالعنا في مؤلفاته بآراء يكاد يكون منفردا فيها، أو بآراء شاركه فيها قليل من العلماء، من ذلك ما يلي:

---

(١) انظر مجلة اللسان العربي، الرباط، كانون الثاني، ١٩٧١، ج ١ ص ٥٢١ـ٥٢٣

(٢) انظر المصدر نفسه، يناير ١٩٧٢، ج ١ ص ٣١٥ ـ ٣٢٥

(٣) انظر الحجة في القراءات السبع: ٣٢ . . . :

(٤) انظر فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣ م ٤٨، سنة ١٩٧٣.
مقال: (نسبة الحجة إلى ابن خالويه افتراء عليه).

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

أ٠ يفهم من إعرابه لقوله تعالى : (سواءً محياهُم) [١] أنه أجاز الابتداء بالنكرة مع كون الخبر معرفة ، وهو رأي يكاد يكون غريبا إذا لم نحمل (مَحْياهُم)على أنّه فاعل سدّ مسدّ الخبر ، جاء في القراءات ما يلي : ((وقرأ الباقون (سواءُ) بالرفع) ، جعلوه مبتدأ ، وما بعده خبر عنه ...)) [٢]. والرأي نفسه يطالعنا في (الحجة) : ((.. والحجة لمن رفع أنه جعل قوله : (كالذين آمنوا) [٣] هو المفعول الثاني ، ورفع (سواء) بالابتداء و (محياهم) الخبر)) [٤].

ب٠ ذكر ابن هشام أنّ ابن خالويه من الذين قالوا بوجود واو الثمانية أو العشرة: ((والتاسع : واو الثمانية ، ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ومن المفسرين كالثعلبي ، وزعموا أنّ العرب إذا عدوا قالوا : ستة ، سبعة ، وثمانية ، إيذانا بأن السبعة عدد تام ، وأنّ ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلوا على ذلك بآيات ..)) [٥]. ويطالعنا ابن خالويه بما نسب إليه في مؤلفيه السابقين ، جاء في القراءات ما يلي : ((.... والجواب الثاني أنّ العرب تعد من واحد إلى تسعة وتسميه عشرا ،

---

(١) الجاثية : ٢١

(٢) القراءات ، لوحة : ٥٠٥

(٣) الجاثية : ٢١

(٤) الحجة في القراءات السبع : ٣٩٩

وانظر في هذه المسألة باب النحو : ٥٨٠ - ٤١٦

(٥) المغني اللبيب ٢ : ٣٦٢

ثم تزيد واوا يسمى واو العشر كقوله تعالى : (التائبونَ العابدون) [١]، ثم قال : (والناهون) [٢] بعد السبعة ، وقال : (مسلماتٍ مؤمنات) [٣] عدّ سبعة ثم قال : (وأبكارا) [٤]))[٥]. والقول نفسه يطالعنا أيضا في الحجة : ((.... فإنْ قيل : فما وجه دخول الواو في إحداهما دون الآخر ؟ فقل : فيه غير وجه . قال قوم : هي زائدة ، فدخولها وخروجها واحد كما يزاد غيرها من الحروف . وقال آخرون: العرب تعد من واحد إلى سبعة وتسميه عشرا ، ثم يأتون بهذه الواو فيسمونها (واو العشر) ليدلوا بذلك على انقضاء عدد ، وذلك في مثل قوله تعالى : (التائبون العابدون) فلما سمى سبعة أتى بعد ذلك بالواو ....)) [٦].

جـ. أجاز إمالة لفظة الطغيان في قوله تعالى : (في طُغْيانِهِم يعمهون) [٧] حملا على الطغوى : ((وقوله تعالى : (في طُغْيانِهم يعمهون) قرأ الكسائي وحده (في طَغيانِهم) بالإمالة وكذلك (في آذانِهِم) [٨]، وقرأ الباقون بالفتح على أصل الكلمة . فحجة الكسائي في إمالة (طغيانِهِم) كسرة النون والياء ، ولأن الطَّغيان والطَّغْوى بمنزلة واحدة ، قال الله تعالى : (كذبت ثمودُ بِطَغْواها) [٩] أراد بِطُغْيانِها غير أنّه قيل (الطَّغْوى) ليشاكل رؤوس الآي في السورة ....)) [١٠]. والقول نفسه يطالعنا في الحجة : ((..... فالحجة لمن أمال أن النون مكسورة للخفض فقربت الياء منها ليكون اللفظ من وجه واحد ، وسهل ذلك عليه لأن الطغيان ها هنا مصدر كالطَّغْوى في قوله تعالى : (بِطَغْواها) فلما اتفقا في المعنى سوى بينهما في الإمالة ....)) [١١].

---

(١) التوبة : ١١٢

(٢) التوبة : ١١٢

(٣) التحريم : ٥

(٤) التحريم : ٥

(٥) القراءات ، لوحة : ٤٧٣

(٦) الحجة في القراءات السبع : ٣٨٥ ، وانظر في هذه المسألة باب النحو

(٧) البقرة : ١٥

(٨) البقرة : ١٩

(٩) الشمس : ١١

(١٠) القراءات ، لوحة : ٤٧ - ٤٨

(١١) الحجة في القراءات السبع : ٤٦ - ٤٧

انظر في هذه المسألة الفصل الخاص بالدراسات الصوتية .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

د . ذهب إلى أن بعد قد تعني في بعض المواقف (قبل) : ((وقوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) [١] .... وإنما أعدت ذكره لأن العلماء قالوا : إن (بعد) ها هنا بمعنى قبل ، والذكر القرآن)) [٢] ، والقول نفسه في الحجة : ((قوله تعالى : (من بعد الذكر) [٣] يريد به من قبل الذكر ، والذكر القرآن)) [٤] . ويطالعنا ذلك أيضا في (ليس في كلام العرب) : ((ليس في كلام العرب بعد بمعنى قبل إلا حرفا واحدا في القرآن ، قال الله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض) والزبور ها هنا القرآن ، فالمعنى ولقد كتبنا في الزبور من قبل الذكر .....)) [٥] .

هـ . ذكر أن هل قد تأتي لأربعة معان : ((هل : لفظه لفظ الإستفهام ، وهو بمعنى قد [٦] . وكل ما في القرآن (هل أتاك) فهو بمعنى (قد أتاك) ، كقوله : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) [٧] ، اي قد أتى على الإنسان ، يعني آدم عليه السلام - حين من الدهر ..... وقد تكون هل بمعنى الأمر كقوله : (فهل أنتم منتهون) [٨] معناه انتهوا ... وتكون هل بمعنى ما جحدا ، كقولك : هل أنت إلا جالس ، أي ما أنت إلا جالس ...)) [٩] . والقول نفسه يطالعنا في الحجة : ((..... وهل يجيء في الكلام على أربعة أوجه : يكون جحدا كقوله : (وهل يجازى إلا الكفور) [١٠] . ودليل ذلك مجيء التحقيق بعدها . ويكون استفهاما كقوله : (هل يسمعونكم إذ تدعون) [١١] ، ويكون أمرا كقوله : (فهل أنتم منتهون) [١٢] . ويكون بمعنى قد كقوله تعالى : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) [١٣])) [١٤] .

---

(١) الأنبياء : ١٠٥

(٢) القراءات : لوحة : ٣٣٩

(٣) الأنبياء : ١٠٥

(٤) الحجة في القراءات السبع : ٢٢٧

(٥) ليس في كلام العرب : ٤٣ - ٤٤

(٦) الفاشية : ١

(٧) الانسان : ١

(٨) المائدة : ٩١

(٩) اعراب ثلاثين سورة : ٦٤ - ٦٥

(١٠) سبأ : ١٧

(١١) الشعراء : ٧٢

(١٢) المائدة : ٩١ (١٣) الانسان : ١ (١٤) الحجة في القراءات السبع : ٢٦٨ .

ولولا الإطالة لعرضت مسائل أخرى تطالعنا في الحجة وفي مؤلفاته الأخرى ، ولعل هذه المسائل تستوقف القارئ متأملا ، وتزيده ثقة في أن الحجة لابن خالويه .

٢ . نقول عن شيوخه :

لقد طالعتنا الحجة بإشارات توحي بسماع ابن خالويه من شيوخه . وقبل أن أدوّن تلك الإشارات أود أن أقف عند رأي الأستاذ صبحي عبد المنعم في هذه المسألة ، إذ ذهب إلى أن ابن خالويه يكثر في كتبه من صحبته لشيوخه ، ومن سماعه منهم ، وينتهي بعد استقصاء أمثلة من مؤلفاته إلى القول : ((... هذا هو الحسين بن أحمد بن خالويه الذي أخذ العلم من أفواه أشياخه في مجالسهم فحكى عنهم ، وروى ما قالوه ، أما الحسين بن خالد صاحب كتاب الحجة فلم يقل لنا إنه سمع من شيخ ، ولم يروِ لنا خبرا عن عالم ، ولم يحدثه واحد من أعلام القرن الرابع بحديث ، فان قال قائل : إن صاحب الحجة صرّح بأنه قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار ، فلا عليه إن حذف الإسناد والأخبار ، قلنا : إن ابن خالويه قال في كتابه القراءات : وإنما اختصرته جهدي ليستعجل الانتفاع به المتعلم ، ويكون تذكرة للعالم ، وهو في هذا الكتاب لم يهمل سندا ، ولم يمرر قراءة غير موصولة بإمامها ، وأيضا فقد أملى ابن خالويه إعراب القرآن ، ثم أملى إعراب ثلاثين سورة ، وأخبار شيوخه في الكتاب الثاني فاشية كثيرة ، فكيف نتصور أن ابن خالويه يسكت عن ذكر شيوخه ، ويهمل إسناد رواياته في كتاب كامل)) [(١)].

لعلنا لو ألقينا نظرة فاحصة على الحجة لأكدت ما نفاه الأستاذ الفاضل عنه ، لنستمع إلى ابن خالويه فيه ((قوله تعالى : (من راق) [(٢)] ... وكان أبو بكر ابن مجاهد رضي الله عنه يقرأ بهذه السورة في صلاة الصبح ، فيتعمد الوقف على الياء من قوله : (التراقي) [(٣)] ويبين الياء)) [(٤)].

---

(١) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣ م ٤٨ صفحة : ١٣ ـ ١٥

(٢) القيامة : ٢٧

(٣) القيامة : ٢٦

(٤) الحجة في القراءات السبع : ٣٣٠ . وانظر في ذلك القراءات ، لوحة : ٢٢٣ ؛

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولعل قوله : (وكان أبو بكر بن مجاهد رضي الله عنه يقرأ .....) يوحي باستماع ابن خالويه إليه لأنه كان أحد المصلين كما جاء في القراءات [١]، ولعل توخيه للايجاز هو الذي جعله يحذف ألفاظ السماع . ألا نستنتج شيئا من قوله (رضي الله عنه) ؟ وهو قول طالعنا في مواضع متعددة من القراءات [٢].

وتطالعنا فيه إشارة أخرى ، وهي أنه اعتاد أن يطلق لفظة (المحمدان) على شيخين من شيوخه : (وحدثني المحمدان النحوي واللغوي عن ثعلب قال : .....)) [٣]. ويطالعنا بذلك أيضا في الحجة : ((..... وكان المحمدان ، ابن مجاهد وابن الأنباري يتعمدان الوقف إذا قرآ بهذه السورة في صلاة الصبح على قوله : (فبشرهم بعذاب أليم) [٤] ثم يبتدئان بقولك : (إلا الذين آمنوا) فسئلا عن ذلك فقالا : الاستثناء ها هنا منقطع مما قبله غير متصل به)) [٥]

ويطالعنا في (القراءات) إيضا بمصطلح قريب مما مر : ((حدثنا الشيخان الصالحان عبد الرحمن السراج ، وابن مخلد العطار قالا : .....)) [٦].

ويرد ذكر شيخه ابن مجاهد في الحجة في مواضع أخرى [٧] أما ابن الأنباري فينقل عنه نقلا آخر بالإضافة إلى ما مر [٨]، وأما نقوله عن شيوخه الآخرين فتكثر في القراءات كثرة مفرطة [٩]. ولعل السبب في ذلك يكمن في إسناده القراءات القرآنية والأحاديث النبوية ، وبعض المسائل الأخرى . وهي مسألة تفرض عليه أن يصرح بأسمائهم كأحمد بن عبدان ، ومحمد بن حفص القطان ، ومحمد بن مخلد العطار وغيرهم [١٠]. وأما شيوخه الذين يروى عنهم مسائل اللغة كأبي عمر الزاهد

---

(١) انظر لوحة : ٢٢٢

(٢) انظر مثلا المصدر نفسه والمكان نفسه . وانظر شيوخه فيما مضى: ١ ٥ -

(٣) إعراب ثلاثين سورة : ٦

(٤) الانشقاق : ٢٤

(٥) الحجة في القراءات السبع : ٣٣٩ . وانظر في ذلك القراءات ، لوحة : ٥٩١

(٦) القراءات ، لوحة : ٥٢٦

(٧) انظر الصفحات : ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥١

(٨) انظر الصفحة : ١٩٠

(٩) انظر اللوحات : ٥ ، ١٤ ، ٢١ ، ٣١ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ١١١ ، ١٩٦ ، ٣٠٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٧٥ ، ٤٨١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٥١٠ ، ٥٢٦ .

(١٠) انظر في ذلك ما مضى : ١ ٥ -

ونفطويه وغيرهما فلم يرد ذكرهم في الحجة لقلة المسائل اللغوية التي حواها هـذا المؤلف . ولو حاولنا الوقوف على نقوله من شيوخه في كتابه (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع) لوجدناها تنحصر في ابن الأنباري وأبي عمر الزاهد وابن مجاهد [1]، إذ يغيب عنه ذكر نفطويه وشيوخه الآخرين .

وإذا كانت المسألة على ما انتهى إليه الأستاذ صبحي : ((... بل إن المؤلف الذي يصف قراءات هؤلاء الأئمة بأنها منكورة هو غريب عن علوم القرآن ، لم يقرأ ما كتبه علماء القرنين الرابع والخامس فضلا عن أن يكون واحداً منهم ..)) [2] فلِمَ لم ينقل الحسين بن خالد المزعوم عن أناس متأخرين عن عصر ابن خالويه ؟! ولِمَ لم يزين كتابه بنقول عن أبي علي الفارسي في حجته أو ابن جني في مؤلفاته كالمحتسب والخصائص وغيرهما ، وهما من هما في تلك الفترة ؟ !

٣ . موقفه من القراءات والحديث النبوي الشريف :

لعلّ القراءات التي يحتج لها ابن خالويه ، أو تلك التي يضعفها أو يرفضها تكاد تكون واحدة مع اختلاف في المصطلح أحيانا ، فهل ننتظر من مؤلفين مختلفين ليسا متعاصرين على ما ذهب إليه الأستاذ المتشكك في نسبته هذا التشابه والتقارب ، وإليك أمثلة تؤكد ما نقول : جاء في القراءات حول احتجاجه لقراءة حمزه (فما اسطّاعوا) بتشديد الطاء وسكون السين : ((وقوله تعالى : (فما اسطّاعوا أن يظهروه) [3] قرأ حمزة وحده (فما اسطّاعوا) بتشديد الطاء لإنهما أختان وجمع بين ساكنين ، السين والطاء المدغمة . فقال النحويون جميعا : إنه أخطأ لجمعه بين ساكنين . وقال أبوعبد الله رضي الله عنه : وله عندي وجهان لأن القراء قد قرؤوا (لا تعدّوا في السبت) [4]، (أمّن لا يهدّي) [5]، (ونعمّا يعظكم) [6]، فان قال قائل : فإنّ الأصل في الساكن الأول في جميع ما ذكرت الحركة ، وسكونها عارض، وقد يجوز حركتها في حال من الأحوال ، فالجواب

---

(١) انظر الصفحات : ٦ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١١٩ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٦٩ .

(١) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣ م ٤٨ : ٩

(٣) الكهف : ٩٧

(٤) النساء : ١٥٤

(٥) يونس : ٣٥

(٦) النساء : ٥٨ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

في ذلك : .....)) (١) . ويرقوف القارئ على مواقف العلماء من هذه القراءة يتبين أنهم جميعا قد ردوها وشذّوها (٢) ماعدا ابن خالويه في النقل السابق، ويطالعنا في الحجة بالموقف نفسه وبالاحتجاج نفسه مما يدل على أن المؤلف واحد، لنستمع إليه في الحجة، محتجا لها : ((قوله تعالى : (فما اسْطَاعوا) يقرأ بالتخفيف إلا ما روى عن حمزة من تشديد الطاء ، وقد عيب بذلك لجمعه بين الساكنين، ليس فيهما حرف مد ولين ، وليس في ذلك عليه عيب ، لأن القراء قد قرؤوا بالتشديد قوله : (لا تعدّوا في السبت) (٣) ، (أمّن لا يهدّي) (٤) ، (ونِعِمّا يعظكم به) (٥) . فإن قيل : فان الأصل في الحرف الأول الذي ذكرته الحركة ، وإنما السكون عارض فقل : إن الحرب تشبه الساكن بالساكن لاتفاقهما في اللفظ ، والدليل على ذلك : أن الأمر للمواجهة مبني على الوقف ، والنهي مجزوم بلا ، واللفظ بهما سيان ، فالسين في (اسْتطاعوا) ساكنة كلام التعريف ، ومن العرب الفصحاء من يحركها فيقول : اللبكة ، والاحمر، الليلك- فجاز تشبيه السين بهذه اللام ، وأيضا فإنهم يتوهمون الحركة في الساكن ، والسكون في المتحرك كقول عبد القيس: اسْل ، فيدخلون ألف الوصل على متحرك توهما لسكونه .....)) (٦) .

ويكاد الكتابان يتفقان في تخطئة قراءات معينة ، من ذلك قراءة حمزة وعاصم لقوله تعالى : (فليُؤدِّ الذي اؤْتُمِن) (٧) بضم الهمزة : ((وقوله تعالى : (فليُؤَدِّ الذي اؤْتُمِنَ) قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بضم الهمزة ، وهو خطأ . وقرأ الباقون بإسكان الهمزة ، وهو الصواب لأن وزنه (افْتُعِلَ) فالهمزة فاء الفعل ، وهي ساكنة .....)) (٨) . والقول نفسه يطالعنا في الحجة : ((..... روي عن

---

(١) القراءات ، لوحة : ٩٢ ـ ٩٣ راجع قبلها وبعدها في موقفه من القراءات شاهد

(٢) انظر في هذه المسألة موقفه من القراءات فيما بعد : ١٥٦، ١٥٨، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٩٣، ٤٦٢

(٣) النساء : ١٥٤

(٤) يونس : ٣٥

(٥) النساء : ٥٨

(٦) الحجة في القراءات السبع : ٢٠٧ ـ ٢٠٨

(٧) البقرة : ٢٨٣

(٨) القراءات ، لوحة : ٧٢

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

عاصم وحمزة أَنَّهما قرآ بإشمام الهمزة الضمة في الوصل ، وهذا وهم لأنها ألف وصل دخلت على ألف أصل ، ووزن اؤْتُمِنَ (افْتُعِلَ))) (١).

ويتفقان أيضا في اتخاذ رسم المصحف علة يحتج بها لتقوية القراءات القرآنية ، من ذلك حملهما قراءة القراء لقوله تعالى : (الكبير المتعال) (٢) بإثبات الياء وصلا ووقفا ، أو إثباتها وصلا وحذفها وقفا ، لنستمع إليه في القراءات : ((وقوله تعالى (الكبيرُ المتعالِ) أثبت ابن كثير الياء في (المتعالي) وصل أو وقف على الأصل ، وأثبتها نافع في رواية اسماعيل ، وأبو عمرو في رواية أبي زيد وصلاً وحذفا وقفاً ليكونا تابعين للمصحف في الوقف وتابعين للأصل في الوصل . وقرأ الباقون بغير ياء وصلوا أو وقفوا ، ولهم علتان : إحداهما خط المصحف ، والثانية أن العرب تجتزئ بالكسرة عن الياء .....)) (٣). والموقف نفسه يطالعنا في الحجة : ((... والحجة لمن أثبتها وصلا وحذفها وقفا : أنه اتبع خط السواد في الوقف ، وأخذ بالأصل في الوصل ، فأتى بالوجهين معا ...)) (٤) .

أما الحديث النبوى الشريف فيقف منه موقفا يوحي بالإجلال والتقدير ، إذ يتخذه شاهدا في المسائل اللغوية ، فهو يبني عليه قاعدته اللغوية ، ويحمل عليه أيضا القراءات القرآنية ليقويها ويبعدها عن الضعف والشذوذ ، وتكفي الجولة الفاحصة في كتابيه وغيرهما لتأكيد ما أذهب إليه . جاء في الحجة ما يلي : ((قوله تعالى : (بين الصدفين) (٥) يقرأ بضم الصاد والدال وفتحهما ، وبفتح الصاد وإسكان الدال ، فالحجة لمن قرأه بالضم : أنه أتى باللفظ على الأصل وأتبع الضم الضم . والحجة لمن فتحهما : خفة الفتح ، والواحد عنده (صَدَف) ودليله : أن النبي صلى الله عليه وسلم (مر بصَدَفٍ مائل فأسرع المشي) (٦) الرواية بالفتح)) (٧) . ومن ذلك أيضا حمله قراءة قوله تعالى : (ويقتلون النبيين) (٨)

---

(١) الحجة في القراءات السبع : ٨١

(٢) الرعد : ٩

(٣) القراءات ، لوحة : ١٢٦ ـ ٢٢٧

(٤) الحجة في القراءات السبع : ١٧٦

انظر في هذه المسألة موقفه من القراءات : ٤٤٨ - ٤٧٢

(٥) الكهف : ٩٦

(٦) انظر النهاية في غريب الحديث ٣ : ١٧ وانظر فيه موقفه من الحديث النبوى فيما بعد .

(٧) الحجة في القراءات السبع : ٢٠٧ ، وانظر الحديث نفسه ، القراءات ، لوحة : ٢٩١

(٨) البقرة : ٦١

يترك الهمز على قول الرسول عليه السلام (لست بنَبِيء الله) (١) : ((والحجه لمن ترك من ثلاثة أوجه : أولها أنّ الهمز مستثقل فى كلامهم ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : (لست نبى ء الله) ، كأنه كره الهمز لأن قريشا لا تهمز .)) (٢)

ويتراءى لى أن ابن خالويه يكثر من الاستشهاد بالحديث النبوى فى مؤلفاته ، ولكن ما طالعنا به فى الحجه من أحاديث تبدو قليله اذا ما قورنت بتلك التى طالعتنا فى مؤلفاته الأخرى كالقراءات مثلا ، ولعل السبب يكمن فى حذف الأسانيد والتعليقات التفسيريه ، والمسائل اللغويه التى ترتبط بالقراءات التى يحتج لها .

٤ . وضوح شخصيته فى مؤلفاته : ولعله من الأدله الواضحه لأن شخصية ابن خالويه تطل على القارىء من ثنايا مؤلفاته ، اذ عندما يحتج لقراءة لم يسبق فى الاحتجاج إليها يشير إلى ذلك ، أو عندما يقعد قاعده لغويه لم يسبق اليها تطل شخصيته من خلالها : ((فان سأل سائل فقال : هل يجوز إمالة جميع مافى القرآن من نحو ذلك أم لا ؟ فالجواب فى ذلك أن الكسائى .... وهذا فصل ما أعلم أحداً عالله)) (٣) . والقول نفسه فى الحجه : ((... فاعرف ماأصلت لك فانه يشفى بك على جواز الإماله وامتناعها)) (٤) . ولفظة (أصل) تطالعنا فى كتابه (البديع فى القراءات السبع مضافا إليها قراءة يعقوب) (٥) (٦) : ((أواخر آيها على ماأصلناه فى سورة (والضحى))) .

---

(١) انظر لسان العرب ، وتاج العروس (نبأ) ، فى النهايه فى غريب الحديث ٥ : ٣ — ٤

(أن رجلا قال له يانبى ء الله ، فقال : لاتنبر باسمى ، انما أنا نبى الله))

وانظر حاشية (٣) من الصفحه ٥٧ من كتاب الحجه فى القراءات السبع.

وانظر ١١٧ ، ١٣٧ .

انظر موقعه من الحديث النبوى الشريف (باب اللغه) : ٤٧٩ — ٤٨٠

(٢) الحجه فى القراءات السبع : ٥٧

(٣) القراءات لوحه : ١٢٨ — ١٢٩

(٤) الحجه فى القراءات السبع : ١٣٠ — ١٣١

(٥) سيأتي الحديث عنه فيما بعد : ١٥١

(٦) البديع في القراءات السبع ، ورقه ٩٩

وتطالعنا عبارات متعددة في مؤلفاته توحي بوضوح شخصيته ، من ذلك قوله : ((وهذا حرف غريب ما استخرجه أحد علمته غيري ، فاعرفه فإنه حسن))(١) وقوله : ((وجدت في القرآن حرفا .....))(٢).

٥٠ لقد صرّح ابن خالويه في القراءات أنه قرأ كتاب السبعة لابن مجاهد عليه أربع مرات حرفا حرفا بالإضافة إلى مصادره الأخرى في تدوين ما احتج له فيه كما مر . وقد ذكرت فيما مضى أنه استدرك على شيخه بذكر بعض القراءات، وهذه القراءات تطالعنا في الحجة مما يدل على أن المؤلف واحد ، من ذلك قراءة نافع لقوله تعالى : (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل)(٣). بفتح النون وحذف الهمزه (٤)، وقراءة حمزة والكسائي لقوله تعالى : (مَنْ يقول)(٥) بادغام النون في الياء من غير غنة (٦) . ويكاد الكتابان يضمان القراءات أنفسها بالترتيب نفسه ما خلا بعض الخرم التي تطالعنا في كتاب القراءات (٧)، وقراءات محدودة لم تطالعنا في الحجة كقراءة نافع (لكم فيها معائش) (٨)، ولعل السبب يعود إلى اختلاف الإملاء وظروف النسخ ، فاختلفت بذلك النسخ ، وهي مسألة تطالعنا في كثير من مخطوطاتنا العربية ، وما حدث لكتاب الجمهرة خير دليل على ذلك ، لنستمع لقول ابن النديم فيه : ((مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه بفارس، وأملاه ببغداد من حفظه ، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص))(٩)

---

(١) إعراب ثلاثين سورة : ٦٤

(٢) ليس في كلام العرب : ٥٠ وانظر الصفحات : ٢٠ ، ٢٤ ، ٤١ وانظر المزهر ٢ : ٢٩٢ في نقله عن شرح الفصيح وانظر في هذه المسألة منهجه في كل مؤلف من مؤلفاته .

(٣) المائدة : ٣٢

(٤) انظر القراءات ، لوحة : ١٠٠ ، والحجة في القراءات السبع : ١٠٥ ، ولم ترد هذه القراءة في كتاب السبعة في سورة المائدة

(٥) البقرة : ٨

(٦) انظر القراءات ، لوحة : ٤٢ ، والحجة في القراءات السبع : ٤٤

(٧) انظر ما مضى

(٨) الأعراف : ١٠ ، انظر القراءات لوحة : ١٢٣ - ١٢٤

(٩) نقلا عن تحقيق النصوص ونشرها : ٣١ - ٣٢ .

وعقب على ذلك قائلا : ((وآخر ما صح من النسخ نسخة أبي الفتح عبدالله بن أحمد النحوي ، لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه)) [١] ، وتتضح هذه الظاهرة جلاء إذا عرفنا أن كتاب الياقوت لأبي عمر الزاهد ظهر في ست صور ، قضى أبو عمر في تأليفها ست سنوات [٢] . ولعل السبب في عدم وجود هذه القراءة وأمثالها يرجع أيضا إلى ان ابن خالويه أراد أن يحذف من كتاب القراءات بعد أن اختصره بعض ما خطأه جريا وراء غيره من كتب القراءات لأن قراءة نافع السابقة تطالعنا في كتاب (مختصر في شواذ القرآن) [٣] ، لأن منهجه كما طالعنا في مقدمة القراءات قبل الاختصار الإحجام عن ذكر الشاذ .

ويقف القارئ لهذين المؤلفين على فرق آخر ، وهو أنه يذكر في كتابه القراءات بإضافة بعد الانتهاء من تدوين القراءات السبعية والاحتجاج لها جريا وراء شيخه ابن مجاهد في سبعته ، ولكن هذه الظاهرة تغيب عن الحجة لأنه يصرح أن منهجه فيه الاختصار والإيجاز ليجعله سهلا مستساغا يقبل الطلبة على قراءته .

٠٦ الشواهد الشعرية والنثرية وغيرها :

لو حاولنا استقصاء هذه الشواهد في كتابيه لوجدنا بينها شبها كبيرا يزيدنا ثقة في التأكد من نسبة الحجة إليه ، لنستمع إليه في احتجاجه لقوله تعالى : ﴿فَصُرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [٤] : ((وقوله تعالى : ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قرأ حمزة وحده : ﴿فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد ، وقرأ الباقون ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بالضم ، وهو الاختيار ، لأن العرب تقول : صار يصور إذا مال ، قال الشاعر [٥] :

يصورُ عُنُوقُها أحوى زنيمٌ ... له ظأب كما صخب الغريمُ

الظأب والظأم : الصوت جميعا ٠٠٠٠٠)) [٦] والشاهد نفسه يطالعنا في الحجة

---

(١) نقلا عن تحقيق النصوص ونشرها : ٣٢

(٢) المصدر نفسه : ٣٢

(٣) انظر الصفحة : ٤٢

(٤) البقرة : ٢٦٠

(٥) انظر فيه ما مضى : ٩٨

(٦) القراءات ، لوحة : ٦٧

في الموقف نفسه : ((... فالحجة لمن فهم أنّه أخذه من صار يصور إذا مال وعطف، وأنشد شاهدا لذلك :

يَصُرُّ عُنُوقَهَا أحوى زَنِيمٌ ... له ظأبٌ كما صخب الغريم

....))[1].

٠٧ ويتفق الكتابان في أُسلوب الإحالة إلى ما سبق تحليله ، وتكاد المواضع التي أحال إليها في الكتابين تكون واحدة ، جاء في القراءات ما يلي : ((..... وقرأ ابن كثير وابو عمر ونافع (عقدتم) [2] أي أكّدتم ، وقد مرّ تفسير هذا في سورة (النساء) فأغنى عن الإعادة ، وكذلك قوله (قِياماً للناس) [3] وقد مرت العلل في أوّل النساء [4])) . والإحالة نفسها تطالعنا في الحجة : ((..... وقد ذكر في النساء بأبين من هذا ، وكذلك (قِيَما) (قِياما) ايضا))[5] . ومن ذلك قوله في القراءات : ((قوله تعالى : (وأُحِيطَ بثمَرِه) [6] ..... وقد مرّت علة ذلك مستقصاة في الأنعام))[7] . والإحالة نفسها في الحجة : ((وقد ذُكِرَ هذا مستقصى في الأنعام)) [8] .

لعلي استطعت بهذه الأدلة التي اتخذتها قبسا في نسبة الحجة إلى ابن خالويه أن أزيل غبارا عابرا خيّم على هذا المؤلف الذي يعتبر صورة مختصرة لكتاب القراءات ، أراد به ابن خالويه كما طالعنا في مقدمته أن يفي بحاجة القراء على اختلاف مستوياتهم ، لأنّ كتابه القراءات تشيح فيه الأسانيد المطولة ، وبعض الشروح اللغوية وبعض أسباب النزول التي تطالعنا في مقدمات بعض السور ،

---

(١) الحجة في القراءات السبع : ٧٧ - ٧٨

(٢) المائدة : ٨٩

(٣) المائدة : ٩٧

(٤) آية النساء هي : (فاذكروا الله قِياما وقعودا)

(٥) الحجة في القراءات السبع : ١٠٩

(٦) الكهف : ٤٢

(٧) القراءات ، لوحة : ١٧٣

(٨) الحجة في القراءات السبع : ١٩٨

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ولعله أراد به أن يسد الثغرة التي تركها أبوعلي الفارسي في حجته ، وهي أن كتابه لا يصل إلى الأفهام بيسر وسهولة ، لأنه ينقل القارئ من فكرة إلى فكرة ومن ظاهرة إلى أخرى مما يجعله يتيه في متاهات تبعده عن الفكرة الرئيسية ، ولعل تسميته بالحجة جاءت من لفظة الحجة التي تطالعنا في احتجاجه لكل قراءة .

ولعل ما يزيدني ثقة في صحة النسبة إلى ابن خالويه أن ظاهرة اختصار المؤلفات في أخرى تطالعنا في مؤلف آخر له ، وهو الشواذ الذي قام باختصاره في مؤلف آخر ليدونه في حواشي مؤلفه البديع [1].

---

(١) سيأتي التفصيل في هذه المسألة :ص١٥٢-

أدلـــة الأستـــاذ صبحـي عبد المنعـــم
فـي نفي هذه النسبـــــة وتفنيد هـــــا

لقـد اعتمد الأستاذ الفاضل في نفي نسبة هذا المؤلف عن ابن خالويـه على أدلة قد تبدو لمن لم يقرأ مؤلفات ابن خالويه صحيحة ، ولكن هذه الأدلـــة تبدو ضعيفة إذا ما حاول المرء أن يقرأ مؤلفاته بتأن حبا في الإجابة عن مثل هـــذه الأدلة والتساؤلات وهذه الأدلة هي :

١ . ما اسم مؤلف الحجة في قراءات الأئمة :

لقد انتهى الاستاذ إلى أن مؤلفه هو الحسين بن خالد لأن هـــذا الاسم يطالعنا على ورقة غلاف مخطوطه مؤكدا أن ابن خالويه لم يرد في مصـــادر القدماء إلا باسم الحسين أو الحسن بن أحمد أو محمد . لذلك وجه اللوم إلـــى الدكتور عبد العال سالم محقق المؤلف بقوله : ((ويا ليت الذين نسبوا كتـــاب الحجة إلى ابن خالويه عنوا بتحقيق اسم مؤلفه)) (١).

لعل الأستاذ الفاضل تناسى ما يحدث لكثير من نسخنا ومخطوطاتنـــا ، ألم تطالعنا أخطاء النساخ الذين منهم من كان يحترف مهنة النسخ ؟ وقد تسيطـــر عليه العجلة في إتمام ما يقوم بنسخه ليقبض الثمن ، وأسواق بغداد عامرة في هـــذه الفترة بالناسخين (٢) . ومسألة أخرى أود أن أدونها وهي أن ابن النديـــم لا يعرف أخبار ابن خالويه على استقصاء ، إذ صنفه تحت ما أسماه ((أسماء قوم مـــن جماعة بلدان لا تعرف اسماء وهم وأخبارهم على استقصاء)) (٣) . ألم يطالعنـــا اسمه في بعض كتب التراجم والطبقات (الحسين بن خالويه) (٤) ، ألا نتوقع من ناسخ هذه النسخة أن يجهل ابن خالويه ؟ [.. ألا نذهب إلى أن لفظة خالد مقحمـــة على اسمه إهمالا في النسخ ؟]

---

(١) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣ م ٤٨ صفحة : ٦

(٢) انظر في هذه المسألة تحقيق النصوص ونشرها : ١٤ ـ ٢٤

(٣) الفهرست : ٨٤

(٤) انظر تنقيح المقال ١ : ٣٢٧ . وانظر في ذلك ما مضى : ٢١

ولعلّ الأُستاذ تناسى شهرة ابن خالويه في كتب التراجم والطبقات التي أجمعت على أنّهُ إمام في النحو واللغة ، أو النحوى اللغوى [1]، ألَمْ تطالعنا هذه الشهرة بعد ذكر الحسين بن خالد المزعوم على ورقة الغلاف ؟ ! ولم تناست كتب التراجم والطبقات هذا المؤلف المزعوم رغم كونه إماما في النحو واللغة ؟ ! ، ولعلّ الحسين بن خالد المزعوم يكاد يكون في عالم الخيال لا يعرف حقيقة أمره إلاّ من قام بنسخ هذا الكتاب ، فهو على بينة منه .

ومسألة أُخرى أود أنْ أشير إليها وهي تداول الأيدى العلمية لمخطوطة هذا المؤلف كما يطالعنا على صفحة ورقة الغلاف ، إذ لم يشك أحدهم في هذه النسبة .

٢ . والدليل الثاني الذى أقامه يكمن في التباين الذى وجده بين مقدمة كل من الحجة والقراءات : ((.... فصاحب الحجة يصرح بأنه احتذى المتقدمين فأخذ عنهم اللفظ والعلة معا ، وليس له شيء في كتابه غير الجمع بلفظ بين ومقال سهل ... وشتان ما بين قول ابن خالويه وقول ابن خالد صاحب كتاب الحجة ، فابن خالد يقصر همه على ذكر ما احتج به أهل صناعة النحو للقراء السبعة ، ويترجم عن ألفاظ القدماء وعللهم ، أما ابن خالويه فيقول : ((شرحت)) بتاء المتكلم ، ليكون شرحه تذكرة للعالم . وهو في خلال شرحه يجهد أُستاذه ابن مجاهد خصومة انتصارا للقراء ، ولعل ابن خالويه كان في غنى عن تأليف كتاب لا يملك فيه لفظة ولا فكرة ، وكيف نصدق ذلك وهو صاحب (إعراب القرآن ، وإعراب ثلاثين سورة ، وإعراب القراءات السبع وعللها ، والبديع بحواشيه ، وشرح الفصيح ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وليس في خمس مجلدات ضخمات)، وغير ذلك ؟ ( )) [2].

ومن الفروق التي اهتدى إليها الأُستاذ الفاضل أيضا أنّ صاحب الحجة لا يعرف قدر القراءات الشاذة إذْ يصفها بالنكارة ، أمّا ابن خالويه فلا يزيد على تسميتها (الحروف الشاذة) . ويتساءل عن السبب الذى جعله يصفها بالنكارة وقد جعل في حواشي البديع الحروف الشاذة . وينتهي الأُستاذ الفاضل بعد استقصائه للفرق بين المؤلفين إلى القول : ((إنّ ابن خالويه برئ من تهمة وصف

---

(١) انظر في هذه المسألة ما مضى :٨٢

(٢) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣ م ٤٨ ص ٧ ـ ٨

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

قراءات هؤلاء الأئمة بالنكارة لأنه يصرف قدرهم ويصرف الناس به ، بل إنّ المؤلف الذي يصف قراءات هؤلاء الأئمة بأنها منكورة هو غريب عن علوم القرآن ، لم يقرأ ما كتبه علماء القرنين الرابع والخامس فضلا عن أنْ يكون واحدا منهم .. وقبل أنْ نغادر هذه الفقرة أرجو القارئ أن يعيد النظر إلى قول ابن خالويه عن كتابه المشهور بالقراءات ((هذا كتاب شرحت فيه إعراب قراءات أهل الأمصار .. ولم أعد ذلك إلى ما يتصل بالإعراب من مشكل أو تفسير وغريب ...)) وإلى قول الدكتور عبد العال سالم في الفقرة الأولى من أدلته لتوثيق كتاب الحجة : فكتابه (يعني كتاب ابن خالويه القراءات) في حقيقة أمره كتاب تفسير لا قراءات ، ولعلّ القارئ الكريم ينتهي إلى ما انتهيت إليه من الشك في أنّ الدكتور عبد العال سالم (أمعن) [1] في قراءة الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب القراءات أو البطاقة التي صدرت بها المخطوطة ، وأنا على يقين أنّه لو فعل لوفر على نفسه جهد توثيق نسبة الحجة إلى الحسين بن أحمد بن خالويه)) [2].

لعلّ ما طالعنا به ابن خالويه في تقديمه للحجة من أنّه اتبع الأقدمين في الاحتجاج والاعتلال يتفق مع المنهج العلمي الصحيح الذي يدعو إلى نسبة الفكرة أو الرأي إلى اصحابه ، لأنه لم يكن في احتجاجه للقراءات مبتدعا ، لأن الكسائي وسيبويه والخليل والمبرد وأبا العباس ثعلبا والمازني والفراء وغيرهم قد سبقوه إلى ذلك ، ويكاد عمل المتأخرين عنهم ينحصر في التبويب والتنسيق ، والشرح والتعليل والاحتجاج بعلل مبتكره أحيانا ، لذلك طالعنا ابن خالويه بالإفصاح عما احتج له من القراءات بعلل لم يسبق اليها كقوله : ((وما أعلم احدا احتج لهذه القراءة فاعرفه فإنّه حسن)) [3]. ويتضح منهج ابن خالويه في هذه المسألة في الإفصاح عن مصادر (الحشرات في اللغات) بقوله : ((قال أبو عبدالله : قد آتينا على ما شرطناه في هذا الكتاب وجمعنا منه على غرابته ما لم يجمع أبو عمر من عشراته على وجوده ، ولا ننكر أنْ يبقى علينا الشيء منه فان كان ذلك فيسير غير كثير لأنّا اقتضبناه اقتضابا من جمهور اللغة ولم نجهد النفس فيه إرادة السرعة بما تيسر منه لنصله بقراءة الشيخ أعزه الله

---

(١) لقد سقط من المتن الحرف لو .

(٢) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ج ٣ م ٤٨ ص: ١٠ ـ ١١

(٣) القراءات ، لوحة : ٢٦٨ .

انظر في هذه المسألة منهجه في مؤلفاته .

لكتاب العشرات ٠٠٠٠٠))[١]. ولعل ما طالعنا به في كتابه (ليس) من استقصاء آراء النحاة واللغويين السابقين مع استدراكات أشار إليها يشهد على ما نهجه في الحجة ٠

ويذهب الأستاذ الفاضل إلى أن الحسين بن خالد المزعوم أخذ تعليل ابن خالويه لقراءة قوله تعالى : (أَنْ رآه استغنى)[٢] بفتح الراء والهمزة والقصر على وزن (رَعَه) من ابن خالويه في كتابه القراءات : ((٠٠٠٠ قال ابن مجاهد : لا وجه له ، لأنه حذف لام الفعل التي كانت مبدلة من الياء وقال بعض أهل النظر : أحسن أحوال ابن كثير أن يكون قرأ هذا الحرف بتقديم الألف التي بعد الهمزه ، وتأخير الهمزة إلى موضع الألف ، ثم خفف الهمزة ، فحذف الألف لالتقاء الساكنين فبقى (راه) بألف ساكنة غير مهموزة إلا أن الناقل لذلك عنه لم يضبط لفظه به ٠٠ هذه لغة مشهورة للعرب يقولون في رآني (رائني) وفي (سأاني) (سائني) ٠٠٠٠))[٣]، وعقّب الأستاذ على هذا النقل بقوله : ((ومن اليسير أن نتبين أن صاحب الحجة أخذ تعليل ابن خالويه ، ومعظم ألفاظه ، واكتفى بأن يضيف كل ذلك إلى ((بعض أهل النظر)) ومحال أن ينسب ابن خالويه تعليله هو إلى مجهول ٠٠٠))[٤].

لعلّ ما يطالعنا في القراءات لا يوحي بابتكار ابن خالويه لهذا الاحتجاج أو التعليل لأن منهجه الإفصاح عمّا ابتدعه أو ابتكره ، والقول نفسه في الحجة، إذ أراد أن يعلم القراء والمتعلمين أنه ليس من مبتكراته ٠ واللغة التي حمل عليها القراءة السابقة تطالعنا في كتاب سيبويه[٥] ، ولعل إغفال كتب القراءات نسبة التعليل إلى ابن خالويه دليل على أنه ليس ما انفرد به ٠

---

(١) العشرات في اللغات ، ورقة : ٥٩

(٢) العلق : ٧

(٣) الحجة في القراءات السبع : ٣٤٥ - ٣٤٦

(٤) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ ، م ٤٨ ص: ١٩

(٥) انظر الكتاب ٢ : ١٣٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ٥٢٣ ٠

وما ذهب إليه الأُستاذ الفاضل من أنّه وصف القراءات الشاذة بالنكارة يبدو مقبولا إذا علمنا أنّه وصف بعض القراءات السبعية بأنها رديئة جدا [١]. ولعلّ ما طالعنا به من وصف القراءات الشاذة بالنكارة له صلة بما كان سائدا في عصر ابن مجاهد الذي سعى إلى زج ابن شنبوذ في السجن، ولعله لا يريد القراءات الشاذة جميعها لأنه وصف بعضا منها في كتابه (مختصر في شواذ القرآن) بالغلط واللحن [٢]، واحتج لبعضها الآخر.

وأمّا لوم الأُستاذ الفاضل للدكتور عبد العال سالم في عدم إمعانه النظر في قراءة الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب القراءات، إذْ لو فعل ذلك في رأيه لما ذهب إلى أنه كتاب تفسير، ووفر على نفسه جهد توثيق الحجة فيتراءى لي أنّ الدكتور عبد العال سالم لولا التحميم الذي أطلقه على الكتاب كله لكان على جانب كبير من الصواب، صحيح أنّ الأستاذ المشرف لم يسعفه الحظ في قراءة الكتاب كله مما جعله يصدر مثل هذا التحميم جريا وراء ما جاء في مقدمة الكتاب التي استغرقت أربعا وثلاثين صفحة، ولكن ليست المسألة كما ذهب إليه الأُستاذ صبحي عبد المنعم، إذْ لو تفضل بالتريث ريثما يتم قراءة الكتاب لوجد للأستاذ المشرف عذرا، لأن ابن خالويه لم يحترم المنهج الذي طالعنا به في مقدمة مؤلفه، إذْ لا يترك مسألة تحتاج إلى تفسير أوْ تحليل، أو سببا من أسباب النزول يستحق التدوين دون أن يدونه، وهو منهج طالعنا به في مؤلفاته جميعها. وفي القراءات قدر كبير من ذلك، فأسباب النزول تشيع في مؤلفه من سورة (عمّ)[٣] إلى آخر القرآن، بالإضافة إلى شيء كثير من المسائل اللغوية والفقهية والتفسيرية وغيرها [٤].

---

(١) انظر في هذه المسألة موقفه من القراءات في بابي النحو واللغة.

(٢) انظر في هذه المسألة موقفه من القراءات في بابي النحو واللغة.

(٣) القراءات، لوحة: ٤٧٤ ـ ٤٧٥

(٤) انظر في ذلك ما مضى: ٩٧

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٠٣ عنايته بتوثيق كتبه :

لقد ذكر الأستاذ صبحي عبد المنعم أن ابن خالويه حريص على توثيق مؤلفاته بذكر اسمه فيها بدءا أو نهاية وفي خلال الأبواب والمسائل . لعلي اوافقه في هذه المسألة ولكن ذكر الاسم في ثنايا الكتب ليس دليلا يتخذ دائما لإثبات نسبتها ، أنذهب إلى أن (الشجر) من مؤلفاته لأن اسمه طالعنا في ثناياه ، رغم ثبوت نسبته إلى ابي زيد الانصاري [1]، أم نذهب إلى أن مقصور ابن ولاد من مؤلفاته لِنَقْلِ ابن ولاد عنه في مقدمة مؤلفه [2]؟ ! ولعل ميل ابن خالويه في هذا المؤلف إلى الاختصار والإيجاز هو الذي جعله يتناسى هذه المسألة إذ لم يقف عند هذا الحد بل تناسى ذكر شيوخه وغيرهم من النحاة واللغويين السابقين . ولعل هذه الظاهرة تطالعنا في (المشرات في اللغات) الذي أجمع الدارسون المحدثون على نسبته إلى أبي عمر الزاهد شيخه ، إذ لم يطالعنا اسم ابن خالويه في ثناياه ، ولولا بقاء ورقة جاءت في خاتمته لشككت في نسبته إليه كغيري من الدارسين ، ((قال أبوعبدالله : قد اتينا على ما شرطناه في هذا الكتاب ، وجمعنا منه على غرائبه مالم يجمع أبوعمر في عشراته ...)) [3].

٠٤ ابن خالويه يكثر من الصحبة لشيوخه في مؤلفاته :

لقد ذهب الأستاذ الفاضل إلى أن هذا المؤلف يخلو من هذه الظاهرة التي تطالع القارئ كثيرا في مؤلفاته [4].

٠٥ أما الدليل الخامس الذي أقامه فهو يكمن في التباين في المصطلح والتعبير في هذين الكتابين ، ونقل نصين منهما ليؤكد ذلك ، وأود أن أعيد نقلهما قبل الرد عليه فيهما ، جاء في القراءات ما يلي : ((... وقوله تعالى : (بالغُدَاة والعَشِيِّ) [5] قرأ ابن عامر وحده (بالغُدْوَةِ والعَشِيِّ) وإنما حمله على ذلك لأنه وجده بالمصحف بالواو ، وإنما كتب بالواو كما كتبت الصلاة بالواو ، وإنما لم يكن ذلك

---

(١) سيأتي الحديث عنه فيما بعد : ٤٣

(٢) سيأتي الحديث عنه فيما بعد : ٦٧

(٣) المشرات في اللغات ، ورقة : ٥٩

(٤) لقد ناقشت هذه الظاهرة فيما مضى : ١١١

(٥) الأنعام : ٥٢

الوجه لأن غداة نكرة ، وغُدْوة معرفة ، ولا يستعمل بالألف واللام ، ومراد الله تعالى - والله أعلم - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي أي غداة كل يوم . نزل ذلك في فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم))[1] . وجاء في الحجة حول قراءة ابن عامر السابقة ما يلي : ((قوله تعالى : (بالغَدَاةِ والعَشِيِّ) يقرأ بالألف ، وبالواو في موضع الألف مع إسكان الدال ها هنا وفي الكهف ، فالحجة لمن قرأه بالألف أنه حذا الفاظ العرب وما تستعمله في خطابها إذا قالوا : جئتك بالغَدَاةِ والعَشِيِّ ، وانما كان ذلك الاختيار لان قولهم : (غَداة) نكرة ، فإذا عرفت بالألف واللام جاءت مطابقة للعشي ، فاتفقا بالتعريف بالألف واللام ، والحجة لمن قرأه بالواو أنه اتبع الخط لأنها في السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة ، لأنها إنما كتبت بالواو كما كتبت الصلاة والزكاة والحياة . ودل على ضعف هذه القراءة أن غُدْوَة إذا أردْت بها غدوة يومك فلا تستعمل إلا معرفة بغير ألف ولام كما استعملوا ذلك في سحر ، وما كان تعريفه من هذا الوجه فدخول الألف واللام عليه محال ، لأنه لا يعرّف الاسم من وجهين وإنما جاز في الغداة لأنه لم يقصد به قصد غداة بعينها فتعرفت بالألف واللام كما تعرف العَشِيّ لانهما مجهولان غير مقصود بهما وقت بعينه ، والحجة له أنه أراد أن العرب قد تجعلها نكرة في قولهم : (لَدُنْ غُدْوَةً) كما يقولون عشرون درهما فعرفها على هذا اللفظ بالألف واللام))[2] .

وينتهي الأستاذ الفاضل بعد دراسته لهذين النصين السابقين إلى أن مصطلح السواد ليس مصطلح ابن خالويه ، وأن ابن خالويه يعرف كيف يختار الألفاظ ليعلق على قراءات ابن عامر ، وأنه لا يمثل كما مثل صاحب الحجة ، وأن عبارته خالية من التناقض مستقيمة ، أما عبارة صاحب الحجة فمتناقضة في رأيه : ((أما عبارة صاحب الحجة فلم تسلم من آثار هذه الشبهة ، فبعد أن قال : ((.... فدخول الألف واللام عليه محال))عاد فقال : ((.... والحجة له أن العرب قد تجعلها نكرة في قولهم : (لَدُنْ غُدْوَة) كما يقولون (عشرون درهما) ولعل الفرق بين النصين من حيث سبك الأسلوب ، وقوة إحكامه واضح ظاهر فشتان ما بين الأسلوبين وما بين صاحبهما من التباين في القدرة على الإحاطة بالمسائل وإحكام التعبير عنها))[3] .

---

(١) القراءات ، لوحة : ١١٠

(٢) الحجة في القراءات السبع : ١١٥

(٣) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ م ٤٨ ص:١٧ .

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

ومصطلح السواد الذي يطالعنا في الحجة صحيح أنّه لم يطالعنا في مؤلف آخر من مؤلفاته ، ولعلنا لا نستطيع اتخاذه دليلا ننفي به نسبة الحجة عن ابن خالويه ، لأنه نفسه لم يلتزم مصطلحا واحدا في مؤلفاته ، فمصطلح النسق يشيع في إعراب ثلاثين سورة ، ويكاد مصطلح العطف يكون محرما عليه في هذا المؤلف، ولكنه يطالعنا في القراءات بالعطف والنسق معا ، والقول نفسه في شرح مقصورة شيخه ابن دريد (١). ولعلّ ما يرجح أنْ يكون ابن خالويه قد استعمل هذا المصطلح شيوع المصطلح نفسه في مؤلفات غيره من القدامى كابن النحاس مثلا : ((من أعظم القول أنْ يقال فيما قرأت به الجماعة وقع في السواد المنقول عن الصحابة الذين أخذوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أجود أو أخير ، والقراءات جميعها نقلتها الجماعة عن الجماعة)) (٢).

وأما كون ابن خالويه لا يعرف قدر ابن عامر في كتاب الحجة فهي مسألة تطالعنا في القراءات ايضا ، اذ يبدو هجومه عليه اشد واقسى ، فيسم قراءته احيانا بأنها ضعيفة جدا (٣).

وأما التناقض بين النصين اللذين سبقا فيتراءى لي في كتاب القراءات نفسه ، لنستمع إليه في احتجاجه للقراءة نفسها في موضع آخر غير الذي نقله الأستاذ الفاضل : ((وقوله تعالى : (بالغَداةِ والعَشِيّ) (٤) قرأ ابن عامر (بالغُدْوَةِ والعَشِيّ) والباقون (بالغَداةِ) لأن غداة نكرة ، وتعرّف بالألف واللام و (غُدْوة) معرفة بغير ألف ولام ، فلا يجوز دخول تعريف على تعريف كما لا يقال : مررت بالزيد ، قال الشاعر : (٥)

هذا مُقامُ قَدَمَيْ رَبَاح (٦) غُدْوَةً حتى دلَكَت بَراح

فلم ينوّن غُدْوة لإنّها معرفة مؤنثة ، فقال النحويون : لا وجه لقراءة

---

(١) انظر في هذه المسألة مصطلحه النحوي : ٣٠٩- ٣١٥

(٢) إعراب القرآن ، ورقة : ٢٦٤ ، نقلا عن البحث اللغوي عند العرب : ٦

(٣) انظر موقفه من القراءات : ٣٥٦- ٣٧١ ، ٤٤٨- ٤٧٢

(٤) الأنعام : ٥٢ ، الكهف : ٢٨

(٥) نسبه ابن دريد في الجمهرة ١ : ٢١٨ إلى راجز يصف رجلا استقى للإبل إلى أنْ غابت الشمس . ونسب ابن منظور إنشاده إلى قطرب ، انظر اللسان وتاج العروس والصحاح (ربح) .

(٦) ويروى البيت أيضا :
هذا مكان قَدَمَيْ رَبَاح ذَبّب حتى دلكت بَراح
انظر لسان العرب وتاج العروس (ربح) . . وانظر مجالس ثعلب : ٢٠٨ .

ابن عامر ، ولها عندى وجهان ، أحدهما : أن غدوه تنصبها العرب مع لدن فقط يقولون : (لدن غدوةً) تشبيها (بعشرين درهما) ، فلما أشبهت المنكور دخلتها الألف واللام. والوجه الثانى أن العرب قد تجمع الغدوه غدواً ومثله تمره وتمر فلما قال الله تعالى : (بالغدو والآصال) (١) قرأ ابن عامر (بالغُدْوَة والعَشِى) وفيها وجه ثالث ، وهو أشبهها بالصواب ، أن العرب تدخل الألف واللام ليزدوج الكلام كما قال الشاعر (٢) :

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا ... شديداً بأعباء الخلافة كاهلُه

فأدخل الألف واللام فى (اليزيد) لما جاور الوليد ، فلذلك ابن عامر أدخل الألف واللام فى (الغدوة) لما جاور (العَشِىّ) (٣) ....

ألا تلمح فى هذيه النصبين المقتبسين من كتابه القراءات أن ابن خالويه غير من موقفه ، لانه يطالعنا فى النص الذى استشهد به الأستاذ الفاضل بالقول : ((وإنما لم يكن ذلك الوجه لأن غداة نكره ، وغدوه معرفه ...)) ، وفى النص الذى اقتبسته يطالعنا بقوله : ((... فقال النحويون : لا وجه لقراءة ابن عامر)) . ولعله غيّر موقفه فى الحجة الذى اختصره من القراءات ، ألم يحتج لقراءة نافع (٤) بهمز الياء فى كتابه القراءات (٥) ؟ لقوله تعالى : (وجعلنا لكم فيها معايش) ولكنه يطالعنا فى اعراب ثلاثين سوره (٦) بتليينها .

لتمعن يا أخى معى فى قراءه النص الذى اقتبسته ، ألا تلمح التناقض الذى وسمت به ابن خالد المزعوم فى الحجه : ((وغدوه معرفه بغير ألف ولام ، فلا يجوز دخول تعريف على تعريف...)) ثم عاد وقال : ((ولها عندى وجهان..)) .

ولعلى لا ألمح الفرق الذى أشار اليه بين الأسلوبين فى النصين اللذين اقتبسهما الأستاذ الفاضل من حيث السبك وقوة الإحكام ظاهرا ، وان طالعنا فى بعض المواقف شىء من ذلك فلعله يرجع إلى تعمد الاختصار والايجاز .

---

(١) الأعراف : ٢٠٥ ، الرعد : ١٥ ، النور : ٣٦

(٢) هو ابن ميادة . انظر الانصاف فى مسائل الخلاف ١ : ٣١٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٨ ، وشرح شواهد المغنى ١ : ١٦٤ .

(٣) القراءات ، لوحه : ٢٧١ — ٢٧٢ .

(٤) الأعراف : ١٠

(٥) انظر لوحة : ١٢٣ — ١٢٤ .
وانظر فى هذه القراءه موقفه من القراءات : ٥٨، ١١٨، ٣٥٧، ٣٧٠، ٤٦٢

(٦) انظر الصفحه : ٤٩ .

٦٠ من أين أخذ صاحب الحجة ألفاظه ؟

ذهب الأستاذ الفاضل إلى أنّه أخذها عن الفاظ القدماء وعللهم دون أن يصرح بأسمائهم ، ويرى أنّ معظم كتاب الحجة منقول من كتاب القراءات ، ((ترجم صاحب الحجة عن ألفاظ القدماء وعللهم ، ولكنه لم يصرح باسم واحد منهم ، والحق أنّ من اليسير على من يقارن ما جاء في الحجة بنصوص كتاب ابن خالويه (القراءات) أنْ يتبين أنّ معظم ألفاظ كتاب الحجة وعلله منقول عن هذا الكتاب ، وأظن أنّ مما يسرّ لصاحب الحجة الأخذ من كتاب ابن خالويه أنّه عرّفه بعنوانه كاملا : كتاب إعراب القراءات السبع وعللها ، فسارع إلى الأخذ منه ما وسعه إذْ وجده نصا في الغرض الذي أراد أنْ يؤلف فيه .....)) (١).

لعلي لا أدري ما الذي عناه الأستاذ بقوله : ((وترجم صاحب الحجة عن ألفاظ القدماء وعللهم ، ولكنه لم يصرح باسم واحد منهم)) فان كان ما يعنيه بالقدماء سيبويه (٢) والكسائي (٣)، والمبرد (٤) والزجاج (٥) والفراء وغيرهم فالحجة يطالعنا بمثل هذه الأعلام .

٧٠ من أي نسخ القراءات أخذ صاحب الحجة؟

لقد انتهى الأستاذ بعد جولة في كتب القراءات بحثا عن قراءة قوله تعالى : (فله عشرُ أمثالها)(٧) بالتنوين ونصب الأمثال إلى ما يلي : ((بناء على ما تقدم أكاد أجزم أنّ تشكيل لام (أمثالها) بالفتح في كتاب ابن خالويه (القراءات) كان من سهو ناسخ مخطوطته اليتيمة ، ولعل ابن خالد مؤلف كتاب الحجة ، وقع على هذه العبارة المحرّفة فتلقفها من غير أنْ يتبين أنّ الصواب رفع اللام ، ثم أضافها إلى كتابه

---

(١) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣ م ٤٨ : ١٧ ـ ١٨

(٢) انظر الحجة في القراءات السبع : ٥٤ ـ ٥٥ ، ٨٣

(٣) انظر المصدر نفسه : ٤٧ ، ٧١ ، ١٦٨ ، ٢٠١ ، ٢٠١ ، ٢٣٧ ، ٣٤٣ .

(٤) انظر المصدر نفسه : ١٤٠ ، ١٥٩ ، ٣١٨ ، ٣٨٥ ،

(٥) انظر المصدر نفسه : ١٤٠

(٦) انظر المصدر نفسه : ٦٠ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١٥٩ .
انظر في هذه المسألة مصادر الحجة : ١٣٦

(٧) الأنعام : ١٦٠ .

وهو في الاحتجاج للقراء السبعة مع أنّ تنوين راء (عشر) من الشواذ ! ولعلّ الذي أغرى ابن خالد صاحب الحجة أنّ ابن خالويه لم يفرق بين الشاذ وغير الشاذ عندما ذكر المائة والخمسين حرفا ضمن إعرابه قراءات سورة التوبة في كتابه ذي العنوان (إعراب القراءات السبع وعللها) والذي اشتهر بالقراءات ..... ولعلّ نقل صاحب كتاب الحجة نصوص الكتب من غير أنْ يتبينها هو السبب في عجزي عن العثور على ترجمته بين تراجم المشتغلين بعلوم القرآن واللغة، ولقد جهدت في محاولة ذلك . وإذا صحّ ما ظننته من أنّ صاحب كتاب الحجة نقل ما يسمى قراءة (التنوين ونصب الأمثال) من النص المحرف لمخطوطة مراد ملاّ من كتاب القراءات أصبحت في شك مريب من تاريخ مخطوطة كتاب الحجة وهو ٤٩٦ هـ لأنّ مخطوطة مراد ملاّ كان الفراغ من نسخها في يوم السبت وقت صلاة الضحى في آخر شهر ذي القعدة من شهور سنة ستمائة، ويزيدني شكا في ذلك أنّ مخطوطة الحجة في قراءات الأئمة اليتيمة ظاهرة الحداثة)) [1]. واعتمد أيضا في نفي القراءة السابقة عن مؤلف ابن خالويه (القراءات) على أنّ كتابه البديع في القراءات السبع مضافا إليها قراءة يعقوب وحواشيه لم يحو هذه القراءة [2].

لعلي لا أوافق الاستاذ الفاضل فيما مرّ، هل ناسخ القراءات أخطأ في هذا الموضع فقط ؟ ! هل عدم وجود مسألة في كتاب يدل على فقدانها في كتبه الأخرى ؟ هل وقف الأستاذ الفاضل على تاريخ تأليف البديع وحواشيه ؟ !، ألم يشر ابن خالويه إليه وإلى غيره من مؤلفاته الأخرى في القراءات [3] ؟ ! ألم يكن للمراحل الزمنية التي مرّ بها ابن خالويه أثر في تآليفه ؟ ألم يغير رأيه في قراءة (معائش) [4] كما مرّ ؟ أوصلت إلينا مؤلفاته جميعها حتى نستطيع القطع في هذه المسألة ؟ ! ألم يشهد أبو حيان النحوي كما مرّ بقدرة ابن خالويه في استقصائه القراءات وجمعها ؟ ! .

تلك تساؤلات تجعلني أرفض ما نسبه الأستاذ إلى مؤلف الحجة، ولعلي لا أوافقه في أنّ مخطوطة الحجة منسوخة من مخطوطة القراءات التي نسخت عام (٦٠٠ هـ)،

---

(١) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق ج ٣ م ٤٨ ص: ٢٥ - ٢٦

(١) المصدر نفسه ج ٣ م ٤٨ ص: ٢٢

(٣) سيأتي الحديث عن هذه المسألة بالتفصيل : ١٥١ - ١٦٤

(٤) الأعراف : ١٠

لأن الحجة قد نسخت عام (٤٩٦هـ) بشهادة عالمين من علماء التحقيق ، الأستاذ عبدالسلام هارون ، والأستاذ عبدالستار فراج ، وهما من هما في هذا الميدان .

ومما يزيد ني ثقه في هذه المسأله أن هناك مسائل اختلفت عن مثيلاتها في القراءات ، ومن ذلك ما طالعنا به كتاب الحجه من نسبة سقوط التاء الأولى في قوله تعالى : (تظاهرون) [1] إلى سيبويه ، وسقوط التاء الثانيه إلى هشام : ((فإن قيل فأى التائين ساقط؟ فقل : قال سيبويه : الساقط الأول ، وقال هشام : الثانى ، وقال الفراء : إحداهما بغير تعيينها ولكل حجة ودليل)) [2] . ولكن ابن خالويه في القراءات نسب سقوط الأولى إلى هشام وسقوط الثانيه إلى سيبويه : ((قال سيبويه رضى الله عنه : المحذوفه الثانيه ، وقال هشام : الأولى ، وقال الفراء : لا تبالى أيهما حذفت)) [3] ، أما سيبويه فذهب إلى أن السا قط التاء الأصليه وهى الثانيه وأما هشام فذهب إلى أن السا قط التاء الأولى [4] .

ومن ذلك أيضا أن كتاب القراءات طالعنا بوصف الصاد صوتا مجهورا : ((وقرأ الباقون (الصراط) [5] بالصاد ، وإنما قلبوا السين صادا لأن السين مهموسه والصاد مجهوره ، وهى من حروف الإطباق . . . إلا حمزه فانه يشم الصاد زايا وذلك أن الزاى تؤاخى السين في الصفير وتؤاخى الصاد في الجهر)) [6] ولعل هذا الخطأ يرجع الى سهو ناسخ القراءات ، ولو كان كتاب الحجه منسوخا من هذا المؤلف على قول الأستاذ الفاضل لطالعنا الخطأ نفسه لأنه يؤكد أن معظم ألفاظه منقوله منه : ((والحجه لمن قرأ بالصاد : أنه أبدلها من السين لتواخى السين في الهمس والصفير ، وتواخى الطاء في الاطباق . . .)) [7] .

---

(١) البقره : ٥٨

(٢) الحجه في القراءات السبع : ٦٠—٦١

(٣) القراءات ، لوحة : ٨٧

(٤) انظر في هذه المسأله ، الانصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٦٤٨ ، والبيان في غريب اعراب القرآن ١ : ١٠٤ ، وشرح الاشمونى على ألفية ابن مالك ٣ : ٨٩٥

(٥) الفاتحه : ٦

(٦) القراءات ، لوحه : ٣٤— ٣٥

(٧) الحجه في القراءات السبع : ٣٩ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

٠٨ الزبيدي وابن خالويه :

ذهب الأستاذ الفاضل إلى أن الزبيدي في نسبته كتاب الحجة إلى ابن خالويه واهم لأنه لم يعرفه كما كان ينبغي له : ((ويبدو لي أن سبب ذلك يرجع إلى أن الزبيدي لم يعرف ابن خالويه كما كان ينبغي له ، ويقوي ما أزعم أن الزبيدي نص في مصادره على فصيح ثعلب وشروحه الثلاثة لأبي جعفر اللبلي ، وابن درستويه ، والتدميري ، ولم يعتمد شرح الفصيح لابن خالويه ، ولو اطلع عليه لفعل ، ولقد قبس الزبيدي بعض نصوص كتاب ليس لابن خالويه ، واقتضته أمانته ألا يذكره في مصادره ، وغالب ظني أنه لم يعاين الكتاب ، وإنما نقل من كتاب المزهر للسيوطي ، ولو عاين الزبيدي مجلدات كتاب ليس الخمسة لنثر ذخائرها في معجمه ، ولو اطلع الزبيدي على شرح مقصورة ابن دريد ، وإعراب القراءات السبع وعللها ، وإعراب ثلاثين سورة ، وغيرها من مؤلفات الحسين بن أحمد بن خالويه لاتخذها مصادر لمعجمه ، ولربما تولى هو نفسه نفي نسبة كتاب الحجة في قراءات الأئمة عن ابن خالويه)) (١).

لعل الأحكام العلمية تتطلب تريثا وتأملا ومعايشة لتلك المظان التي نستقيها منها ، كما أن الاستفسار من ذوي الشأن والاختصاص ليس دليلا قاطعا على ما يصدر من أحكام (٢). فالقول بأن الزبيدي لم يعرف ابن خالويه كما ينبغي له مردود ، أنشك فيمن يقول : ((٠٠٠٠ وقد راجعت أكثر من خمسين نسخة من الصحاح فلم أره ذكر غير الثلاثة)) (٣)، ومسألة أخرى أود أن أعرضها على الاستاذ الفاضل ، هل تصفحت مقدمة تاج العروس؟ ! ألم تقرأ قول الزبيدي فيها : ((٠٠٠٠ وغير ذلك من الكتب والأجزاء في الفنون المختلفة مما يطول على الناظر استقصاءها ويصعب على العاد إحصاءها)) (٤).

وجولة فاحصة في (تاج العروس) (٥) تعكس صدق كلام الزبيدي ، إذ نقل عن تذكرة أبي علي الفارسي (٦)، وحجته (٧)، ومن المقصور والممدود

---

(١) فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ م ٤٨ ص: ٢٧

(٢) يقول الاستاذ صبحي عبد المنعم إن الأستاذ عبد الستار فراج أرشده إلى بعض نصوص الزبيدي في نقله عن ابن خالويه في (ليس) من مزهر السيوطي .

(٣) تاج العروس ٨ : ٣٤٣ (عبد)

(٤) تاج العروس ١ : ٩

(٥) الاجزاء الثلاثة عشر من التراث العربي

(٦) انظر المصدر نفسه ٣ : ٤١٣ ، ٤: ٤٧٠ ، ٥٧٨ ، ٣ : ٣٠٦ .

(٧) انظر المصدر نفسه ٥ : ١٤٨ ، ٩ : ٦٧ .

لابن الانبارى (١) ،وهى مؤلفات لم يدونها فيثبت مراجعه ،وكُتُبٌ أخرى يطول بنا الوقت لو شرعنا باستقصائها . أمّا ما يتعلق بابن خالويه فلقد نقل عنه اكثر من خمسين نقلا فى ثلاثة عشر جزءا (٢) .

ويطالعنا الزَّبيْدى بنقله من شرح الفصيح لابن خالويه وليس كما زعم الأستاذ الفاضل : ((وقال ابن خالويه فى شرح الفصيح : الصواب أن تقول : غَلِتَ فى الحساب ،وفى سائر الأشياء : غَلِط. وقال اللبلى فى شرحه : قد حكى أبو جعفر الدينورى فى كتاب إصلاح المنطق أنّه يقال : غَلِت فى الحساب غَلَتاً ، وغَلِطَ فى القول غَلَطاً . . .)) (٣) . وجاء فى موضع آخر قوله : ((وقال ابن قتيبه فى أدب الكاتب الحَفَر بالتحريك لغة ردية ،أو الحَفَر فى الأسنان : صفرة تعلوها . نقله ابن خالويه فى شرح الفصيح وابن دريد فى الجمهره)) (٤) . وهذان النقلان لم يطالعنا بهما السيوطى فى مزهره مما ينفى ما وسم به الأستاذ الفاضل الزبيدى فى تاجه .

وينقل الزبيدى من كتاب (ليس فى كلام العرب) نقولا كثيره ،منها ما هو موجود فى المزهر ،ومنها ما هو موجود فى لسان العرب ،ومنها ماليس موجودا فيهما ؛ ((وفى لسان العرب: ومما جاء فيه أَفْعَل فهو مُفْعَل أَسْهَب فهو مُسْهَب ،وألفج فهو مُلْفَج ،وأحْصَن فهو مُحْصَن ،فهذه الثلاثه جاءت بالفتح . حكاه القاضى أبو بكر بن العربى فى ترتيب الرحلة وابن دريد فى الجمهره ،وابن الاعرابى فى النوادر

---

(١) انظر تاج العروس ٥ : ٣٣٤

(٢) الى آخر باب الراء
انظر فى ذلك :
١ : ١٣٨ ، ١٤٦ ، ٥١٨
٢ : ٣١٥ ، ٣٦١
٣ : ٧٩ ، ٢٢٧ ، ٣٥٠
٤ : ١٨٩ ، ٢٦٢
٥ : ١٨ — ١٩ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٣٢ ، ٤٥٣
٦ : ٩٠ ، ١٧٣ ، ٢٢٥ ، ٤٩٧ ، ٥٥٨
٧ : ١٣٨ ، ٢٢٣ ، ٣٨١ ، ٤٤٠
٨ : ٩ ، ٢٥٣ ، ٤٧٠
٩ : ٤٤ ، ٥٨
١٠ : ٢١٩ ، ٥٤٥ .
١١ : ٣٨ ، ١١٠ ، ٢٢٦
١٣ : ١٢٧ ، ٢٩٠ ، ٤٦٨

(٣) تاج العروس ٥ : ١٨ — ١ (

(٤) المصدر نفسه ، ١١ : ٦ ،

ومثله في كتاب ليس لابن خالويه ، إلاّ أنه قال : وأَسْهَبَ فهو مُسْهِب : بالـــــع، هذا قول ابن دريد . وقال ثعلب : أَسْهَبَ فهو مُسْهِب في الكلام . قال : ورجـدت بعد سبعين سنة حرفا رابعا وهو : أَجْرَشت الابل : سمنت فهي مُجْرَشة)) (١). وطالعنا هذا النص بكامله في المزهر (٢).

ونقل الزبيدي نصا منه لم يطالعني في المزهر أو اللسان ، وهو : ((قـال المفضل : العرب تقول للمِخْوَص (المِجْدَح) والمِزْهَف والنَّبّاج ، للسويق وغيره . وفـي كتاب ليس لابن خالويه ، يقال : نَبجت اللبن الحليب : إذا جدحته بعود في طرفه شِبْهُ فَلكة حتى يكرفيء ويصير ثُمالاً فيؤكل به التمر يُجْتَحَفُ اجتحافا . قال : ولا يَفْعَلُ ذلك أحد من العرب إلاّ بنوا أَسِد . يقال : لبن نَبيج ومنبوج ، واسم ما يُنْبَجُ به النَّبّاجة)) (٣) . وعندما ينقل الزبيدي النص عن أحد شيوخه يصرح بذلك : ((ونقل شيخنا عن ابن خالويه في كتاب ليس ما نصه : ليس في القرآن بعدُ بمعنى قبل إلاّ حرف واحد ....)) (٤).

وينقل عن مؤلفات أُخرى له كالأفق الذي ذكره ابن خالويه في (ليس) (٥) : ((وحكى أبوعمرو : سيف حُدّاد مثل رُمّان . وقد حكاهما ابن سيده في المحكم وابن خالويه في الأفق واللبلي في شن الفصيح ، وقال ابن خالويه : ولا يقـــال سكين حادّ ، وهو قول الأكثر ، قال شيخنا : وجوّزه بعض قياسا)) (٦) . وينقـــل عن كتاب آخر وهو الجامع (٧).

ويطالعنا بنص نقله من شرحه لمقصورة ابن دريد ذكره السيوطـــــي في المزهر (٨).

---

(١) تاج العروس ٣ : ٧٩

(١) انظر ٢ : ٨٠ وانظر ليس في كلام العرب : ٥

(٣) تاج العروس ٦ : ٢٣٥

(٤) تاج العروس ٧ : ٤٤٠

(٥) انظر صفحة : ٧٣

(٦) تاج العروس ٨ : ٩

(٧) انظر المصدر نفسه ٧ : ١٣٨

(٨) انظر المصدر نفسه ٨ : ٢١٣ ـ ٢١٤ وانظر المزهر في علوم اللغة ٢ : ٩٠

ولا أُريد أَن أَمضي في استقصاء ما نقله من مؤلفات ابن خالويه لأنهـا نقول كثيرة ، ولعلي لم أعثر على ما نقله الزبيدي من حجة ابن خالويه في الثلاثـة عشر جزءا المطبوعة ، ولا يعني ذلك أنّه لم يعتمد على الحجة كمصدر من مصـادره ، وغالب ظني أنّ ما تبقى من التاج غير مطبوع كفيل بتأييد اعتماده عليه .

وبعد ، فلعلي استطعت أن أُزيح غبارا عابرا كاد يطمس أحد مؤلفـات ابن خالويه معتمدا على أدلة عثرت عليها من خلال معايشتي لمؤلفاته ، مطبوعهـا ومخطوطها . ونسأل الله أن يوفقنا إلى أدلة أخرى تؤكد نسبته إليه . وما التوفيق إلا من عنده .

① دخول الواو واجب
② لأنها تعود على تام

مصادره فيـــــه

لعلّ مصادر ابن خالويه في (القراءات) تكاد تكون هي نفسها فـــي الحجة لا سيما الفرق بينهما لا يتعدى الاستغناء عن الأسانيد ونسبة القراءات إلى القارئين بها ، ومن بعض المسائل اللغوية والتفسيرية وغيرها . لذلك تطالعنـــا نقول من معاني القرآن للفراء ، من ذلك : ((.... فان قيل : لم بني الآن وفيـــه الألف واللام ؟ فقل : قال الفراء : أصله (أوان) ، فقلبوا الواو ألفا فصار (آ ان) ثم دخلت اللام على مبني فلم تغيره عن بنائه واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

فإنّي حُبِسْتُ اليوم والأمس قبلـــــه ببابِك حتى كادت الشمس تغـــرُب

فأدخل الألف واللام على مبني ، ولم يغيره عن بنائه ....)) [1] . ومـــــن ذلك أيضا : ((قوله تعالى : (فَرَضْناها) [2] يقرأ بتشديد الراء وتخفيفها ، فالحجة لمن شدد . أنّه أراد بيّنّاها وفصّلناها ، وأحكمناها فرائض مختلفة ، وآدابا مستحسنة قال الفراء : وجه التشديد : أنّ الله تعالى فرضه عليه وعلى من يجيء بعـــده ، فلذلك شدّده .....)) [3] ، وجاء في معاني القرآن حول ذلك ما يلـــي : ((ومن قال (فَرَضْناها) يقول : أنزلنا فيها فرائض مختلفة . وإن شاء : فرّضناهـــا

---

(١) الحجة في القراءات السبع : ١٥٩ . وانظر في ذلك معاني القرآن العظيم ١ : ٤٦٧ ـ ٤٦٨ نقلا عن محقق حجة ابن خالويه ، حاشية (٥) من الصفحة ١٥٩ .

(٢) النور : ١

(٣) الحجة في القراءات السبع : ٢٣٤ ـ ٢٣٥

عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة . والتمديد لهذين الوجهين حســـن))[١].

ومن مصادره كتاب سيبويه الذى ينقل منه في المسائل اللغوية والنحوية ، من ذلك : ((قوله تعالى : (وَتُخْرِجُ الحَيَّ من الميت)[٢] يقرأ بالتشديد ، والتخفيف فالحجة لمن شدد : أن الأصل فيه عند الفراء (حَيْوِيت) وعند سيبويه (حَيِوت) فلما اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ، فالتشديد لأجل ذلك ومثله : ميِّت ، وسيِّد ، وهيِّن وليِّن .....)) [٣].

ومنها مقتضب أبي العباس المبرد ، من ذلك قوله : ((.... ومثلـــه قوله تعالى في صفة الجنة : (وفتحت أبوابها)[٤] لأن للجنة ثمانية أبواب ، وللنـــار سبعة ، وقال أبو العباس المبرد : إذا وجدت حرفا في كتاب الله عز وجل له معنـــى حسن لم أجعله ملغى ولكن التقدير : حتى إذا جاءوها وصلوا ، وفتحت لهم ابوابها ، ومثله : (فلما أسلما وتلّه للجبين)[٥] معناه - والله أعلم - أذعن لأمر الله))[٦].

ومنها كتاب السبعة لشيخه ابن مجاهد ، لأنه ينقل منه في القـــراءات نقولا مفرطة ، والحجة مختصر من القراءات كما أكدت فيما مضى ، وأكتفي باقتباس نـــص واحد لأدلل به على ذلك وهو قوله : ((قوله تعالى : (أن رآه استغنى)[٧] يقرأ بفتح الراء وكسر الهمزة ، وبكسرهما معا ، وبفتحهما معا ، وقد ذكرت علل ذلك قبـــل ، وروى قنبل هذا الحرف عن ابن كثير (رأه) بفتح الراء والهمزة ، والقصر على وزن (رَعَه).

---

(١) معاني القرآن ٢ : ٣٤٤

(١) آل عمران : ٢٧

(٣) الحجة في القراءات السبع : ٨٣ . وانظر في ذلك الكتاب ٢ : ٣٧١ - ٣٧٢

(٤) الزمر : ٧٣

(٥) الصافات : ١٠٣

(٦) الحجة في القراءات السبع : ٣٨٥ - ٣٨٦ . انظر قريبا من ذلك المقتضب ٢ : ٨٠

(٧) العلق : ٧

قال ابن مجاهد : لا وجه له ٠٠٠٠٠٠٠))[1] . وما مر يطالعنا في كتاب السبعة : ((قرأ ابن كثير فيما قرأت على قنبل : (أَن رَّاه) بغير ألف بعد الهمزة في وزن (رَعَه). وهو غلط لأنّ (رَّاه) مثل رعاه) ممالا وغير ممال)) [2].

أما من اعتمد عليه من مؤلفين لاحقين فلم أقف على نص نُقل منه إلاّ ما طالعنا به صاحب تاج العروس [3] من ذكره في قائمة مصادره . ونقل أبو حيان النحوى [4] قول ابن خالويه في واو الثمانية ، وهو قول يطالعنا في القراءات [5] والحجة [6]، ولعلّ قلة نقول المتأخرين منه لا تقلل من قيمته في ميدان القراءات القرآنية ، لأنه كما يتراءى لي لم يكن متداولا آنذاك ، والقول نفسه مع كتابه القراءات أيضا ، إذ لو توفرا للمتأخرين لطالعتنا نقول متعددة منهما .

منهجه فيه

لقد افتتحه ابن خالويه بمقدمة موجزة رسم فيها خطوط منهجه العامة، إذْ أعلن فيها أنّ مؤلفه يخلو من القراءات الشاذة ، وأنه سينهج فيه نهجا موجزا ، يجمع فيه اعتلالات القدامى واحتجاجاتهم بلفظ بيّن ومقال سهل ليستطيع مريده الوصول إلى ما فيه بيسر وسهولة : ((الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، ومقال الصدق ، صلى الله عليهم أجمعين ، وعلى محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الكرام الطيبين ، الأخيار الطاهرين وبعد ، فاني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في اعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجها لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار ، وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم

---

(١) الحجة في القراءات السبع : ٣٤٥ ـ ٣٤٦ . وانظر النص بتمامه فيما مضى .

(٢) كتاب السبعة : ٦٩٢

(٣) انظر : ١ : ٧

(٤) انظر البحر المحيط ٦ : ١١٤

(٥) انظر القراءات ، لوحة : ٤٧١ ـ ٤٧٢

(٦) انظر الحجة في القراءات السبع : ٢٨٥

في معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم ، معتمد فيه على ذكر القـــراءة المشهورة ، ومنكب عن الروايات الشاذة المنكورة ، وقاصد قصد الإبانة في اقتصـــــار، من غير إطالة ولا إكثار ، محتذيا لمن تقدم في مقالهم ، مترجما عن ألفاظهم واعتلالهم، جامعا ذلك بلفظ بين جذل ، ومقال واضح سهل ، ليقرب على مريده ، وليسهـــــل على مستفيده ، والله الموفق للسداد ، والهادي إلى سبيل الرشاد ، وهو حسبـــي وإليه معاد)) (١).

ويخرج عما طالعنا به في هذه المقدمة ، إذ يذكر فيه بعضا مـــن القراءات الشاذة كقراءة ابن كثير (إذْ تَلَقَّوْنَه) (٢) باظهار الذال وتشديد التـــاء: ((قوله تعالى (إذْ تَلَقَّونه) يقرأ بالادغام والإظهار . فالحجة لمن أدغم مقاربـــة الحرفين في المخرج . والحجة لمن أظهر : أنه أتى به على الأصل ، إلاّ مـــا روى عن ابن كثير من تشديد التاء وإظهار الذال ، وليس ذلك بمختار في النحـــو لجمعه بين ساكنين)) (٣).

وينهج في احتجاجه للقراءات نهجا يعتمد فيه على عدة وجوه ، مـــن ذلك احتجاجه لقراءة قوله تعالى : (نرفعُ درجاتٍ مَنْ نشاءُ) (٤) : ((يقـــرأ بالتنوين ، والإضافة . فالحجة لمن نوّن أنّه نوى التقديم والتأخير فكأنه قال : نرفـــع من نشاء درجاتٍ ، فيكون مَنْ في موضع نصبٍ ، ودرجاتٍ منصوبة على أحد أربعة أوجـــه : إمّا مفعولا ثانيا ، وإمّا بدلا ، وإمّا حالا وإمّا تمييزا .....)) (٥).

ولا يقتصر فيه على الاحتجاج أحيانا بل تدعوه الحاجة إلى توضيـــح مسألة نحوية لها صلة بما يحتج له : ((..... وكل لفظ استفهام ورد في كتاب اللـــه عز وجل فلا يخلو من أحد ستة أوجه : إمّا ان يكون توبيخا ، أوْ تقريرا ، أوْ تعجبـــا ، أو تسوية ، أوْ إيجابا ، أو أمرا ، فاما استفهام صريح فلا يقع من الله تعالى في القـرآن لأنّ المستفهم مستعلم ما ليس عنده ، طالب للخبر من غيره ، والله عالم بالأشيـــاء قبل كونها فالتوبيخ : (أذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكم) (٦) ، والتقرير (أأنتَ قلتَ للنـــاس) (٧)؟

---

(١) الحجة في القراءات السبع : ٣٧ ـ ٣٨

(٢) النور : ١٥

(٣) الحجة في القراءات السبع : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ . انظر في هذه القـــراءة مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ١٠٠

(٤) الأنعام : ٨٣

(٥) الحجة في القراءات السبع : ١١٩

(٦) الأحقاف : ٢٠

(٧) المائدة : ١١٦

والتعجب : (كيف تكفرون بالله) [١]؟ والتسوية : (سواء عليهم أأنذرتهم) [٢] والإيجاب كقوله : (أتجعل فيها من يفسد فيها) [٣]؟ والأمر : (أأسلمتم) [٤]، فعلى هذا يجرى ما في كتاب الله فاعرف مواضعه)) [٥].

ويعرض في كثير من المسائل النحوية أو اللغوية آراء البصريين والكوفيين بأسلوب تشيع فيه السهولة ، وتكثر فيه الشواهد القرآنية والشعرية [٦]، وقد يأتي برأى جديد كما طالعنا في أدلة توثيقه . [٧]

وينهج النهج الذى أشار إليه في المقدمة من حيث الإيجاز المفهم ، إذ جاء احتجاجه للقراءات بأسلوب سهل لا يحتاج إلى إعمال الذهن ، فألفاظه واضحة تكتنفها السهولة ، وتخلو من التعقيد والغموض، وهي على قدر المعاني تلقى قبولا حسنا من مريديه ومن قراء العربية في العصور اللاحقة لأنه قصد الإفهام والإفادة . وهو يمضي منهجه هذا تاما ، إذ يقف على دقائقه وذلك لما يطالعنا به من إحالات : ((كل ما كان من أواخر آى هذه السورة فإنه يقرأ بالإمالة والتفخيم وبين ذلك ، وقد ذكرت علله فيما سلف)) [٨]، ولكنه قد يلجأ أحيانا إلى التكرار بإعادة ما سبق ذكره

---

(١) البقرة : ٢٨

(٢) البقرة : ٦

(٣) البقرة : ٣٠

(٤) آل عمران : ٢٠

(٥) الحجة في القراءات السبع : ٣٠١

(٦) انظر الحجة في القراءات السبع : ٩٤ ـ ٩٥ ، اذ عرض رأى الفريقين في جواز عطف الظاهر على المكنى المخفوض .

(٧) انظر الحجة في القراءات السبع : ٢١٧ ـ ٢١٨ ، اذ أجاز دخول لام الابتداء على خبره .
وانظر في ذلك ما مضى :١٠٨

(٨) الحجة في القراءات السبع : ٣٤٠ . انظر في ذلك ص: ٤٨ ، عند قوله تعالى : (بالهدى فما ربحت تجارتهم) .

رغم معرفته لذلك : ((قوله تعالى : (أوأخطأنا)[١] يقرأ باثبات الهمز وتخفيفه ، وبحذفه ، والتعويض بالالف منه . وقد ذكرت علل الهمز فى إثباته وطرحه والتعويض منه مستقصاه فيما تقدم فأغنى عن إعادته))[٢] . وسأكتفى باستقصاء مثال واحد لهذه الظاهره وهو : ((قوله تعالى : (ماآتيتم بالمعروف)[٣] يقرأ بالمد والقصر ، وهما فعلان ماضيان ، فالحجه لمن مدّ : أنّه من الإعطاء ، ووزنه (أفعَلْتم) ودليله قوله : (إذا سَلّمتم) والتسليم لايكون بإعطاء والحجه لمن قصر : أنه من المجىء ووزنه (فَعَلْتُم) . . . وكل مافى كتاب الله من (آتى) بالمد فمعناه الاعطاء ، وما كان فيه من (أتى) بالقصر فهو من المجىء إلاّ قوله : (فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)[٤] أى أخذهم ، وقوله فى قراءة لمجاهد : (آتيناهم بها)[٥] جازينا بها وقوله (كم آتيناهم من آية)[٦] أى أريناهم))[٧] . وقد كرر ابن خالويه الاحتجاج نفسه فى مواضع لا تقل عن ستة[٨] . ولعله اضطر لإعادته لوجود آيات تقرأ كما قرئت تلك الآيه السابقه .

ومن اللوازم اللفظيه التى يتسم بها أسلوبه إكثاره من استعمال لفظة (هاهنا) التى تطالع القارئ مرات كثيره يصعب حصرها[٩] .

---

(١) البقره : ٢٨٦
(٢) الحجه فى القراءات السبع : ٨١
(٣) البقره : ٢٣٢
(٤) الحشر : ٢
(٥) الأنبياء : ٤٧
(٦) البقره : ٢١١
(٧) الحجه فى القراءات السبع : ٧٣—٧٤
(٨) انظر الصفحات : ٢٠٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ١٦٤ ، ٣١٥ .
(٩) انظر الصفحات : ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ .

وقد يذكر في شاهده الشعرى الروايات المختلفة كقول الشاعر (١):

كأنّ رماحَهم أشطانُ بئـــــــــرٍ بعيدٍ بين جالبها شطـــونُ

الذي ذكر أنه قد يروى (جَرورُ) (٢). وقد يضرب فيه لفظة ليدل على أهميتهـــا كإعرابه لفظة (اليدا) في قول الشاعر (٣):

يا ربّ ساربات لن يُوَسّـــــــدا تحت ذِراعِ المَنْسِ أوْكفّ اليَـــدا

: ((واختلف النحويون في نصب اليدا) ها هنا فقال قوم : موضعها خفض ولكـــن الشاعر أتى بها على الأصل ، ....)) (٤).

ويهمل ابن خالويه في مؤلفه بإسناد الأحاديث النبويـــــــة والقراءات القرآنية كما مرّ حبا في الإيجاز والاختصار .

---

(١) انظر لسان العرب (بين) .. وفيه يروى البيت على النحو التالـــي :

كأنّ رماحَنا أشطانُ بِئـــــرٍ بَعيدٍ بين جالبها جَـــــرُورِ

(٢) انظر الحجة في القراءات السبع : ١٣٠

(٣) انظر شرح المفصل ٤ : ١٥٣ . وحاشية الصبان على الأشمونـــــي ١ : ٣٧

وانظر حاشية (٦) من الصفحة (١٧٩) من كتاب الحجة في القـــــراءات السبع .

(٤) الحجة في القراءات السبع : ١٧٩ ــ ١٨٠ وانظر مثالا آخر ص: ١٣٨ .

لقد ناقش الأستاذ عبد الفتاح شلبي هذه المسألة ، فحاول أن يخرج بصورة حيه واضحة لكلا المؤلفين في مؤلفيهما ، وسأعرض ما وجده من وفاق أو خلاف بينهما محاولا الرد عليه إذا لم تكن مقارنته متسمة بالعدل .

١ . رسم المصحف :

لقد ذكر الأستاذ الفاضل أن ابن خالويه من أنصار الاحتجاج به ليبعد القراءات عن الضعف أو الشذوذ ، وهذا الموقف يقربه في رأيه من أهل الأثر (١) ، صحيح أنه كان من أنصار هؤلاء لأنه يلتمس العلل ليدافع عن القراءات القرآنية ، ولكنه أحجم عن الاعتماد عليه في اتخاذه سببا من أسباب الإمالة او تركها (٢) .

٢ . المنطق والقياس (٣) :

لقد ذكر الأستاذ الفاضل أن ابن خالويه تبدو عنده فلتات قليلات من القياس على عكس أبي علي الفارسي الذي كان من أنصار القياس ومؤيديه (٤) .

٣ . العروض واستغلاله في الاحتجاج (٥) :

صحيح أن ابن خالويه لم يطالعنا بذلك على عكس أبي علي الفارسي ، وغالب ظني أن إهماله لهذه الظاهرة لا يدل على ضعفه ، لأنه كان عالما في الأدب ، شهد له أصحاب التراجم والطبقات كما مر . ومما يؤكد ما أذهب إليه أنه ترك مؤلفا باسم (القوافي) (٦) . ولعل إهماله لهذه الظاهرة يعود إلى أن الاحتجاج للقراءات لا يحتاج حديثا عن مسائل عروضية كالردف والروى والتأسيس ولزوم مالا يلزم .

٤ . الاصطلاحات وتعددها :

ذهب الأستاذ الفاضل إلى أن أبا علي الفارسي أوسع أفقا وأرحب صدرا من ابن خالويه ، وذلك لاستعماله مصطلحات متعددة تطالع القارئ في حجته ، أما ابن خالويه

---

(١) ابوعلي الفارسي : ٣١٤

(٢) انظر القراءات لوحة : ١٣١ - ١٣٣ ، عند قوله تعالى : (من نبأ المرسلين)
انظر في هذه المسألة باب اللغة : ٤١٧-٦٠٦

(٣) انظر أبوعلي الفارسي : ٣١٦

(٤) انظر في موقف ابن خالويه من القياس باب النحو واللغة : ٨٠ - ٤١٦، ٤١٧-٦٠٦

(٥) انظر أبوعلي الفارسي : ٣١٨ - ٣١٩

(٦) سيأتي الحديث عنه فيما بعد : ٧٧

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

فليس كذلك • ويتخذ جانبا واحدا لتأكيد ما يقول ، وهو ما دارني مؤلفيهما من مصطلح للإمالة : ((وعلى سبيل المثال أذكر أن ابن خالويه يلتزم في حديثه عن الأحرف التي وقعت فيها الإمالة من القراء يلتزم قوله : ((يقرأ بالإمالة والتفخيم)) ولكن أبا علي يتحدث عن الإمالة : أسمائها ودرجاتها ، كالكسر والإجناح ، والبطح ، والإضجاع ، والإمالة الشديدة ، وإشباع الامالة ، والقارئ لا يفتح ولا يكسر ، وبين الفتح والكسر ، وبين الكسر والتفخيم ، وبين الإمالة والتفخيم ، ويسمى عدم الإمالة فتحا ، ونصبا ، وتفخيما ، وهكذا يراوح أبوعلي في تعبيره بين الاصطلاحات المختلفة))[1]. ولقد استطعت من خلال معايشتي لمؤلف ابن خالويه أن اقف على مصطلحات للإمالة وعدمها أهملها الاستاذ الفاضل ، منها مصطلح الإمالة والتفخيم وبينهما ، ((قوله تعالى : (في طغيانهم)[2] يقرأ بالامالة والتفخيم وبينهما .....))[3].

ويطالعنا باستعمال الفتح لعدم الامالة : ((فلما اتفقا في المعنى ساوى بينهما في الإمالة ، والحجة لمن فتح : أنه أتى بالكلام على أصل ما بني عليه ، والحجة لمن قرأ بين ذلك ...))[4].

٥ • تدفق أبي علي في إيراد الشواهد ولا شيء من ذلك عند ابن خالوية[5].

يرجع الأستاذ الفاضل ذلك إلى توخي ابن خالويه للإيجاز في هذا المؤلف ، ولعل ما يشهد على ذلك كتابه القراءات الذي تكثر فيه الشواهد [6].

٦ • نسبة القراءات إلى أئمتها عند أبي علي الفارسي وتجاوز ابن خالويه عن ذلك،

لعل ذلك يرجع إلى الإيجاز والاختصار ، لا سيما سلسلة السند الطويلة التي تذهب بالمريد أو الدارس بعيدا ، وتستغرق منه وقتا ، لذلك تعمد حذف أسانيد القراءات والأحاديث النبوية ، ولم ينسب القراءات إلى القارئين بها لأن هدفه من هذا المؤلف جعل الاحتجاج للقراءات مقبولا عند المريدين والمتعلمين •

---

(١) أبوعلي الفارسي : ٣١٩

(٢) البقرة : ١٥

(٣) الحجة في القراءات السبع : ٤٦

(٤) الحجة في القراءات السبع : ٤٧ • وانظر في هذه المسألة باب اللغة ٥٧١-٥٧٣

(٥) انظر أبوعلي الفارسي : ٣١٩

(٦) انظر منهجه في القراءات : ٩٥-١٠٠

٠٧ اللغويات عند كل من الإمامين [١]:

صحيح أنّ أبا علي يتوسع في استخدام مسائل اللغة استخداما واسعا في احتجاجه ، وأن ابن خالويه يضيق بها ذرعا حبا في الإيجاز والاختصار . ولعلّ ما يؤكد مقدرته في ميدان اللغة باشتهاره باللغوي ، وما ترك من مؤلفات لغوية متعددة [٢].

٠٨ اهتمام أبي علي الفارسي بتفسير القرآن وإحجام ابن خالويه عنه :

ولعلّ هذا الاحجام متعمد حبا في الاختصار والإيجاز ، إذْ لو أراد التصدر للتفسير لا بدع لانه كان من المفسرين [٣]، ومن الذين جلسوا لتدريس الحديث في جامع المدينة ببغداد [٤].

٠٩ يستخدم أبو علي الفارسي القرآن استخداما يدعو إلى الدهشة ويدل على اليقظة الذهنية الدقيقة في توجيه الإعراب ، أما ابن خالويه فيسمه الأستاذ الفاضل في هذه المسألة بالسطحية في الاحتجاج : ((.... وهذا قليل من كثير ما أورد في هذا الباب ، وقد نجد شيئا من ذلك عند ابن خالويه ، ولكنه يأتي في قلة نادرة ، تطالعك فتحس كأنها جاءت إليك بعد غيبة طويلة ، فتجد لها في نفسك غربة ؛ لانها وردت عليك بعد انقطاع عنك ، على حين تأتي عند أبي علي في كثرة غامرة أولا ، ثم هي تدل على عمق ويقظة ذهنية ثانيا ، ولا شيء من ذلك تحسه عند ابن خالويه ... وإليك بعض أمثلة لابن خالويه في هذا الباب تحدثك عن طابعه من السطحية في الاحتجاج بآيات الكتاب ، والضعف كذلك ....)) [٥].

ولعلّ الاستاذ الفاضل غالى في ظلم ابن خالويه ، فالشواهد القرآنية ليست نادرة ، فهي تطالع القارئ كثيرا ، ولكنها تجيء بأسلوب توخى فيه ابن خالويه الإيجاز والاختصار ولا أدل على ذلك من قوله : ((قوله تعالى : (الذين يؤمنون) [٦]

---

(١) انظر أبو علي الفارسي : ٣٢٠

(٢) انظر باب اللغة لتقف على إسهامه في كثير من المسائل اللغوية .

(٣) انظر طبقات المفسرين ظهر ورقة ١٦ نقلا عن ابو علي الفارسي : ٣٢١

(٤) انظر ما مضى : ٥٠

(٥) أبو علي الفارسي : ٣٢١

(٦) البقرة : ٣ .

تأصيل | T'aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

يقرأ بالهمز وتركه فيه وفيما ضارعه ، فالحجة لمن همز : أنه أتى بالكلمة على أصلها ، وكمال لفظها ، لأنّ الهمزة حرف صحيح ممدود في حروف المعجم ، والحجة لمن تركه : أنه نحا التخفيف ، فأدرج اللفظ ، وسهل ذلك عليه سكونها وبعد مخرجها ، وكان طرحها في ذلك لا يخل بالكلام ولا يحيل المعنى ، فان كان سكونها علامة للجزم ، أو كان تركها أثقل من الإتيان بها أثبتها لئلا تخرج من لغة إلى أخرى ، كقوله تعالى: (أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ) (١) (إِنْ تبدُ لكم تَسُؤْكم)(٢) ، وكقوله : (تُؤْوِي إليك من تشاء)(٣) ، فإنْ قيل : فان تارك الهمز في (يُؤْمنون) يهمز الكأس، والرأس، والبأس، فقل : هذه أسماء ، والاسم خفيف ، وتلك أفعال ، والفعل ثقيل ، فهمز لما استخفّ وحذف لما استثقل . ومن القراء من يهمز إذا أدرج ولا يهمز إذا وقف ، ويطرح حركة الهمزة على الساكن قبلها ابدا ، فيقرأ إذا وقف (هَوِيلا) (٤) (رأصحاب المشمة)(٥) و (منهن جزا)(٦) ، لأنّ هذه الأحرف في السواد كذلك ، فأما قوله : (هزوا) (٧) (وكفوا) (٨) ، فبالواو ، لانها ثابتة في السواد . ومنهم أيضا من يحذف الهمزات ساكنها أو متحركها ، وينقل الحركة إلى الساكن قبلها فيقرأ (قد أفلح) (٩) (فلن يقبل من أحدهم)(١٠) (١١) . ولعلّ كثرة شواهد أبي علي القرآنية والشعرية ترجع إلى استطراداته المفرطة وخروجه على الغرض الذي من أجله ألف كتابه ، مما يجعل القارئ يضيع في متاهات لا حصر لها .

---

(١) البقرة : ١٠٦

(٢) المائدة : ١٠١

(٣) الاحزاب : ٥١

(٤) الكهف : ٥٨

(٥) الواقعة : ٩٠

(٦) البقرة : ٢٦٠

(٧) البقرة : ٦٧

(٨) الاخلاص : ٤

(٩) المؤمنون : ١

(١٠) آل عمران : ٩١

(١١) الحجة في القراءات السبع : ٤٠ ـ ٤١

أمّا ما استشهد به الأستاذ الفاضل ليدلل على سطحية ابن خالويه وضعفه فيتراءى لي أنّه ليس كذلك، من ذلك قوله : ((وإليك بعض أمثلة لابن خالويه في هذا الباب تحدثك عن طابعه من السطحية في الاحتجاج بآيات الكتاب، والضعف - كذلك - قال : ((قوله تعالى : (قل فيهما إثم كبير) [1] قرئ كبير بدليل قوله : (واثمهما أكبر) ولم يقل أكثر، و (كثير) بدليل قوله : (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) [2])) [3]. وكنت أتمنى من الأستاذ الفاضل أن يكون دقيقا في اقتباس النصوص لئلا يشوه مضمونها، لنستمع إلى ما جاء في الحجة : ((قوله تعالى : (قل فيهما إثم كبير) يقرأ بالياء والثاء . فالحجة لمن قرأ بالياء قوله بعد ذلك : ((واثمهما أكبر من نفعهما) ولم يقل أكثر . والحجة لمن قرأ بالثاء : أنه لما وقع اللفظ على أعداد : وهي الخمرة المشروبة، والميسر، وهو القمار كانت الثاء في ذلك أولى ودليله : قوله تعالى : (ولا أدنى من ذلك ولا اكثر)، ولم يقل : أكبر)) [4].

ولعلي لا ألمح الضعف والسطحية اللذين أشار إليهما الأستاذ الفاضل، فاحتجاجه للقراءة بالباء بقوله تعالى : (واثمهما أكبر من نفعهما) صحيح لأن هذه الآية تتلو ما احتج إليه : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) [5]. وتوخيا للإيجاز طالعنا ابن خالويه بهذا الاختصار الذي يوهم القارئ أنه ذو سطحية وضعف بصر في مسائل الاحتجاج، ولعلّ ما احتج به للقراءة السابقة طالعنا به أبو حيان النحوي فيما بعد : ((وقرأ الباقون بالباء وذلك ظاهر لأن شرب الخمر والقمار ذنبهما من الكبائر)) [6]. والقول نفسه في قراءتها بالثاء : ((ووصف الاثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين فكأنه قيل فيه للناس آثام، أي (لكل [7]) واحد من متعاطيها إثم أو باعتبار ما يترتب على شربها من توالي العقاب وتضعيفه فناسب أن ينعت بالكثرة، أو باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرّمة ....)) [8].

---

(١) البقرة : ٢١٩

(١) المجادلة : ٧

(٣) أبو علي الفارسي : ٢١١

(٤) الحجة في القراءات السبع : ٧٢

(٥) البقرة : ٢١٩

(٦) البحر المحيط ٢ : ١٥٨

(٧) في البحر المحيط (كل) ولعل الصواب ما أثبته

(٨) البحر المحيط ٣ : ١٥٧ - ١٥٨

ومما استدل به على ضعفه وسطحيته قوله : ((ومثال الضعف عند ابن خالويه احتجاجه لقوله تعالى : (فأُمَتِّعُهُ قليلا) [1]، (أمتعه) يقرأ بتشديد التاء وتخفيفها ، فالحجة لمن شدّد تكرير الفعل ومداومته ، ودليله قوله : (ومَتَّعناهم إلى حين) [2]، والحجة لمن خفف أنّ تكرير الفعل لا يكون معه (قليلا)، فلما جاء معه بقليل كان أمتع أولى به من متّع على أنّ أفعل وفعّل يأتيان في الكلام بمعنى واحد كقولك : أكرمت وكرّمت ، ويأتيان والمعنى مختلف كقولك : أفرطت ، وفرّطت ، وتأتي فعلّت لما لا تأتي له أفعلت كقولك : كلمت زيدا ، ولا يقال : أكلمت ، وأجلست زيدا ، ولا يقال : جلّست . فأنت ترى أنه ذكر وجهين للاحتجاج آخرهما لا يستقيم مع الاحتجاج الأول بل هو يسقطه ، والأولى أن يقتصر على قوله : أنّ أفعل وفعّل يأتيان في الكلام بمعنى واحد)) [3].

وكم كنت أتمنى من الأستاذ الفاضل أن يمعن النظر في مقدمة الحجة ومقدمات مؤلفاته الأخرى ليقف على الظروف التي أملى فيها كتبه ، إذ يعلن أنه سينهج نهجا يستطيع به أن يوصل إلى مريديه وطلابه ما في مؤلفاته لاسيما الاحتجاج للقراءات القرآنية ، ومالنا نتناسى أنّ ابن خالويه خشي ألاّ يفرق مريدوه بين هاتين اللفظتين من حيث المعنى الدقيق ، والدليل على ذلك قوله بعد أن انتهى من الاحتجاج : ((..... على أن أفعل وفعّل يأتيان .....)) [4].

ومما استدل به الأستاذ الفاضل أنّ ابن خالويه طلب من مريديه ان يعرفوا أنّ مضارع أنزل هو ينزل : ((وأراه في هذا يفسر الماء بالماء !! وأية دقة في أنّ مضارع أنزل هو : يُنْزِل حتى يدعو إلى معرفتها !!؟)) [5].

وكنت أتمنى من الأستاذ أيضا أن يفرق بين نوعين من التأليف ، نوع توخى فيه مؤلفه السهولة والإيجاز والإفهام ، ونوع تعمد فيه مؤلفه التعقيد والغموض واشاعة المنطق والفلسفة والاستطرادات المملة ، لنستمع إلى قول ابن جني في أسلوب شيخه أبي علي الفارسي في الحجة : ((فان أبا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة

---

(١) البقرة : ١٢٦

(٢) يونس : ٩٨

(٣) أبوعلي الفارسي : ٣٢١ ـ ٣٢٢

(٤) الحجة في القراءات السبع : ٦١

(٥) ابوعلي الفارسي : ٣٢٢

في القراءات ،فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى مايجفو عنه كثير من العلماء)) (١) .
أما ابن خالويه فقد كان من أنصار السهوله واليسر في التأليف كما مرّ. ألا نستطيع أن نعتبر دعوته إلى معرفته من اللوازم اللفظيه ؟ ألم نستعمل كثيرا من العبارات والألفاظ دون غيرها بإفراط في إلقائنا الدروس أو المحاضرات؟ أنعد ذلك ضعفا وسطحيه ؟

١٠ شخصية كلّ :

ذهب الأستاذ الفاضل الى أنّ ابن خالويه غير واضح الشخصيه في مؤلفه لانه لم يتعرض لاقوال الذين سبقوه أو عاصروه ،صحيح أنّه قليل التعرض لآراء القدامى ولعلّ السبب يكمن في أنّه توخى الايجاز فيه (٢) ،اذ يطالعنا في كتابه (القراءات) الذى اختصر منه هذا المؤلف بالنقل عن هؤلاء بافراط .

١١ ويرى الأستاذ الفاضل أنّ ابن خالويه يختلف عن أبى على في تعرضه لمذاهب القراء من حيث الأداء كتعرضه للمد وأدائه والتنوين بغنة وبغيرها ، والوقف في حروف لم يتعرض لها أبو على (٣) .

ويحمل أيضا على موقفه من بعض القراءات القرآنيه بقوله : ((وهكذا تبدو رحابة صدر أبى على التى اعتمدت على سعة علمه بأقوال النحاة والقراء على السواء ، وقد فقد ذلك ابن خالويه على مايبدو في كتابه ، وان كنت في شك مما قررت فاقرأ كيف يعنف ابن خالويه بمخالفة القراء للقياس ، ويضيق صدره بما يقولون ثم انظر كيف يقف أبو على منهم محتجا لمذاهبهم فيما يتلون ...)) (٤) .

ولعلّ ابن خالويه في موقفه منها أسلم من موقف أبى على وذلك لأن ابا على يخطئ كثيرا منها ،فهو يقول عن قراءة حمزه : (والأرحام) بالخفض (٥) : ((وهذا ضعيف في القياس ، وقليل في الاستعمال، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن)) (٦) .

---

(١) المحتسب ١ : ٣٤
(٢) انظر في هذه المسأله ما مضى : ١١٠
(٣) انظر أبو على الفارسى : ٣٢٣
(٤) أبو على الفارسى : ٣٢٥
(٥) النساء : ١
(٦) أبو على الفارسى : ٢٤٠

فدافع عنها بقوله : ((وإذا كان البصريون لم يسمعوا الخفض في الخافض فقد عرفه غيرهم ..))(١) .

ومن ذلك أيضا تضعيف أبي علي لقراءة ابن عامر (وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم)(٢) بقوله : ((ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به ، والمفعول به مفعولِ المصدر ، وهذا قبيح قليل في الاستعمال ، ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى))(٣) .

وينتهي الأستاذ عبد الفتاح شلبي من جولاته المقارنة إلى أن كتاب ابن خالويه يفي بحاجة المتخلفين من الراغبين في التعرف على مذاهب القراء والاحتجاج لها في سرعة وسهولة ، أمّا كتاب أبي علي فمن لا يُلئك الذين يستريحون للتقصي والتعمق . ولعلّ ما يريده الأستاذ الفاضل من التقصي والتعمق الجرى وراء العلل والمنطق والفلسفة والأقيسة ، وهي في رأيي لا تعتبر تعمقا ، لأن أبا علي يجعل القارئ يضيع في متاهات شتى لا حصر لها ، إذ يصعب على القارئ الوقوف على الاحتجاج للقراءات ، لأنه ينتقل من موضوع إلى آخر ، ولعل ذلك مما جعل مكى بن أبي طالب يضجر منه (٤) .

---

(١) الحجة في القراءات السبع : ٩٤ . وانظر في ذلك : ٩٩

(٢) الأنعام : ١٣٧

(٣) أبو علي الفارسي : ٢٤١ . وانظر امثلة اخرى ص ٢٤٤

(٤) انظر ابو علي الفارسي : ٣٩٠ .

٥٣ البديع في القراءات السبع
وإضافة قراءة ثامنة ، قراءة يعقوب الحضرمي

ذهب برجستراسر ناشر كتاب (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع) وتلميذه آرثر جفري إلى أنّ هذا المؤلف منقول من كتاب البديع ، وقد اتخذا عمدتهما في هذه المسألة ما اختتمت به مخطوطتاه [١] ، إذ جاء في خاتمة إحداهما ما يلي : ((ثم الشواذ المنقولة من كتاب البديع على حسب الطاقة ، ونعوذ بالله من الزلل والخطأ ، وهكذا وجدناه موضوعا على التقديم والتأخير والترتيب ونقل كما ترى مما ألفه الشيخ الإمام أبوعبدالله الحسين بن خالويه النحوي رحمه الله تعالى ، وله مصنفات وشواذ في غير هذا ، وهذا ما اختصره في هذا الكتاب)) [٢]. وجاء في خاتمة الأخرى ما يلي : ((ثم الشواذ المنقول من كتاب البديع مما ألفه الشيخ الإمام أبوعبدالله الحسين بن خالويه النحوي .... على يد الفقير إلى الله تعالى محمد بن عثمان بن علي غفر الله له)) [٣].

وقد عنونه برجستراسر وتلميذه بما عنونت به مخطوطة اسطانبول : ((كتاب مختصر في شواذ القرآن العظيم من تأليف الإمام العالم العلامة المقرئ ابن [٤] عبدالله الحسين بن خالويه النحوي)) [٥]. ولقد تبعهم في ذلك الدكتور عبدالعال سالم ومكرم [٦] وغيره [٧]. ولعلي أوافقهم في هذه المسألة لما وجدته من شواهد وأدلة تزيدها صحة ووثوقا ، وذلك لأنّ ابن خالويه طالعنا في تقديمه للبديع بالإشارة إلى أنه قصد وضع الحروف الشاذة في حواشيه ليعرف شاردها وشاذها من معروفها ومشهورها حبا في التيسير على من يريد الوقوف على ذلك : ((وأجعل الحروف الشاذة في الحواشي مخرجة باسم واحد فواحد حتى لا يخفى على الناظر في كتابنا هذا من القراءات شاردها ومعروفها ..)) [٨].

---

(١) أ. مخطوطة اسطانبول التي نسخت سنة ٨٤٧ هـ
ب. مخطوطة القاهرة التي نسخت سنة ٨٥٠ هـ .
انظر في ذلك مقدمة الناشر باللغة الانجليزية : ٧ - ٨

(٢) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : ١٨٤

(٣) مقدمة الناشر باللغة الانجليزية : ٨

(٤) الصواب (أبو)

(٥) مقدمة الناشر باللغة الانجليزية : ٧

(٦) انظر مقدمة الحجة في القراءات السبع : ١٥

(٧) انظر العربية : ٣٩ ، ٩٢ ، وتاريخ الأدب العربي ٣ : ٢٤١

(٨) البديع ، ورقة : ٢

الورقة الثانية من البديع في القراءات السبع

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

تأصيل | T’aseel | الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور عبدالفتاح الحموز

الورقة الأخيرة
من البيان في
القراءات السبع